العقد الذهبي
في ترجمة العلامة
عبد الرحمن بن مرعي العدني
-رحمه اللّه تعالى-

تأليف

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

مكتبة الإمام البخاري - البيضاء-
جوال: ٧٧٧٢٣١٠٤٠

يطلب من مكتبة الإمام البخاري - البيضاء-الشارع العام

جوال: ٧٧٧٢٣١٠٤٠-

ثابت: ٠٦٥٢٠٠٦٦

ومن وكيله مكتبة الإمام الشافعي - عدن-الشيخ عثمان -

جولة القاهرة- خلف فندق الريان-

جوال: ٧٣٦٩٠١٨٢٤-٧٧٤٤٢٧٥٧٢

العقد الذهبي في ترجمة العلامة

عبد الرحمن بن مرعي العدني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ

حقوق الطبع محفوظة ١٤٤١هـ لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف

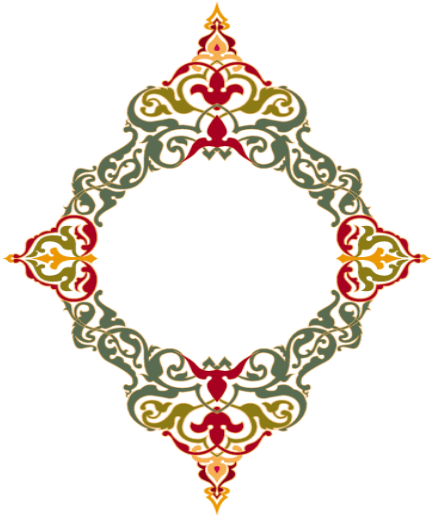

العقد الذهبي

في ترجمة العلامة

عبد الرحمن بن مرعي العدني

-رحمه اللّه تعالى-

تأليف

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

بسم الله الرحمن الرحيم

- الشيخ عبد الرحمن (العدني) على صغر سنِّهِ رجل حكيم مُحنَّك.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- الشيخ عبد الرحمن هو بحمد الله مُبرِّز في الفِقه؛ فكثيراً ما أسألُهُ عن بعض المسائل جزاهُ اللهُ خيراً.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- (الشيخ عبد الرحمن) كثيراً ما تحصل مُناقشة بيننا وبينَهُ فيها فوائد تُشَدُّ إليها الرِّحال أسألُ الله أن يُبارك فيه وفي علمه، وأن ينفع به الإسلام والمُسلمين.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- (الشيخ عبد الرحمن) هو بحمد الله من ذوي الغيرة على الدِّين.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- فَرُبَّما إتيان عبد الرحمن إليهم خيرٌ لهم من أن يكيل لهم بالزّنبيل ذهباً وورِقاً خيرٌ لهم؛ لأنَّهُ يُعلِّمُهم دينهم.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- فالأخ عبد الرحمن أرجو من الله أن يُثبِّتنا وإيَّاهُ، وأن يدفع عنَّا وعنهُ كُلَّ سوءٍ ومكروه سيرَونَ منهُ ما يسرُّهُم من أخلاقٍ فاضلة، ومن فهم لكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ (العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)
- إذا اختلفنا في مسألة؛ فمرجعنا عبد الرحمن العدني.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- وفي الشحر عالمان فاضلان الشيخ عبد الرحمن بن مرعي العدني، مُبرِّزٌ في الفقه الإسلامي وأدلّته، وكذلك أيضاً مُبرِّز في اللُّغة العربيَّة، وفي علم الحديث، وكذلك أخوه الشيخ عبد الله بن مرعي جزاهما الله خيراً.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- أنا أسألُكَ سُؤال استفادة لا سُؤال اختبار يا شيخ عبد الرحمن.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- إني لأدخل الدَّرس؛ فأرى عبد الرحمن فأهابه.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- قد أصبح مرجعاً لإخوانِه في علومٍ شتَّى.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- والله إنَّك لَتُفيدني يا عبد الرحمن.

(العلَّامة مقبل الوادعي -رحمه الله-)

- الشيخ عبد الرحمن على ثغر عظيم من أفاضل الناس.

(العلَّامة ربيع المدخلي-حفظه الله تعالى-)

- لا تُكلِّموني في عبد الرحمن؛ فقد خبرتُه فوجدْتُه ذهباً صافياً.

(العلَّامة ربيع المدخلي-حفظه الله تعالى-)

- شيء يُشكل عليك يا شيخ عبد الرحمن يُرفع إلى اللجنة الدائمة.

(العلَّامة ربيع المدخلي-حفظه الله تعالى-)

- والله بعض أسألتك أهابها يا عبد الرحمن.

(العلَّامة ربيع المدخلي-حفظه الله تعالى-)

- الشيخ عبد الرحمن رمز من رموز السُّنَّة في اليمن.

(الشيخ وصي الله عباس-حفظه الله تعالى-).

- اصبر يا شيخ عبد الرحمن، فما دعا أحدٌ بدعوةِ الأنبياء والمُرسلين إلَّا أُوذِي. (الشيخ وصي الله عباس-حفظه الله تعالى-).
- الشيخ عبد الرحمن ما عندهُ حزبيَّة نحنُ نعرف الرجل، وقد زكَّاهُ شيخُه الوادعي واختاره أن يكون من المشايخ الَّذين يُرجع إلَيهم عند الفِتَن.

(العلَّامة ربيع المدخلي-حفظه الله تعالى-).

- ما شاء الله ما شاء الله، والله إنِّي لأفرح أن يوجد في العَالَم مثل هذا العِلم.

(قالها حين سأله الشيخ عبد الرحمن في لقاء خاص).

(سماحة العلَّامة ابن باز-رحمه الله-)

مقدمة الشيخ الفاضل أنيس المهندس اليافعي حفظه الله تعالى:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد:

فقد قرأت معظم ما كتبه أخونا الفاضل المفيد سالم المنذري حفظه الله وفتح عليه في ترجمة شيخنا العلَّامة المربي عبد الرحمن بن مرعي العدني -رحمه الله-وأجزل مثوبته ورفع درجته في المهديين قرأت معظم ذلك ورأيته قد أجاد وأفاد وأتى بالمراد وقد كان هذا كالدَّين في رقابنا فسدَّده عنا سدَّده الله.

والناظر في ترجمة شيخنا العلَّامة الفقيه الراحل -رحمه الله-يرى شبهاً عظيماً بين سيرته وسيرة شيخه العلَّامة الألمعي مقبل بن هادي الوادعي، فلقد كانت حياتهما مليئة بالجهاد في سبيل الله فيما نحسبهما والله حسيبهما، وقد كان شيخنا -رحمه الله- من أشبه طُلَّاب الوادعي -رحمه الله- إن لم يكن أشبههم بشيخه في تمسكه بالسنة وورعه وحرصه على العلم وبثه، والكلام على هذا العَلَم ذو شجون، فحياته مشرقة وسيرته عطرة

أعِدْ ذكر نُعمانٍ لنا إنَّ ذكره هُو المِسكُ ما كررتَه يتضوّع

لكن اكتفي بهذا لأن المؤلف قد قام بجهد مبارك مشكور.

نسأل الله أن يرحم شيخنا ومربينا وأن يصلح ذرِّيته وأن يحفظهم وأن يحفظ داره وأن يجزي أخانا سالماً خير الجزاء

والحمد لله رب العالمين

كتبه أبو عبد الرحمن أنيس المهندس اليافعي

٣٠/شوال/١٤٤٠

دار الحديث بالفيوش حرسها الله.

مقدمة الشيخ الفاضل مهدي الجونة -حفظة الله تعالى-

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

(فإن السابر لأغوار التاريخ والمتعمِّق فيه يدرك أن تاريخنا الإسلامي حافل بالعلماء الأعلام الذين أوقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه، وتحملوا المتاعب والآلام، وتجشموا المصاعب والأخطار في جمع شوارده، واقتناص أوابده، واستنباط قوانينه وقواعده، وأنفقوا أثمن ما يملكونه من مال وجهد ووقت في سبيل هداية الخلق.

وإنني أرى أن من حق هؤلاء العلماء علينا أن نسجل سيرهم وندوِّن أخبارهم، وإنه لما يسُرُّ أعظم السرور أن يكون الحديث متواصلا عن العلماء تبصيرًا بسيرهم، وتعريفًا بحياتهم، وتذكيرًا بأعمالهم وبما كان لهم من الفضل مما أنتج الأثر العظيم الذي يعيشه أهل العلم اليوم، متواصلاً بجهد جهاد من كان قبلهم.

إن نشر تراجم العلماء، والتذكير بفضائلهم، والتعريف بسير حياتهم وجهادهم من الأعمال التي تُذكر فتُشكر.

ذلك أن الكتابة عن العلماء وتسجيل سيرهم بعد رحيلهم يقيها عدوان النسيان مع تباعد الأزمان، إلى جانب ما يحصل من الخير والنفع العاجل والآجل، ومن ذلك أن الناس يقتدون بهم، ويحذون حذوهم ويدعون لهم.

وإنه لجميل أن تعرف هذه الأمة للعلماء فضلهم وتحفظ حقهم وتجلّ قدرهم، وتنزلهم منازلهم اللائقة بهم، بوصفهم معالم هداها ومصابيح دجاها.

وفضلاً عن ذلك فإن تسجيل سير العلماء تعد بمثابة دعوة مفتوحة إلى روّاد العلم ومحبي المعرفة ودعاة الحق لأخذ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة من سيرهم القيّمة وأخلاقهم الفاضلة، بحيث يتحلى القارئ لسيرتهم بتلك الصفات الرفيعة والخلال الحسنة فيرد من حيث وردوا ويصدر من حيث صدروا، تأسيا بهم ومشابهة لهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاحُ

وإن من المحزن والمؤسف حقًا، بل ومن العقوق أن ينسى أبناء هذه الأمة دعاتهم المصلحين ورجالهم المخلصين وعلماءهم العاملين، الذين عبروا بهم إلى

شواطئ النجاة وجنحوا بهم عن مراتع الهلكة ومواقع الفتن فسلمت لهم أبدانهم بعد أن سلمت قلوبهم.

إن قاصد الحق وصادق الهدف، يجد في سير الصالحين والعلماء العاملين والأئمة المصلحين ما يدفعه إلى صدق العزيمة وإخلاص النية والتجرد للحق ومجاهدة النفس، بل إن من أعظم الدُّروس المستفادة والعبر المستلهمة من موت العلماء العاملين، استشعار عظم المسؤولية بعد فقدهم، وتحمل أمانة الدعوة بعد رحيلهم.) (١)

والآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم والعلماء كثيرة وقد صُنِّفت فيها المصنَّفات وكذلك ما ورد من آثار السلف الدالة على أن موت العالم مصيبة عامّة، وثلمة في الإسلام، ومع ذلك فالله حافظ دينه ولا يزال الدين بحمد الله ظاهراً، ولا يزال حملة العلم متوافرين في الأمّة ولله الحمد والمنّة.

ولقد كان شيخنا الفقيه العلَّامة عبد الرحمن بن مرعي العدني -رحمه الله-من العلماء الذين ساروا على منهج السلف في العلم والعمل والأخلاق والعقيدة والدعوة

---

(١) من مقدمة ترجمة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي (١/ ٤٥-٤٧) تأليف محمد بن أحمد سيد أحمد.

والتربية وقد جعل الله على يديه خيراً كثيراً ونفع الله بداره وطُلَّابه بعد مماته كما نفع بعلمه ودعوته في حياته.

وقد جمع الله لهذا العالم خصالا كثيرة تدل على التشريف والتكريم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [سورة الجمعة:٤].

وقد كان رجل علم قضى عمره المبارك في العلم الشرعي تعلماً وتعليماً وعملاً به ودعوة إليه ولم تصرفه الشدائد والأسقام التي عانى منها لم تصرفه يوماً عن العلم بل عاش مع العلم حتى جاءته المنية فرحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.

وهكذا العلم النافع لا ينال بعد توفيق الله إلا بالجد والاجتهاد والصبر على الشدائد والمحن قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [سورة السجدة:٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت:٦٩].

وبعد فهذه بعض الخصال التي منَّ الله بها على شيخنا -رحمه الله- أذكرها بإيجاز:

طلب العلم في وقت مبكر.

قوة الحفظ والفهم .

الأخلاق العالية الفاضلة ومنها التواضع.

العلم المتين.

الصبر العظيم.

الحلم الواسع.

لين الجانب والرفق والأناة.

هضم النفس مع احترام الآخرين مهما كان مستواهم.

تشجيع الطُّلَّاب الكبار والصغار.

التحضير الجيد للدروس.

تحرير المسائل والدقة في اختيار الراجح.

التمسك بالمنهج السلفي من غير تشدد ولا تساهل.

تفقد الأرامل والمساكين والمحتاجين ومساعدتهم.

الزهد والورع والعبادة.

التحرز الشديد من الغيبة والقيل والقال.

الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع وازالة المنكرات والمخالفات.

احترام وإكرام العلماء سواء كانوا من مشايخه أو غيرهم.

العناية بدروس النساء والمتابعة التامة لذلك (لعلمه بأن الأم مربية الأجيال).

التفنن في العلوم فقد كان فقيها وله مشاركة في علم الحديث والتفسير والأصول والنحو والتاريخ والعقيدة والتوحيد وغيرها.

نحسبه والله حسيبه أنه كان مخلصاً لله. فلم يكن يحب المدح والثناء.

هذه بعض الخصال التي منَّ الله بها عليه وهناك خصال وتفاصيل تجدها في هذه الرسالة القيمة والترجمة الحافلة التي جمعها أخونا الفاضل سالم المنذري، وقد كانت ترجمة شيخنا ديناً في أعناق تلاميذه فوفَّى بهذا الدين أخونا سالم جزاه الله خيراً.

وهذه الترجمة هي حصيلة جهد عظيم قام به المؤلف فإنه لم يجمعها من كتب وانما تلقفها وتصيدها من العارفين بالشيخ فقد جلس مع شيخ هذه الدار الشيخ عبد الله بن مرعي وهو رفيق وشقيق وزميل الشيخ في طلب العلم، وأخذ عنه أخباراً نافعة عن الشيخ وهكذا جلس مع والد الشيخ ومع أبناء الشيخ وأصهاره وحراسه وكبار طُلَّابه المقربين إليه وهكذا زوجات الشيخ كتبن له بعض أخباره مشاركة في الخير.

وهكذا كان يتتبع التسجيلات الصوتية لكل من يذكر للشيخ موقفاً أو خبراً فإذا رآه مناسباً أثبته في الترجمة ويتواصل مع كل من يبلغه أن عنده خبراً أو موقفاً للشيخ

-رحمه الله-.

والحاصل أنه قد بذل جهداً كبيراً في جمع هذه الترجمة وذكر أخباراً وتفاصيل عن الشيخ لا يعرفها طُلَّابه القريبون منه فضلاً عن غيرهم، وهذا يدل على جهد عظيم بذله المؤلف في تتبع واستقصاء أخبار الشيخ -رحمه الله-.

وقد راجع هذه الترجمة مجموعة من المشايخ ، وعلى رأسهم شيخنا عبد الله بن مرعي حفظه الله فشكر الله له وللمشايخ الذين راجعوا هذه الرسالة.

وقد قلت أبياتاً في الشيخ -رحمه الله- أحببت أن أذكرها هنا:

هو الفقيه الذي قد لازم العلما ... حتى غدا علمه كالغيث حين همى
أخباره عطرة فطالعوا سيره ... فالعلم قد حشره في جمله العظما
ماذا أُحدِّث عن حلم وعن أدب ... وعن علوم وطُلَّاب نجوم سما
وداره عمرت بالعلم وانتشرت ... أنوارها شهدت بذلك الحكما

أسأل الله أن ينفع بهذه الترجمة وأن يجزي جامعها خيرا وأن يجعل عملنا وعمله خالصا لوجه الله. وأسأله سبحانه أن يغفر لشيخنا ويرزقه الفردس الأعلى وأسأله سبحانه أن يبارك في هذه الدار دار الحديث بالفيوش وأن يبارك في القائمين عليها

والمدرسين فيها وطُلَّابها وكل من تعاون معهم لخدمة الإسلام كما أسأله أن يبارك في سائر مساجد ومراكز ومدارس أهل السنة، والحمد لله رب العالمين.

كتبه مهدي بن ناصر بن الجونة

بدار الحديث بالفيوش

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم عن نبيه إبراهيم ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [سورة الشعراء:٨٤].

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد من رفع الله ذكره في الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد: فهذه ترجمة مُختصرة لشيخي ومُعلِّمي صاحب القدر الرفيع السَّامي عبدالرحمن بن مرعي العدني -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فأقول مستعيناً بالله مستعيذاً بِه من كُلِّ شيطانٍ لاه.

هو المُحدِّث الفقيه، المُتفنِّن النَّبيه، صاحب الشُّهرة العالية، والسِّيرة الحسنة النَّامية، والمآثر اللَّطيفة، والمحامد الشَّريفة من لهُ في العلم همَّة تقتضي أن يصير من أفراد الأُمَّة همَّتُه في تحصيل العلوم قويَّة، فعاش عيشةً رضيَّة إلى أن صار إماماً فقيهاً، وهُماماً نبيهاً سار ذكره وطار، وقَصَدَهُ الطُّلَّاب من الأمصار، أخذ عن العلماء الأفاضل إلى أن امتاز بالفضائل أخذ العلم عن أهله حتَّى اعترف أهل الفضل بفضله، فدرَّس وأجاد وأفاد، ووفَّى بالمُراد علَّامة في العلم خبير إن جال في التفسير فأعسره عندهُ يسير؛ فهو مُحدِّث أصولي فقيه شمولي، علَّامة التَّحقيق، وفهَّامة التدقيق، حسن الأسلوب في التَّدريس والتَّفهيم، صاحب معرفة في التعليم عاملٌ بالسُّنَّة والقُرآن، تاركٌ للتقليد والأخذ بقول فُلان وفُلان، حسن الأخلاق، قد علا قدرُهُ وفاق، بهر الأنام بأخلاقِه

المرضيَّة، مناقبه ظاهرة جليَّة، بجميل أخلاقِهِ تحلَّت الفُيوش، وبِلقاءِه طَرِبت النُّفوس، كان ذا تُؤَدَة في أُمورِه، فبارك الله في مَسيرِه، لم يُعرف بحماقةٍ ولا طيش، فطاب الجُلُوس معهُ والعيش، كان متواضعاً لِطُلَّابه وإخوانِه، فمازج القُلوب حُبُّه واحترامُه، صان لِسانه عن كُلِّ قبيح، وارتدى كُلّ رداء مليح، فضائله شهد لهُ بِها المُؤمنون واعترف بِحُسنها الحاسدون، وشمائِلُه يتنافس فيها المُتنافِسون، كثير التَّحمُّلِ والصبر على الناس، ليسَ لهُ بغير العلم استئناس لم يحلّ في محلٍّ إلَّا شغلهُ بالعلم والعمل، لا يعرف الملل ولا الكسل، كلامُه أشهى من العسل، بدأ الدُّروس لمن حضره وهو ابن ثماني عشرة، تتقطَّر الزَّجاحة في شمائِلِه؛ فهو في صفاتِهِ أبهى عنوان، فتى المجد، ومعدن الأخلاق، ووطن الأدب فهذا مُلخَّص أوصَافِهِ، وعلى كُلِّ حال فمناقِبه كثيرة، وفضائِلُهُ شهيرة، فمن كانت هذه صِفاتُه، فالخروج عن مودَّتِهِ جهل، فضلاً عن الدُّخول في عداوَتِهِ رَحِمَهُ الله رحمةَ الأبرار، وجمعنا بِهِ مع النَّبيِّين والأخيار.

أما بعد فإن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإن مما يعزِّينا في هذا المصاب العظيم قول نبينا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي » (١)

وإنا لنرجوا لشيخنا رحمه الله أن الله عز وجل اختار له الشهادة وأناله السعادة وأسال الله لنا وله الحسنى وزيادة.

وإن مما لا شك فيه أن استهداف العلماء بالقتل والتشويه لهو من أعظم الجرائم والمنكرات بل إنه يعد استهدافا للإسلام مباشرة كيف لا وهم حماة الدين والمرجعية الكبرى للمسلمين وإن هذه الجريمة العظمى والدسيسة الخبيثة سنة من سنن اليهود إخوان القرود قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة آل عمران:٢١]. وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١١٢].وقال الله تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا

(١) أخرجه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها صحيح الجامع (٧٨٧٩)

جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ [سورة البقرة:٨٧].

وجاء عند البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس ﷺ أن امرأة يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها...الحديث.

وروى البخاري معلقا صحيحا قالت عائشة ﷺ كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم.

يعني أنه انقضَّ عليه سم الشاة ليجمع إلى منصب النبوَّة مقام الشهادة.

ولهذا كان بن مسعود وغيره يقول مات شهيداً من ذلك السم. (فيض القدير وذكره ابن القيم في الزاد).

وهكذا فما من جريمة قتل نبي من الأنبياء أو عالم من العلماء أو خليفه من الخلفاء على مدار الدهور وإلى زماننا هذا إلا وهي من أعمال اليهود والنصارى أو من أعمال من يقوم بخدمتهم من بني جلدتنا ممن ضلُّوا عن سواء السبيل.

وإلى الله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد كنت كتبت في آخر التَّرجمة فصلاً بذكر من مات من العلماء مقتولا أو مسموماً أو مسجونا من زمن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا على حسب ما وقفت عليه من السير والتراجم فأشار عليَّ بعض مشايخنا الكرام أن أفرد ما كتبته في رسالة

مع شيء من التوسعة أسأل الله أن يحقق المراد وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن يغفر لي ولوالدي ولذريتي وأقاربي ومشايخي وللمسلمين وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

دار الحديث بالفيوش حرسها الله تعالى

السبت، ٢٣/ ذو القعدة/ ١٤٤٠

ماذا يعني موت العلماء

إنَّ حفظ الدين من أعظم مقاصد الشريعة الغراء، وإنَّ من أعظم أسباب حفظ الدين حفظُهُ بالرِّجال المُخلِصين والعُلماء العاملين؛ فوجودهم في الأُمَّة حفظٌ لدينها وصون لعزَّتها وكرامتها وذودٌ عن حياضها.

فإنَّهم الحصن الحصين والسِّياجُ المتين الَّذي يحول بين هذا الدين وأعدائِهِ المُتربِّصين، وإنَّ لله الحكمة البالغة والقُدرة النَّافذة في كَونِه وخلقِه، وإنَّ ممَّا كتبَهُ الله – جلَّ وعلا– على خلقِهِ الموت والفناء.

يقول ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٤].

ويقول –سبحانه– : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ٥٧]، ويقول : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١].

وإنَّ من أشد أنواع الفقد على النُّفُوس وقعاً وأشدِّهِ على الأُمَّة لوعةً وأثراً فقد العلماء الرَّبانِيِّين والأئمة المُصلحين؛ لأنَّ مكانة العلماء عُظمى، ومنزلتهم كُبرى فهم ورثة الأنبياء وخُلَفاء الرُّسُل والأُمناء على ميراث النُّبُوَّة هُم للناس شُموع ساطعة وكواكب لامعة، وللأُمَّة مصابيح دُجاها، وأنوار هُداها بهم حفظ الدِّين، وبه حفظوا

وبهم رُفِعت منارات المِلَّة، وبها رُفِعُوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة : ١١].

يُحيُون بكتاب الله المَوتى، ويُبصِّرون به أهل العمى ويهدون به من ضلَّ إلى الهُدى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه، وما عزَّت الأُمم، وبلغت سامق القمم وأشيدت صُرُوح الحضارات، وقامت الأمجاد وما تحقَّقت الانتصارات بعد الله إلَّا بِهم، أهل خشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر : ٢٨]، وهم مادَّة حياة القُلُوب، وغذاء الأرواح وقوت الضَّمائر، ومهما صيغت النُّعوت والمدائح في فضائلهم فلن توفيهم حقَّهم، والعالم للأُمَّة بدرها السَّاري وسلسالها الجاري لاسيِّما أئمة الدِّين وعُلماء الشَّريعة، ولذلك كان فقدهم من أعظم الرَّزايا والبليَّة بموتهم من أعظم البلايا، وأنَّى للمدلجين في دياجير الظُّلُمات أن يهتدوا إذا انطمست النُّجُوم المُضيئة(١).

ماذا يعني موت العلماء؟

إنه يعني قبض العلم وظهور الفتن في أوساط الناس فعن أبي موسى وعبدالله بن مسعود ﷺ قالا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزِلُ

(١) ملخص من خُطبة للشيخ عبد الرحمن السُّديس.

فِيهَا الجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ» وَالهَرْجُ: القَتْلُ. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن.

إن موت العلماء يعني رفع العلم وثبوت الجهل وظهور كبار الذنوب، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا ". أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم.

موت العلماء يعني رجوع الناس إلى الجهلاء، واتخاذهم رؤساً للفتاوى الشَّرعيَّة، والنوازل العصرية، وهذا هو الضلال المبين وخراب الدنيا والدين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» أخرجه البخاري ومسلم.

قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث : هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَبْضِ الْعِلْمِ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ الْمُطْلَقَةِ لَيْسَ هُوَ مَحْوُهُ مِنْ صُدُورِ حُفَّاظِهِ وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوتُ حَمَلَتُهُ وَيَتَّخِذُ النَّاسُ جُهَّالًا يَحْكُمُونَ بِجَهَالَاتِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ.اهـ

ونحنُ في بلاد اليمن بالأخص أشد إحساساً بمكانة العلم ومنزلة العُلماء، وأسرعُ فرحاً بهم وأشدُّ حزناً على موتِهم، وذلك لما ظهر من كثرة الفتن بعد موت الوالد المُربِّي الشيخ الكبير العالم الفاضل النِّحرير مقبل بن هادي الوادعي عليه رحمة الله، ولكن وإن مات الوادعي فقد خلَّف علماء فُضلاء ومشايخ نُبلاء منهم صاحب الترجمة الشيخ العالم الصَّبُور الفقيه الوقور الحليم المتواضع الكريم عبد الرحمن بن عمر بن مرعي العدني -رحمه الله-، وأسكنه جنات النعيم.

وقفة عزاء

وإنِّي كأحد طُلَّابه، ومن جُملة تلاميذه أكتب الآن مُعزِّياً مُتعزِّياً، ومُترجماً مُترحِّماً، وقد عظم المُصاب، وعزَّ فيه العزاء، وإن أعظم من ننقل التعزية لشخصه وعلمه ومكانته هم :

أهل بيته من والدين وأبناء وزوجات وإخوة وأخوات، وكل أقربائه ونَخُصّ منهم شيخنا الكريم أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن مرعي -حفظه الله تعالى-.

ثانياً : إخوانه من العلماء والمشايخ الفُضلاء وبالأخصّ علماء اليمن الَّذين كان لهم مع الشيخ لقاءات ومُشاورات وكان لهم كالإبن البار، وكالأب الحنون، وكالأخ الشَّفيق.

ثالثاً: طُلَّاب الشيخ -رحمه الله- الَّذين أخذوا العلم عنهُ سواء في دمَّاج أو في الفُيوش، أو في أي مكان درَّس فيه الشيخ، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المُصاب الأكبر، والجُرح الأعظم كان في دار الحديث بالفُيُوش هزَّ كيان الصَّغير والكبير، والذَّكر والأُنثى، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العزيز الحكيم.

رابعاً : الأُمَّة الإسلاميَّة جميعاً في شتَّى بقاع الأرض ممَّن رحل إلَيه، وممَّن لم يتمكَّن من الرِّحلة إلَيه والجُلُوس بين يديه.

تعـزَّوا جميـع النـاس عنـه فكلكـم مُصـاب بـه مـن عـالمين وجاهـل

كلمة شكر

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم : ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل : من الآية ٤٠].

وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ : «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ».

فأحمد الله وأشكُره شكراً كثيراً على توفيقه وتيسيرِه وإعانته على كتابة هذه التَّرجمة المُختصرة، وأشكُره على كُلِّ نِعمةٍ أنعم بها عليَّ في قديمٍ أو حديث، أو سر أو علانية، وعلى كل نعمة خاصَّة أو عامَّة.

وبعد شُكر الله أتقدَّم بالشَّكر الجزيل لمن قرن الله - شكرهما بشكره ؛ فقال عز من قائل حكيم : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان : من الآية ١٤] جزاهُما الله عني خير الجزاء، وأسأل الله أن يحفظهما وأن يرحمهما كما ربَّياني صغيراً، وأن يرزقهما السَّعادة في الدُّنيا والآخرة.

كما أتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى شيخِنا المفضال العالم الأُصُولي أبي عبد الرحمن عبد الله بن عُمر بن مرعي -حفظه الله تعالى- على إفادته وتحفيزِه لي لإتمام هذه التَّرجمة جزاهُ الله عنَّا خير الجزاء.

كما أتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى أُسرة الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- من والدين وأبناء وزوجات على ما قاموا به من إفادتي عن حياة الشَّيخ -رحمه الله-، وكتبوا إليَّ في ذلك.

وكذا أتقدَّم بالشُّكر والتقدير إلى كُلّ من أفادني في هذا البحث بفائدة، أو نقل لي ما استفدت كتابته في هذه التَّرجمة.

وختاماً : أُقدِّم الشُّكر والتقدير إلى كُلِّ من المشايخ الفُضلاء الَّذين راجعوا هذه التَّرجمة، وساهموا بتوجيهاتهم أشكرهم على خُلُقِهم النَّبيل، وتوجيهاتهم الدَّقيقة وإرشاداتهم القيِّمة، وعلى رأسهم شيخنا المفضال أبو عبد الرحمن عبد الله بن عُمر بن مرعي العدني -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل أنيس ـ المُهندس -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل مهدي ـ الجونة -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل صالح بن عبد الله الغشامي -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل أحمد بن عمر البركاني -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل محمد الحُسوي -حفظه الله تعالى-.

أسأل الله -تعالى- أن يحفظ الجميع، وأن يُبارك لهم في علمهم وعملهم، وأوقاتهم ومُؤلَّفاتِهم، وفي صِحَّتِهم وأرزاقهم، وذرِّيَّاتهم إنَّهُ واسع كريم.

لماذا الترجمة ؟

لقد قام صالحو الخلف بحق السلف في حفظ تاريخهم بالتَّرجمة لهم خدمة لتراثهم، وإحياء لذكرهم، وما أُثِر عن السَّخاوي أَنَّهُ قال : ((ومن ورَّخ مُؤمناً فكأَنَّما أحياهُ)) أي من ترجم لهُ وأرَّخهُ، وهاهم علماء الأُمَّة يُعايشون كل جيل بسيرتهم وتاريخهم في أُمَّهات الكتب، وإنَّ تراجم الرِّجال مدارس الأجيال في عُلُومهم ومعالم حياتهم، لأنهم وإن كانوا أشهر من نار على علم إلَّا أنهم إذا لم تُقيَّد محاسنهم في دفاتر المآثر نثرتها الأيام في مطوي العدم.

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى ... تخيلته قد عاش من أول الدَّهر

وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

فقد عاش كل الدهر من كان عالماً ... كريماً حليماً فاغتنم أول العمر

وإنَّ مثل شيخنا الفقيه لحقيق بتخليده بترجمة، والاستفادة من منهج حياته في تعلُّمِه وتعليمه، وأخلاقِه الكريمة، وتواضعه الجم، وإنَّ الكتابة عن مثله -رحمه الله- لمن أشق ما يكون لسعة مجالاته العلميَّة، وتعدُّد جوانبه الشَّخصية والحال أَنَّهُ لا مرجع لمن يكتب عنهُ إلَّا الخلطة وطول العِشرة، وتصيُّد الأخبار من ذَوِيه الأخيار، وحيث أنَّ أحقَّ الناس بالكتابة عنهُ هم تلامِيذُه وأبناؤُه، وأكثر الناس مُعاشرة لهُ، وهذا جعلني أهاب الكتابة في هذا الموضوع، وهو مقام من هو أحقُّ منِّي، ولكن لَمَّا كان تلميذ الشيخ

أحقّ بالكتابة عنهُ، فما لي لا أُدلي بدلوي مع الدِّلاء، وأُعمل قلمي مع الأقلام، وأُبدي ما عندي سواء ما سمعته منهُ مُباشرة، أو عنه بواسطة، أو لمسته من جوانب سيرته وحياته.

وإني لأعتبر ما أقدِّمه بداية لا نهاية وتذكرة للآخرين لعلَّهم يُتمُّون ما بَقِي، ويُكمِلون ما نقص، والله أسأل أن يجعل سيرته خير قُدوة لتلاميذه وأهله ومُحبِّيه، وأن يجعل في أولاده خير خلف لخير سلف، وأن يأجرنا في مُصيبتنا ويُخلفنا خيراً منها، وأن يتغمَّدهُ بوافر رحمته، وأن يجزل لهُ العطاء ويجزيه أحسن الجزاء عمَّا بذله من جُهد، وخلَّفهُ من علم إنَّهُ جواد كريم.

والآن قد تحتَّمت الكتابة عنهُ لا تعريفاً بِه، فهو أعرف من أن يُعرَّف، فليست الكتابة للتعريف بِهِ ، ولكن لِرَسم خُطاه، وبيان منهجه ممَّا سمعته منهُ -رحمه الله-، أو بنقل الإخوة الثِّقات.

اسم الشيخ ونسبه ونشأته

اسمه : عبد الرحمن بن عمر بن مرعي بن مردوف بن بريك من فصيلة آل سالم ابن عمر الحضرمي العدني.

وُلِدَ الشيخ -رحمه الله- في ٩/ رمضان/ ١٣٩١هـ الموافق ٢٨/ ١٠/ ١٩٧١م.

بعد مولد أخيه الأكبر الشيخ عبد الله بسنتين إلَّا قليلاً، وكان مولد الشيخ في بيت أبيه الحالي في عدن ـ المنصورة.(١)

نشأته:-

نشأ نشأة تديُّن حيث كان أبواهُ في غاية التَّديُّن يَحُثَّانِه وإخوانه على الصَّلاة في المسجد منذ الصِّغر، وحدَّثني ولد الشيخ إبراهيم -حفظه الله- أَنَّهُ التقى برجل في هذه الأيَّام في سِنِّ أبيه، فقال لهُ الرجل كان أبوك -رحمه الله- يدرس معنا في الابتدائية أيَّام الاشتراكيَّة، فكان -رحمه الله- إذا جاء وقت الصَّلاة خرج من الفصل، ثُمَّ يتسلَّق سور المدرسة هُرُوباً ليُدرك الصَّلاة. اهـ

بدأ التعلم الشرعي في مسجد النَّصر القريب من بيت أبيه كان يحضر فيه حلقات القُرآن، وشيئاً من النَّحو.

---

(١) أفادني بهذا والد الشيخ عبد الرحمن الوالد عمر بن مرعي حفظه الله تعالى

قال شيخُنا عبد الله بن عُمر بن مرعي -حفظه الله تعالى- : اجتهد الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- في حفظ القُرآن، وفي حفظ متون العلم صغيراً، ولم يكُن كغيرِهِ ممَّن كان في سِنِّه، فقد كان منشغلاً بتحصيل العلم وهو في بداية شبابه، فما وصل خمسة عشر عاماً وبضعة أشهر إلَّا وقد أكمل حفظ القُرآن، وحفظ معهُ كذلك عدَّة مُتُون، فلم يبلغ ستة عشر عاماً إلَّا وقد حفظ عُمدة الأحكام، وبُلُوغ المرام، ورياض الصَّالحين، وشرع في اللُّؤلؤ والمرجان، وهكذا بدأ في ألفيَّة السُّيُوطي، ثُمَّ توقَّف؛ لأنَّهُ نُصِحَ بأنَّ في ألفية العراقي ما لم يكُن في ألفيَّة السُّيُوطي.

فحفظ ألفية العراقي وأتمَّها، وأتمَّ ألفيَّة ابن مالك، وبدأ يكتُب في ذلك الزَّمان وهو ابن تسعة عشر عاماً، وأعرف لهُ بعض الكُتُب الَّتي بدأ يكتُب فيها، وشرع في شرح الدَّراري وهو ابن عشرين عاماً، وكان شرحُه من أحسن الشُّرُوح على صغر سِنِّه -رحمه الله- رحمةً واسعة؛ فنفع الله به نفعاً عظيماً، فصار مع صغر سِنِّهِ مُتميِّزاً حتَّى أحبَّهُ الشَّيخ مُقبل -رحمه الله- اهـ.

... قرأ الكثير من كُتُب أهل العلم، وحفظ الكثير من كُتُب العلم غير الأشعار والمغازي -رحمه الله- رحمةً واسعة.

ترك الامتحانات في المدرسة النِّظامية لأنَّهُ في يوم الامتحانات خلطوا البنات مع البنين.

فرجع إلى البيت وقال لهُ أبوه لِمَ رَجِعت قال : المدرسة فيها اختلاط لا يجوز وتركها لله -تعالى-.

وقال شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- : كان أول طلب علم الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- في سن الرابعة عشر من عُمرِه توجَّه إلى المساجد يتعلَّم القُرآن، ثُمَّ وفَّقه الله لِحلَق السُّنَّة، وكان بعض طُلَّاب شيخنا مقبل -رحمه الله- قد جاء إلى مدينة عدن، ودرَّس بعض الإخوة، ثُمَّ رجع إلى شيخنا مقبل، فكان طُلَّابه ممَّن أخذ عنهم شيئاً من العلم، وكُنتُ معه وكانت هُناك دروس في صفة صلاة النَّبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي مُصطلح الحديث كالباعث والكفاية في علم الرواية، ودروس أخرى، وكان هذا كالانطلاقة والقُوَّة لطريق العلم، فسبقت الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- إلى الشيخ مقبل -رحمه الله- بخمسة عشر يوماً.

رحلته في طلب العلم

رحل الشيخ -رحمه الله- مع أخيه الشيخ عبد الله إلى تعز إلى أحد طُلَّاب الشيخ مُقبل الوادعي -رحمه الله- في عام ١٤٠٨هـ فطلبا العلم عنده مُدَّة يسيرة، ثُمَّ انتقلا إلى دار الحديث بدماج إلى الإمام الوادعي عليه رحمة الله كذلك في عام ١٤٠٨هـ إلى أن مات الإمام الوادعي -رحمه الله- في ١٤٢٢هـ.(١)

ثُمَّ مكث في دمَّاج فترة من الزمن تثبيتاً لإخوانه من طُلَّاب العلم، ومُعلِّماً ومُرشداً في المركز بعد موت الشيخ مقبل -رحمه الله-.

ذريته

تزوج فضيلة الشيخ -رحمه الله- بزوجته الأولى أمِّ عبد الله -حفظها الله تعالى- في عام ١٤١١هـ، وقد رزقه الله منها تسعة من الأولاد اثنان من الذُّكُور، وسبع من الإناث.

فأمَّا الذُّكُور فهم : عبد الله وهو الَّذي يُكنى بِهِ شيخُنا -رحمه الله-، وإبراهيم.

وفي عام ١٤٢٤هـ تزوج الشيخ -رحمه الله- بِأُمِّ محمد -حفظها الله تعالى-، وقد رزقَهُ الله تعالى منها اثنين من الذُّكُور وابنة واحدة.

---

(١) أفادني بهذا والد الشيخ عبد الرحمن الوالد عمر بن مرعي حفظه الله تعالى.

فأمَّا الذُّكور فهم محمد، وعمر.

وفي عام ١٤٣٣هـ تزوج الشيخ -رحمه الله- بزوجته الثالثة أم أحمد -حفظها الله تعالى- وقد رزقهُ الله تعالى منها أحمد وبنتين.(١)

صفاته الخَلقية

متوسط القامة أقرب إلى الطول معتدل الجسم ليس بالنَّحيف ولا بالسَّمين، لحيتُهُ وسط بين الكثَّة والخفيفة فيها شَيب قليل أقنى الأنف(٢)، وحدب في وسطه جميل العينين دقيق الحاجبين مستطيل الوجه قليل الشَّيب في راحتيه نعومة حنطي اللَّون(٣) كأن في وجهه نوراً عليه نضارة أهل الحديث كان به برص في أوَّل حياته، ثُمَّ صَفِيَ جلدُهُ كاملاً؛ فجعله الله جمالاً ونُوراً.

وقد ذكر الشيخ محمود العدني -حفظه الله- أنَّ الشيخ كان في مُحاضرة لهُ؛ فدخل بعض الناس فلمَّا رأى الشيخ عبد الرحمن العدني أخذ يقول يوسف هذه الأُمَّة يوسف هذه الأُمَّة، وحدَّثني بعض الإخوة أنهم كانوا في مجلس عشاء بعد مُحاضرة الشيخ في إحدى المُدُن إذ دخل رجُل إلى المجلس؛ فلمَّا رأى الشيخ أخذ يقول بصوت مرتفع تا

---

(١) أفادني بهذا والد الشيخ عبد الرحمن الوالد عمر بن مرعي حفظه الله تعالى.

(٢) أي في أنفِهِ امتداد مع دقة أرنبته.

(٣) أي في وجهه بياض مشرب بحُمرة قاتمة.

الله ما هذا بشراً إن هذا إلَّا ملكٌ كريم، قال فخفض الشيخ رأسه للأرض، وقد أحمرَّ وجهه حياءً، وحدَّثني بعض الإخوة أنَّ رجُلاً كان يُؤذيهم في قريتهم، ورُبَّما تكلَّم في الشيخ -رحمه الله- قال : ويسَّر الله للشيخ أن جاءنا دعوة، فحاضر في مسجدنا قال : وجاء الرَّجُل المُعاند فلمَّا رأى وجه الشيخ قال : والله إنَّ هذا في وجهه الخير، ومن حينها لم يعُد يُؤذينا، ولا يذكُر الشيخ إلَّا بخير.

وحدَّثني الشيخ الفاضل : أحمد بن عمر البركاني -حفظه الله تعالى- قال : مرَّ الشيخ عبد الرحمن في الطريق في دمَّاج بجانب مزرعة، وفي المزرعة رجل شائب يعمل في مزرعته، فلمَّا نظر إلى الشيخ أخذ يقول : من أراد أن ينظر إلى ولي من أولياء الله؛ فلينظر إلى هذا، ويُشير إلى الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-.

نعم كل هذا يُذكِّرنا بحديث رسول الله -ﷺ- الَّذي أخرجه الطَّبراني وغيره من حديث ابن عبَّاس مرفوعاً، وذكره الألباني في «الصَّحيحة» (١٧٣٣) : «أَوْلِيَاءُ الله الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ الله»

ليسوا كقومٍ إذا لاقيتهم عرضا ... أهدوك من نورهم ما يتحف الساري

تروى وتشبع من سيماء طلعتهم ... بذكرهم ذكَّروك الواحد الباري

لباسه

كان لِباسُهُ البياض دائماً، فيلبس الثِّياب البيضاء إلى نصف الساقين أو قريباً من ذلك، ولهُ عِمامةٌ بيضاء أغلب أحيانه يجعلها خماراً، ورُبَّما جعلها مُكوَّرة عند خطبة الجُمعة، وفي بعض المُناسبات.

وكان -رحمه الله- نظيف الثِّياب طيِّب الرَّائحة لا يعتاد لوناً واحداً من الطِّيب، فتارةً المسك، وتارةً العُود، وتارةً لوناً آخر، وكان يُحبّ أن يجد الرَّائحة الطِّيِّبة فيمن عندَهُ من المُصلِّين، وكان يُعطي الأخ محمد بن سالم طيباً ليُطيِّب المُصلِّين قال لي الأخ محمد، وكان كُلَّما انتهى عليَّ يقول : كَلِّمني وأُعطيك آخر، وفي كُلِّ مرَّة يُعطيني نَوعاً من أنواع الطِّيب لأُطيِّب المُصلِّين.

كتبه

لم يكُن شيخُنا عبد الرحمن -رحمه الله- يستعجل بالتَّأليف، وإخراج الكُتُب، وكانت لهُ نظرة -رحمه الله-، وهي أنَّهُ يجمع المسائل ويُحقِّقها ويُدقِّقها ويُدرِّسها؛ لتخرُج إن خرجت في يومٍ من الأيَّام وهي بحلتها البهيَّة سليمة من الأخطاء العلميَّة، وقد حدَّثني الأخ الدكتور محمد بن جعفر -حفظه الله تعالى- : أنهُ سأل الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- هو وبعض الإخوة لِمَ لا تؤلِّف يا شيخ، وقد يؤلِّف من هو أقل منك علماً ؟ فقال الشيخ -رحمه الله- : الَّذي يُؤلِّف يضع حصيلة علمه على طبق يعرضهُ للنَّاس، ولا ينبغي أن يُؤلِّف الرَّجُل لغرض أنَّهُ يُؤلِّف بقدر ما يُؤلِّف لحاجة الناس لما يُؤلِّف، فالشَّيخ مُقبل -رحمه الله- من المُتأخِّرين لكنهُ ألَّف أشياء تحتاجها الأُمَّة فصار اسمُه يُذكر مع المُتقدِّمين، فقد ألَّف كُتُباً ورسائل تحتاجها الأُمَّة مثل مشروعيَّة الصَّلاة في النِّعال، وذم المسألة، وغيرها من كُتُبِه النَّافعة الَّتي احتاجتها الأُمَّة. اهـ

وكذلك لعلَّ الشيخ -رحمه الله- على طريقة بعض المشايخ في هذا كالشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-، فقد عاش الوصابي -رحمه الله- طوال حياتِه يكتب ويُحقِّق حتى جاءهُ المَوت ولهُ أكثر من ثمانين مُؤلَّفا لم يخرج منها إلا اليسير.

وقد تم طباعة ملزمة بشرح الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- في أيَّام تدريسه في دمَّاج على كتاب الدَّراري، وكان -رحمه الله- يقول : أنا غير راضٍ عنها، ولمَّا جاء واستقرَّ في دار

الحديث بالفُيُوش شرح الكثير من الكُتُب، وألقاها على طُلَّابِه، وهذه الشُّرُوحات تدلُّ على تضلُّع الشَّيخ وتمكُّنِه في العلم، وتدقيقه للمسائل العلمية -رحمه الله-.

وهذا دأب كثير من العُلماء في زماننا يعتنون بالشَّرح من الكُتُب والإلقاء على الطُّلَّاب ، ثم يقوم طُلَّابهم بتفريغها وكتابتها فإن كان الشَّيخ على قيد الحياة قرأها ونقَّحها وشكر من نشرها، وإن كان الشَّيخ قد مات راجعها كبار طُلَّاب هذا الشَّيخ ونشروها بين الناس بِرًّا بشيخهم، ونفعاً لإخوانهم من طُلَّاب العلم في كل مكان وعلى هذا الكثير من كُتب العلَّامة ابن العُثَيمين -رحمه الله-، والعلَّامة الوالد ابن باز رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار.

ومن هذا الباب فقد شكلت لجنة من خيرة طُلَّاب العلم، ومن طُلَّاب شيخنا -رحمه الله- وتحت إشراف شيخنا المُبارك عبد الله بن مرعي العدني -حفظه الله تعالى- ونفع به الإسلام والمُسلمين، وذلك للاعتناء بِتُراث الشَّيخ العلمي، وتفريغ شُروحاته -رحمه الله- على كثير من الكُتُب الَّتي شرحها، ثُمَّ بإذن الله -تعالى- يتم طباعتها وإخراجها لِطُلَّاب العلم من باب نشر علم الشَّيخ -رحمه الله-.

والكُتُب الَّتي يتم الآن تفريغها ومراجعتها هي :

١) شرح منهج السَّالكين للشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-، وقد أفاد الشَّيخ وأجاد ووفَّى بالمُراد في شرحه لهذا الكتاب.

٢) شرح تفسير السَّعدي -رحمه الله- إلى آخر درس درَّسه في حياتِه عند قوله -تعالى- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[النساء : ٤٩] من سورة النساء.

٣) شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي.

٤) شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٥) شرح القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٦) شرح الأصول السِّتَّة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٧) شرح كشف الشُّبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٨) شرح فضل الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

٩) شرح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

١٠) شرح كتاب الجامع في العبادة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-.

١١) باب المنهيات من رياض الصالحين.

١٢) فتاوى النساء.

١٣) شرح الأربعين النووية.

١٤) شرح البيقونية.

١٥) شرح الباعث الحثيث.

١٦) شرح نُزهة النظر.

١٧) شرح نُخبة الفِكر.

١٨) شرح اللَّامية لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

١٩) شرح الحائيَّة لابن أبي داود -رحمه الله-.

٢٠) شرح الميئية في السِّيرة.

٢١) شرح تلخيص صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٢٢) فتاوى عامَّة.

٢٣) خُطب الشيخ عبد الرحمن العدني -رحمه الله-.

٢٤) الاختيارات الفقهيَّة عند الشيخ عبد الرحمن العدني -رحمه الله-.

هذه بعض الكتب الَّتي يجري العمل فيها، وبعضُها قد تم تفريغها والانتهاء من العمل فيها، نسأل الله -تعالى- أن يُيسر بطباعتها وإخراجها نفعاً للإسلام والمُسلمين.

مشايخه

للشيخ -رحمه الله- عدة مشايخ أخذ عنهم العلم الشرعي.

فمنهم ـ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-، فقد لازمه من عام ١٤٠٨هـ إلى أن توفِّي الشيخ مقبل -رحمه الله- في عام ١٤٢٢هـ، وربما خرج دعوة لمدَّة يسيرة بأمر الشيخ مقبل لهُ؛ فلا يصبر على فراق الشيخ، وسُرعان ما يرجع إلى شيخه، وقد قال لي الشيخ -رحمه الله- عندما كان يُرسلني الشيخ مقبل -رحمه الله- لأمسك مسجد لمدَّة ولو يسيرة كأَنَّهُ وضع على ظهري جبلاً، ويصعب عليَّ مفارقة الدَّار والشيخ.

ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي -رحمه الله- قال شيخنا عبدالله بن مرعي -حفظه الله تعالى- في كلمةٍ عن أخيه الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، وهو يتكلَّم عن رحلة الشيخ عبد الرحمن إلى دمَّاج لطلب العلم قال : حضرنا عند كبار طُلَّاب الشيخ مقبل كالشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي حضرنا درسه في الطَّحاوية ودروسه الأخرى في العقيدة، وحضرنا لبعض طُلَّاب الشيخ في اللُّغة، ثُمَّ حضرنا للشيخ مُقبل مُباشرة في درس ابن عقيل ودرسه في العلل، وكذا الدُّروس العامَّة.

ومن جُملة مشايخه هؤلاء العُلماء الأجلَّاء وهم :

١- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

٢- فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-.

٣- فضيلة الشيخ محمد بن صالح العُثَيمين -رحمه الله-.

٤- فضيلة الشيخ عبد المحسن العبَّاد.

٥- فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظ الله الأحياء منهم، ورحم الأموات.

وقد قُدِّمَ لشيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- سُؤال نصُّهُ :-

س : هل يسَّر الله لكم التلقِّي على ابن باز والألباني وابن عُثَيمين والفوزان والعبَّاد؟

فقال الشيخ : حضرنا لهم مجالس اللهم لك الحمد أدركت الشيخ ابن باز في مجالس خاصَّة، وبعض المُحاضرات العامَّة أيضاً يسَّر الله -عليه السلام- لي اللِّقاء بالشيخ الألباني في مُخيَّم الحج، وهي كانت مرَّة واحدة في حياتي على مدى ثلاثة أيَّام، وهو يُلقي النَّصائح والإرشادات، ويُجيب عن الأسئلة في عام ١٤١٠ من الهجرة، وأيضاً الشيخ الفوزان حضرنا لهُ والشيخ العبَّاد أكثر من حضرنا لهُ في المسجد النَّبوي، وأيضاً حضرنا للشيخ العُثيمين نسأل الله -تعالى- أن يغفر لهؤلاء العلماء، وأن يرحمهم وأن يحفظ الأحياء منهم[١].

---

(١) ((ومرجع هذا الجواب مسجَّل عندي بصوت الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله تعالى-)).

ثناء العلماء عليه

لقد زكَّى الشَّيخَ عبدَ الرحمن -رحمه الله- عُلماءُ الدَّعوة السَّلفيَّة في اليمن وخارج اليمن ممَّن جالس الشَّيخ، ومِمَّن سمع عن علمه وأخلاقه وطُلَّابِه وجِدِّه واجتهادِه في نشر دعوة التَّوحيد والسُّنَّة حتَّى لَقِيَ الله على ذلك -رحمه الله-.

فمن العُلماء الَّذين أثنوا على الشَّيخ عبد الرحمن :

شيخُه الإمام مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-، فقد كان مُعظِّماً لهُ مُتفائِلاً فيه داعياً لهُ آمِراً طُلَّابه بالدُّعاء لهُ، فمن ثنائه عليه كما هو مُسجَّل بِصَوتِه إلى الآن قوله -رحمه الله- :

الأخ عبد الرحمن ادعوا لهُ جميعاً أنَّ الله يُثبِّتهُ، وأن يَصرِف عنهُ كُلَّ سوءٍ ومكروه، فإذا ثبَّتَهُ الله -سبحانه وتعالى- سيأتيه طلبة العلم من اليمن، ومن خارج اليمن، وهو أهل لأن يُرحل إلَيه -حفظه الله تعالى-.

وقال فيه أيضاً : تعلمون أنَّ مقام الشيخ عبد الرحمن بن مرعي العدني الحضرمي، وعندما نقول الحضرمي العدني لأنَّ أصلَهُ حضرمي، وانتقل إلى عدن تعلمون أنَّهُ من أقرب إخوانه، وقد قام بخدمة عديدة لإخوانه في الله في التَّدريس، وحُسن الرِّعاية، وأيضاً -حفظَهُ الله تعالى- على صِغَر سِنِّه رجلٌ حكيم مُحنَّك، وقد زار إخوانهُ بِعدن؛ فاستفاد منه إخوانُهُ العدنيُّون أيُّما إفادة، وهو بحمد الله مبرِّز في الفِقه، فكثيراً ما أسألهُ عن بعض المسائل جزاهُ الله خيراً، نعم وكثيراً أيضاً ما تحصل

مناقشة بيننا وبينه فيها فوائد تُشَدُّ إليها الرِّحال أسأل الله أن يُبارك فيه، وفي علمه، وأن ينفع بِهِ الإسلام والمُسلمين.

وقال الإمام الوادعي : أخونا عبد الرحمن -حفظه الله تعالى- يُرجى أن ينفع الله بِهِ حضرموت كلها ليس الشِّحر فحسب.

وقال الإمام الوادعي: أقول الشيخ عبد الرحمن وأخوه عبد الله بن مرعي ذهبا إلى الشِّحر، والتفَّ طلبة العلم حوله.

وقال الإمام الوادعي: الأخ عبد الرحمن إن شاء الله سيُستفاد منهُ في حضرموت -بإذن الله تعالى-، وبحمد الله هو من ذوي الغيرة على الدِّين، ومن ذوي المحبَّة لدعوة أهل السُّنَّة، فأنصح إخواننا الحضرمِيِّين أن يلتفُّوا حَوله، وأن يستفيدوا من عِلمِه، فإنَّ الأُمور تتقلَّب، والعراقيل تحصُل وما ندري أيدوم لنا هذا الخير الَّذي نحنُ فيه، ونرجو أن يدوم أم تحصُل عراقيل، ويحصل ما يُنغِّص على أهل السُّنَّة حالهم، فليس لأهل السُّنَّة إلَّا الله -ﷻ- نعم، فَرُبَّما إتيان عبد الرحمن إليهم خير لهم من أن يكيل لهم بالزَّنبيل ذهباً وورِقاً خير لهم لأنَّهُ يُعلِّمهم دينهم، والنَّبي -ﷺ- يقول كما جاء في الصَّحيحين : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» نعم تلكُمُ الجُمُوع المُكثَّفة الَّتي بحمد الله رأيناها تُشجِّع، فالأخ عبد الرحمن أرجو من الله أن يُثبِّتنا وإيَّاهُ، وأن يدفع عنَّا وعنهُ كُلَّ سوء ومكروه سيرون منهُ ما يَسُرُّهُم من أخلاق فاضلة، ومن فهم لكتاب الله وسُنَّة رسول الله -ﷺ-.

وكان يقول الإمام الوادعي إذا اختلفنا في مسألة فمرجعنا عبدالرحمن وقال -رحمه الله- : وفي الشحر عالمان فاضلان الشيخ عبد الرحمن بن مرعي العدني مُبرِّز في الفقه الإسلامي وأدلَّتِه، وكذلك أيضاً مُبرِّز في اللغة العربية، وفي علم الحديث جزاهُ الله خيراً.

وغير هذا من ثناء الوادعي على الشيخ عبد الرحمن، وإلى أن فارق الحياة وهو راضٍ عن الشَّيخ عبد الرحمن وعن دعوَتِه وعِلمِه، وبُرهان ذلك وصيَّة الشَّيخ مُقبل -رحمه الله-، فقد أوصى بالرُّجوع إلى العُلماء من طُلَّابِه، وذكر منهم الشَّيخ عبدالرحمن -رحمه الله-.

وكان الإمام الوادعي رُبَّما تَعِب في الإجابة عن الأسئلة، فيقول : قم يا عبد الرحمن أجب؛ فقد يستحي الشيخ عبد الرحمن عن القيام بالإجابة عن الأسئلة بوجود شيخه، فيصرُّ الشيخ مُقبل ويقول : قُم يا عبد الرحمن، ائتوا بعبد الرحمن فيقوم الشيخ عبدالرحمن ليُجيب عن السُّؤال، وشيخه يسمع ويدعو لهُ.

وليُعلم أنَّ اختيار الشيخ مقبل للشيخ عبد الرحمن ليقوم بالإجابة بين يديه واختياره لهذا الأمر دون غَيرِه من مئات الطُّلَّاب ليدُلُّ على معرفة الشيخ مُقبل بتلمِيذِه البار، وبمستواه العِلمي وقدرِه الرَّفيع عند الشيخ مقبل-رحمه الله-.

وكان الإمام الوادعي -رحمه الله- : إذا أشكلت عليه مسألة في الدَّرس العام كثيراً ما يُقيم الشيخ عبد الرحمن، ويسأله عن هذه المسألة، ويقول لهُ : أنا أسألك سؤال استفادة

لا سُؤال اختبار يا شيخ عبد الرحمن؛ فيُجيبُه الشيخ عبد الرحمن، ورُبَّما جاء إلى عند كُرسي الشيخ ليُجيب.

وقال لهُ مرَّة في الدَّرس العام : إنّي لأهابك يا عبد الرحمن[١].

وقال الإمام الوادعي -رحمه الله- في كتاب التَّرجمة (٤٥) : قد أصبح مرجعاً لإخوانِهِ في عُلُومٍ شتَّى.

وفي إحدى المرَّات كان يحيى الحجوري يقرأ الأسئلة على الشَّيخ مُقبل -رحمه الله-، فقرأ عليه سؤالاً أجاب عنهُ الإمام الوادعي، ثُمَّ قال : عندك شيء يا عبدالرحمن؟ تفضَّل فقام الشيخ عبد الرحمن وفصَّل في المسألة، فقال الشَّيخ مقبل -رحمه الله- : طيِّب حفظك الله، وجزاك اللهُ خيراً[٢].

وقال شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- :

صار الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- في طلبه في دمَّاج مُتميِّزاً حتَّى أحبَّهُ الشيخ مقبل -رحمه الله-، وقَرَّبهُ كأنَّهُ ابن لهُ، وأذكر من حُبِّه لهُ أنَّهُ عرض عليه الزَّواج وحثَّهُ على ذلك.

---

(١) حدَّثني بهذا كثير من الإخوة الَّذين سمعوا هذا من الشيخ مقبل -رحمه الله تعالى-.

(٢) ومرجع ثناء الإمام الوادعي على الشيخ عبد الرحمن العدني -رحمهما الله تعالى- هو التواتر بحيث سمعه المئات من طُلَّاب الشيخ مقبل -رحمه الله تعالى-، وهو كذلك مُسجَّل بصوته إلى الآن في شريط بعنوان : ثناء الإمام الوادعي على الشيخ عبد الرحمن العدني، وانظر موقع علماء ومشايخ الدعوة السَّلفية باليمن، وكذا شريط بعنوان : (نصيحة علَّامة اليمن لأهل حضرموت).

واستفاد من شيخنا مُقبل من دُرُوسه، ومن مساءلته خاصَّة في مسائل الحديث حتَّى صار من مراجع دمَّاج في الحديث وعلله، وقد استفاد بعد الله وتوفيقه من شيخنا مقبل من مُذاكرته ومساءلته ... اهـ

ثناء الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه اللّه تعالى-:

وممن أثنى على الشَّيخ عبد الرحمن وعلى منهجه وأخلاقِه الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- في عدَّة لقاءات، وخاصَّة في أيَّام فتنة الحجوري، بل أصدر بياناً في تبرئة الشَّيخ عبد الرحمن ممَّا نُسِبَ إليه من كلام من الحجوري وطُلَّابِه، فقال -حفظه الله تعالى- في البيان الَّذي أنزله في منزله بمكَّة المكرمة بعد مغرب يوم الأربعاء : ١٧/ ٤/ ١٤٢٩هـ.

ومما قال فيه إنَّ الشَّيخ عبد الرحمن على ثغرٍ عظيم من أفاضل الناس.

ومما قال : والله لو كان أحد الطرفين مبتدعا لرفعنا صوتنا عليه، وبيَّنا بدعَتَه (وبالفعل فقد حذَّر بعد هذا من الحجوري، ومن طريقته أشد تحذير) وبقي الثناء على الشَّيخ عبد الرحمن وعلى دعوته -رحمه الله- إلى الآن.

ومما قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالى- في الشيخ عبد الرحمن : لا تُكلِّموني في عبد الرحمن فقد خبرتُهُ؛ فوجدتُهُ ذهباً صافياً.

وقد حضر هذا المجلس، وسمع هذا الثناء مجموعة من طُلَّاب العلم والمشايخ الفُضلاء منهم شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى-، ونشره في الشبكة أبو حمزة الجزائري وغيره.

وقد حدَّثني الأخ الفاضل مصطفى جرهوم -حفظه الله تعالى- قال حدثني الأخ أكرم عرب أنَّهُ قال : دخلتُ عند الشيخ ربيع ومعي مجموعة من الإخوة الأفاضل ومعنا الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- فقال الشيخ عبد الرحمن للشيخ ربيع : عندي بعض الأسئلة يا شيخ، فقال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالى- : **شيءٌ يُشكل عليك يا شيخ عبد الرحمن، يُرفع إلى اللجنة الدَّائمة** ... ثُمَّ أجاب الشيخ ربيع عن أسئلة الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، وقد راسلتُ الأخ أكرم عرب وعرضتُ عليه هذا؛ فأقرَّهُ.

وفي حج هذا العام ١٤٣٩هـ دخل على الشَّيخ ربيع -حفظه الله تعالى- مجموعة من الشَّباب، ونقلوا عنهُ أنَّهُ قال : عبد الرحمن منَّا ونحنُ منهُ، أو بمعنى هذا الكلام، وأثنى على الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-.

وقال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالى- : الشيخ عبد الرحمن ما عندهُ حزبيَّة نحنُ نعرف الرَّجُل، وقد زكَّاهُ شيخُه الوادعي، واختارهُ أن يكون من المشايخ الَّذين يُرجع إليهم عند الفتن(١).

وحدَّثني شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ ربيعاً، والشَّيخ وَصيَّ الله عبَّاس قد أجازا الشَّيخ عبد الرحمن، في كُلِّ مرويَّاتِهم (لفظاً).

وكذا فقد أثنى على الشيخ عبد الرحمن وعلى علمه ونهجه وأخلاقِهِ الكثير من علماء أهل السُّنَّة ممَّن لهم القدم الرَّاسخ في هذه الدعوة المباركة، ولو ذكرتُ كل ما قالوه في الشيخ عبد الرحمن لطال المقام، فمن المشايخ الفُضلاء على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ الفاضل محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل سليمان الرّحيلي -حفظه الله-، والشيخ الفاضل وصي الله عبَّاس -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل صالح السُّحيمي -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل عبد الرحمن العُميسان -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل محمد بن عبد الوهاب الوصابي -رحمه الله-، والشيخ الفاضل محمد بن عبد الله الإمام -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل

---

(١) المرجع : رسالة ((الاختصار لبيان ما في طريق الحجوري من أضرار))صـ٣.

وكان في المجلس الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله تعالى-.

والشيخ البُرعي، والشيخ الذَّماري، والشيخ الصَّوملي وكاتبه وناقله الشيخ الإمام حفظ الله الجميع.

عبدالعزيز بن يحيى البُرعي -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل عبد الله بن عُثمان الذماري -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل محمد بن صالح الصَّوملي -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل عُثمان السَّالمي -حفظه الله تعالى-، وشيخنا الفاضل عبد الله بن مرعي العدني -حفظه الله تعالى-، وغيرهم كثير من مشايخ وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة في اليمن وخارج اليمن.

طلاب الشيخ رحمه الله تعالى

أماعن طُلَّاب شيخنا عبد الرحمن غفر الله له فإن من الصعوبة أن أذكر هنا ولو عشرهم وذلك لكثرتهم جدا وأستطيع أن أقول بلا منازع عادل أن معظم طلَّاب الإمام الوادعي -رحمه الله- تعالى تتلمذوا على شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- سواء من أهل اليمن أومن الغرباء الذين رحلوا لطلب العلم إلى اليمن .

وأسأل الله تعالى أن ييسِّر لي بجمع طُلَّاب الشيخ في كتاب مستقل، ونذكر فيه بإذن الله تعالى من لم نذكره هنا.

وسأذكر باختصار شديد بعض طُلَّاب الشيخ -رحمه الله-من المشايخ الذين يقومون حالياً بالتعاون وترتيب سير دار الحديث بالفيوش حرسها الله وبالتعاون مع الكثير من طُلَّاب الشيخ الذين لم نذكرهم هنا اختصاراً للمقام مع الإعتذار الشديد لمن لم أذكر هنا منهم حفظهم الله وسدد خطاهم.

فمنهم -على حسب ترتيب الأحرف الهجائية- كل من المشايخ الفضلاء :

الشيخ أحمد بن عربص الوادعي حفظه الله تعالى

الشيخ الخضر البيضاني حفظه الله تعالى

الشيخ أنيس المهندس اليافعي حفظه الله تعالى

الشيخ بشار العدني حفظه الله تعالى

الشيخ خالد الحبشي حفظه الله تعالى

الشيخ خالد مرجح حفظه الله تعالى

الشيخ صديق الشميري حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الحكيم الناخبي حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الحميد المقطري حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الرحمن السقاف حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الرحمن الضالعي حفظه الله تعالى (أبو حاتم)

الشيخ عبد الله المحروق حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الله الوحيشي حفظه الله تعالى

الشيخ عبد الله بن سالم الردفاني حفظه الله تعالى

الشيخ علي بن غالب حفظه الله تعالى

الشيخ محمد الحسوي حفظه الله تعالى

الشيخ محمد الخدشي حفظه الله تعالى

الشيخ محمد بن علي الضالعي حفظه الله تعالى

الشيخ مهدي الجونة حفظه الله تعالى

الشيخ ياسين الضالعي حفظه الله تعالى

الشيخ يسلم الصبيحي حفظه الله تعالى.

الشيخ في دمَّاج

كان الشيخ -رحمه الله- إذا ذكر أيام دمَّاج في زمن الإمام الوادعي -رحمه الله- يقول : كانت أيَّام جدّ واجتهاد، وبالفعل فلقد جاء الشيخ إلى دمَّاج مُتأخِّراً عن كثير من أقرانِه، ولكنَّهُ فتحٌ من الله عليه، فقد برز في وقتٍ يسير؛ لأنَّهُ استغلَّ الأوقات بالجدّ والاجتهاد مع ما يُعانيه من الأمراض في جسده حتَّى إنَّ الشيخ مُقبلًا -رحمه الله- لم يأذن لأحدٍ بالتَّخلُّف عن دُرُوسِه العامَّة إلَّا للشيخ عبد الرحمن ومعه رجُلٌ آخر.

قال شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- : كان الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- في غاية من الجدّ والاجتهاد في حفظ العلم، والحرص على الوقت، وكنتُ أكبر منهُ سِنَّاً ولكن أقل منهُ في الجدّ والاجتهاد[1] حتَّى إنَّهُ حفظ القُرآن قبلي، وحفظ رياض الصالحين قبلي، وحفظ بُلوغ المرام قبلي، وحفظ اللؤلؤ والمرجان قبلي، وحفظ ألفية العراقي وكُنتُ أُسمِّعها له، وكُنَّا نتذاكر العلم معاً في أوَّل الطلب رحمه الله رحمةً واسعة، وفقه الله للحرص على القراءة في الحديث والفقه، وبها كُنّا نستمتع بنصائح مشايخنا وعلمائنا؛ فلم يصل الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- إلى دمَّاج إلَّا وقد وُفِّق لقراءة تيسير العلَّام شرح عمدة الأحكام، وكنا قد تعاهدنا ألَّا نحفظ شيئاً إلا وقرأنا شرحه،

---

(١) وهذا من باب التواضع من شيخنا عبد الله -حفظه الله تعالى-، وإلَّا فقد كانا جميعاً في غاية الجد والاجتهاد كما حكى ذلك من زاملهما في الطلب.

وبفضل الله -تعالى- أتم قراءة تيسير العلَّام، ولمَّا أتم حفظ بلوغ المرام قرأ شرح البسام على بلوغ المرام، وكان حريصاً كذلك على قراءة كُتُب الحديث الأخرى، فما وصلنا دماج إلَّا والشَّيخ عنده حصيلة طيبة، فازداد علماً بملازمة الشيخ مقبل -رحمه الله-، وكانت للشيخ مقبل -رحمه الله- دروس حضرناها مباشرة في درس ابن عقيل، وفي العلل، وفي غيرها من الدُّروس العامة، وحضرنا عند كبار طلبة الشيخ مقبل كالشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي -رحمه الله- حضرنا درسه في الطحاوية، ودروسا أخرى في العقيدة، وحضرنا لبعض طُلَّاب الشيخ في اللغة، وكان أكثر جدِّه واجتهادِه مُساءلة الشيخ مقبل مع ما كان يقرأ فكان كثير القراءة قليل الراحة أكثر وقته في قراءة الكُتُب... فمن أعمر وقته بالحرص على العلم؛ فهذه ثمرته، ولذلك عرف قدره شيخنا مقبل رحمه الله رحمةً واسعة، وحُقَّ أن يُحيل إليه بالفتوى في النوازل الَّتي كانت ترد فيتشاور معه على صِغَر سِنِّهِ؛ لأنَّ هذا العلم الَّذي عنده لم يأتِ من فراغ إنَّما جاء بجِدٍّ واجتهاد، وحرص واستمرار، وصبر وعدم انشغال مع ما ابتُلِيَ به من أمراضٍ وأذية وبلاء ... وقد رغبنا أن يُمتِّعنا الله بوجوده، ولكن الخير فيما اختاره الله لنا ولهُ، ونسأل الله أن يجعل ما قدره له خيراً لهُ في آخرتِهِ. اهـ

كيف تعرَّف العلَّامة الوادعي على الشيخ العدني وباسمه أول مرَّة ؟

قال الشيخ أحمد عربص -حفظه الله تعالى- : وأذكر أول مرَّةٍ يعرف فيها الشيخ مُقبل الشيخ عبد الرحمن باسمه، وإنَّما كان يعرِفهُ صورة، وذلك أنَّ الشيخ مقبلًا في

درس من دُرُوسه قال : من يأتي بالمسألة الفُلانية، ويذكر فيها كلام الألباني، ولا يدع شاردة ولا واردة إلا ذكرها، ثم قال الشيخ مقبل : عند ذاك الفتى العدني، فقام الشيخ عبد الرحمن فذكرها كما هي، وكما طلب الشيخ، فقال الشيخ مقبل : أحسنت بارك الله فيك، فما اسمك ؟ قال اسمي عبد الرحمن؛ فمن حينها كان الشيخ مقبل يُناديه باسمه.

وفي تلك الأيَّام كان مع الشيخ عبد الرحمن حلقة كبيرة يُدرِّس فيها العقيدة الواسطية.ا.هـ

وقد حدَّثني الشيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله- أنَّه حضر أول درس للشيخ عبد الرحمن في دمَّاج في شرح الواسطية في عام ١٤١٣هـ.

قال : وفي عام (١٤١٦هـ) درسنا عنده كتاب الدَّراري وهو صغير في السِّن، ولكنه كبير في العلم...اهـ

برز الشيخ -رحمه الله- في سنٍّ باكر، فشيَّخه شيخه الوادعي، ولم يكُن بلغ الخامسة والعشرين، وأُعلِنت لهُ دورة علميَّة في عدن وهو في هذا السِّن. قال الشيخ أبو حاتم الضالعي -حفظه الله تعالى- : منذُ عرفت السُّنَّة والشيخ عبد الرحمن شيخاً، وكان بداية معرفتي بالشَّيخ بدعوة من أحد المُصلِحين دعاني للدَّورة الَّتي فتحها الشيخ عبدالرحمن يوم أن جاء من دمَّاج؛ فدخلتُ، وإذا بالطُّلاب يقولون : جاء الشيخ؛ فنظرتُ إلَيه فإذا بشاب لم يصل الخامسة والعشرين من عُمرِه، ولهُ مهابة في قُلُوب الناس، وإذا بِهِ يُدرِّس في عدة فُنون.

وقال الشيخ ياسين الضالعي -حفظه الله تعالى- : جاء الشَّيخ مجموعة من الزّائرين إلى دار الحديث بالفُيوش وقال الشيخ -رحمه الله- : اسبقني إلَيهم واجلس معهم حتى آتي، فإن لي منهم مُدَّة طويلة، قال : فلمَّا جاء الشيخ وجلس معهم قال رجُلٌ شائب كبير في السِّن : يا شيخ أتعرفني ؟ أنا درست عندك كتاب التوحيد قبل أكثر من عشرين عاماً، فذكر الشَّيخ -رحمه الله- هذا. اهـ

وكلمة شيخ وخاصة وهو في هذا السِّن الَّذي لم تأتِ من الإمام الوادعي من فراغ ولا مُجاملة ولا حتى تشجيعاً، بل هو الواقع والعلم الَّذي وصل إلَيه الشيخ -رحمه الله-.

فقد كان العلَّامة الوادعي -رحمه الله- يقول : إذا اختلفنا في مسألة فمرجعنا عبد الرحمن، نقله عنه الشيخ محمد الإمام -حفظه الله تعالى- ، وكذا نقلهُ غيره ممَّن سمع الشيخ مقبل يقول هذا.

وذكر الشيخ أنيس اليافعي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- لمَّا فتح الدَّورة الأولى في عدن بعد مجيئه من دمَّاج كان عُمره في الخامسة والعشرين، وكان يُفتي في البُيُوع والفِقه وهو في ذلك السِّن المُبكِّر، وقُلتُ لهُ مرَّةً يا شيخ قمتم بتلك الدَّورة وأنتم أصغر منَّا سِنَّاً، فقال -رحمه الله- كُنَّا في جدٍّ واجتهاد.اهـ

بل وكان الإمام الوادعي يُعلن دُرُوس الشيخ عبد الرحمن من على الكُرسي. أخبرني الشيخ أُسامة بن زيد الخوخي -حفظه الله تعالى- قال: كانت أول معرفتي بالشَّيخ عبدالرحمن -رحمه الله-، وأسكنه فسيح جنَّاته حين أعلن لهُ شيخُنا مقبل -رحمه الله- وأسكنه

فسيح جنَّاته ـ درس الدَّراري المُضيئة من على الكُرسي بدمَّاج، وقال الشيخ مقبل بعد إعلانه للدرس لولا أنِّي مشغول لحضرتُ درسه لأستفيد، وكان موقع الدَّرس بالمكتبة؛ فصعدنا وإذا بالمكتبة لا تتسع لكثرة الطُّلَّاب، وكُنَّا نصعد جرياً نتسابق لنكون أقرب إلى الشيخ -رحمه الله-. اهـ

وقال الشيخ حسن بن نور المروعي : جالستُ الشيخ عبد الرحمن سبعة عشر عاماً وهو جار لي في دمَّاج ما علمتُ منهُ إلَّا كل خير، وما سمعتُ منهُ إلَّا كُلَّ خير، وكانت حلقته في دمَّاج تُعتبر أكبر حلقة، وأكثر عدداً بعد الشيخ مُقبل -رحمه الله-، وكان يُعتبر المُفتي بعد الشيخ مُقبل كثير النَّفع لإخوانه ما أن يُكمل درساً حتَّى يفتح آخر، ولو قلت ما خلَّف الشيخ مقبل مثله في علم الحديث والفقه لما أبعدتُ الصَّواب..اهـ

بل قد يُفتي الإمام الوادعي بفتوى ثُمَّ يقول : نتثبَّت من أخينا عبد الرحمن؛ فيُفتي الشيخ عبد الرحمن بخلاف فتوى الوادعي؛ فيرجع الإمام الوادعي إلى فتوى الشيخ عبدالرحمن، ففي مرةٍ حصل أن جاء سؤال للإمام الوادعي -رحمه الله- وهو : هل يجوز إلقاء خطبة الجُمعة والعيدين بغير اللغة العربية علماً بأنَّ المُحدَّثين أعاجم ؟ الجواب من الإمام الوادعي بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : أمَّا بعد : الخُطبة الَّتي هي خُطبة الجُمعة مأمورٌ باستماعها والنَّبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : «مَنْ تَكَلَّمَ وَالإِمَامُ يَخْطُب؛ فَلَا جُمْعَةَ لَهُ»؛ فالَّذي يظهر لي أنَّ خُطبة الجُمعة، وكذا خُطبة العيد لابُدَّ أن تكون باللغة العربيَّة هذا، وقد توسَّع بعضهم، وأجاز أن يُصلَّى باللغة الفارسيَّة.

وإن شاء الله نتثبَّت من أخينا الفاضل عبد الرحمن -حفظه الله تعالى- ماذا عندك يا أخانا عبد الرحمن في خُطبة الجُمعة وخُطبة العيد ؟ فقال الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أمَّا بعد : فالظاهر والله أعلم أنَّهُ يجوز الخُطبة بغير اللغة العربية؛ لأنَّ المقصود من الخُطبة في يوم الجُمعة ويوم العيد هو تذكير النَّاس ووعظ النَّاس، وتعليمهم ما تيسَّر من دين الله تبارك وتعالى، ثُمَّ ذكر الشيخ التعليل، والدليل على هذا؛ فقال الإمام الوادعي : بارك الله فيك يا عبد الرحمن، ثُمَّ صار يُفتي بما قال الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-.

وحدَّثني الشيخ الخضر البيضاني -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ مُقبل سُئِلَ في مرةٍ عن رجل أرسلت معه أمانة؛ فضاعت، فقال الشيخ مُقبل يضمن، وسُئِلَ الشيخ عبدالرحمن فقال : لا يضمن؛ فراجع الشيخ مُقبل المسألة، ثم وجدها كما أفتى الشيخ عبد الرحمن، فقال الشيخ مقبل : بلِّغوهم أنَّ الشيخ عبد الرحمن يقول كذا وكذا، وهو الصَّواب

وفي فتاوى الإمام الوادعي في الحدود والجنايات الفتوى رقم (١٩) : سُئِلَ الإمام الوادعي -رحمه الله- س١ : المعمول به في الدِّية أن يدفع القاتل سبعمائة ألف ريال يمني هل هذه الدِّية الشَّرعية، وهل يجب عليه الجمع بين الصَّوم والدِّية ؟ فأجاب الإمام الوادعي بقوله : الدِّية جاءت أنَّها مائة ناقة، وجاء أيضاً أنَّها شيء من الحب، وكذا أيضاً من الفضة.

◘ القصد أنَّهم إذا تواطأوا على أمر، أي أولياء المقتول والقاتل تواطأوا على شيء واصطلحوا عليه يجوز سواء كان أقل من الدِّية الشرعية أم كان أكثر وأكثر وأكثر لو قال : أريد في صاحبي ثلاث ديات، والطرف الآخر يُريد إطفاء الفتنة، أو قال : نحن نحملها لا بأس بذلك إن شاء الله، والله المستعان. هل صحَّ شيء يا أخانا عبد الرحمن (العدني) في غير المائة ؟ أمَّا المرور فقد مرَّ بي أنَّ منها شيئا من الحب، وشيء من الدراهم لكن نسيت فقرة من السُّؤال، ثُمَّ يُجيب فضيلة الشيخ الفاضل عبد الرحمن -حفظه الله تعالى- : هذه الفقرة هي الكفارة والدِّية إذا كان قتل خطأ؛ فنعم تجمع بين الكفارة والدِّية إلَّا أن يُعفى عنك عن الدِّية والكفارة هي عتق رقبة، أو صيام شهرين مُتتابعين لا بُدَّ منهُ. أمَّا قتل العمد؛ ففيه الدِّية، وليس فيه كفَّارة. تفضَّل يا أخانا عبدالرحمن حفظك الله.

الشيخ عبد الرحمن العدني : بالنسبة للملابس والحبوب ما ثبت منها شيء فيما أذكُر الآن أمَّا بالنسبة للدَّنانير الظَّاهر ثبت ألف دينار، أو اثني عشر ألف درهم. والمائة من الإبل هذا محل اتفاق بين العُلماء لكن اختلفوا فيما عدا الإبل والله أعلم. الشيخ مقبل : حفظك الله وبارك الله فيك. (شريط الأسئلة الحضرمية).

كيف بدأت فكرة إنشاء مركز دار الحديث بالفيوش -حرسها الله تعالى-

أوَّلا : لعل الله -ﷻ- أراد أن يُحقِّق أُمنية الشيخ الإمام الوادعي -رحمه الله- حيث كان يرى في طالب من طُلَّابِه علماً وفِقهاً، وأدباً وتواضعاً، فقد كان الوادعي -رحمه الله- يقول كما هو مُسجَّل بصوته : الأخ عبد الرحمن ادعوا لهُ جميعاً أنَّ الله يُثبِّتُه، وأن يَصرِف عنهُ كُلَّ سوء ومكروه، فإذا ثبَّته الله -ﷻ-؛ سيأتيه طلبة العلم من اليمن، ومن خارج اليمن، وهو أهلٌ لِأَن يُرحل إلَيه -حفظه الله تعالى-. اهـ

فسُبحان الله مرَّت الأيام؛ فحقَّق الله فِراسة الإمام الوادعي -رحمه الله-، فقد رحل إلى الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- من شَتَّى دول العالم حتَّى إنَّ الإخوة الغُرباء الَّذين جاءوا من خارج اليمن، ومكثوا هنا في مركز الشيخ -رحمه الله- كثير جدَّاً، فمثلاً الَّذين جاءوا من إندونيسيا يبلغون ألفاً أو أكثر من ألف كما حدَّثني الأخ آدم الأندونيسي بذلك، وهكذا من كثير من دول العالم، وهذا بفضل الله جل في عُلاهُ.

وحدَّثني الشيخ أنيس المُهندس -حفظه الله- أنَّ أحد طُلَّاب العلم من إندونيسيا باع بيته في بلاده، ورحل إلى الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- إلى دار الحديث بالفُيُوش.

ثانياً : بعد موت الإمام الوادعي -رحمه الله- اشتكى بعض أهل السُّنَّة في عدن للشيخ -رحمه الله- بأنَّ المُدُن ضيَّعت الأبناء، ولا يوجد لأهل السُّنَّة هُنا مركز ولا مأوى

يتجمَّعون إلَيه، والمراكز بعيده عنهم لمن أراد السَّفر إليها، ولاختلاف إمكانيات طُلَّاب العلم... وغيرها من مصالح ومنافع المراكز السَّلفيَّة القائمة على الدَّعوة الصَّافية النَّقيَّة.

وبدأ الإخوة يُلحُّون على الشَّيخ بضرورة فتح مركز يكون مأوى لأهل السُّنَّة وخاصَّة لعدن وما جاورها؛ فاستخار اللهَ الشيخُ، وقبل شراء الأراضي وتحديد موقع المركز أرسل الشيخ من يستشير المشايخ؛ فكان ممَّن ذهب إلى المشايخ عن طريق الشيخ الشيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى-، والأخ الفاضل أحمد بن علي الكشميمي المعروف بأبي علي البيضاني.

فبدأوا بالشيخ الوصابي -رحمه الله-، وغفر الله لهُ؛ فرحَّبَ بِالفكرةِ وفرح بها ، وكان مما قال لهم : انظروا أرضاً قريبة من عدن ولحج وأبين، وتكون كبيرة واسعة، وتكون فيها مقبرة ومُصلَّى للعيد، وأشار بأمور أُخرى نافعة -رحمه الله-، ثُمَّ انطلقوا إلى معبر إلى الشيخ الإمام؛ فرحَّب بالفكرة، وقال : توكَّلوا المراكز غذاء.

فعاد الإخوة الفُضلاء من هذه الرحلة المُباركة، وأخبروا الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- بما قالهُ المشايخ؛ فبدأ التَّسجيل (وهذا كُلُّه قبل كلام الحجوري).

حينها بدأ التَّسجيل في دمَّاج للرَّاغبين في شراء أرضية في المركز الَّذي سيفتحه الشيخ باستشارة العُلماء، وكان على كُلِّ بلدة مندوب يُسجَّل الرَّاغبين على حسب معرفته ومسؤوليَّته.

وخرج الشيخ -رحمه الله- من دمَّاج لينظر المكان المُناسب لإنشاء مركز بعيداً عن اختلاط المُدُن.

فالتقى بالشيخ بعض الإخوة الفُضلاء الَّذين كانوا يبحثون معهُ عن مكان مُناسب قال لنا الشيخ -رحمه الله- وكُلَّما وجدنا مكاناً استخرتُ الله -تعالى-؛ فلم يطمئن قلبي، فقد نظر الإخوة مكاناً في (العَلَم) وهو مدخل عدن، وفي (الوهط) في مدينة لحج، ولم يتم البيع لِحِكمَة أرادها الله، وفي أماكن أُخرى كثيرة.

فلمَّا جاء الإخوة وأروا الشيخ هذا المكان الَّذي هو مكان الدار اليوم في محافظة لحج -مديرية تبن منطقة الفُيوش (وهي تمتاز بكونها تقع بين ثلاث محافظات فبينها وبين مدخل محافظة عدن ستة كيلو متر وبينها وبين مدخل مدينة لحج عشرة كيلومتر تقريبا وبينها وبين مدينة ابين خمسة وخمسين كيلومتر تقريبا.) - قال الأخ أبو علي البيضاني، فلمَّا رآها الشيخ همس في أُذُني، وقال : كرِّسوا الجهد في هذا المكان، واطمأن الشيخ لهذا المكان قال : فاشترينا بعض الأراضي، والبعض قد دفعنا عربوناً فيها. وحينها اشتد الكلام في دمَّاج من الحجوري، وكان في بداية الأمر على أساس أنَّ مركز دمَّاج بحاجة إلى الشيخ عبدالرحمن؛ فكيف يترك المكان، فقام الحجوري وتكلَّم أمام الأُلُوف كلمته المشهورة وهي مُسجَّلة بصوته إلى الآن، فكان ممَّا قال فيها أخونا الشيخ عبد الرحمن العدني ذو القدم الرَّاسخ، وذو العقل الراجح، وذو العلم المتين أسأل الله أن يجزل الأجر والمثوبة للشيخ عبد الرحمن لما يُقدِّمهُ لهذه الدَّعوة من قبل ومن بعد،

ولما عليه من التواضُع الجَمّ الَّذي أكرمه الله بِهِ، ومنحَهُ إيَّاه إنَّ دعوةً يقوم عليها الشيخ عبدالرحمن وأمثالُه يُرجى واللهِ خيرُها، ويُرجى نشرُها، ويُرجى فتحُها، ويُرجى نفعُها، ويُرجى محبَّة الناس لها إخواننا يثقون به في كل صغيرةٍ وكبيرة، وأنا أعرف هذا وأنا والله أجلُّه من قبل ومن بعد كان شيخُنا الوادعي يحيل عليه في المسائل والمُعضلات.اهـ

وبعدها اجتمع المشايخ في دمَّاج، وتحمَّلوا المشاق، وكان خُلاصة الاجتماع إلزام الشيخ يحيى بعدم الكلام في الشيخ عبد الرحمن، وإلزام الشيخ عبد الرحمن بتوقيف التَّسجيل لمركز الفُيوش لأمور رآها المشايخ؛ فحصل أنَّ الشيخ عبد الرحمن وقَّف التسجيل، ولكن الحجوري لم يُنفِّذ ما ألزمه به العُلماء[1].

بل عاد للكلام في العُلماء بأسوأ ممَّا كان، والله المستعان.

وحدَّثني الشيخ الفاضل عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى- أنَّهُ دخل على الحجوري، فقال لهُ : هل عندك اعتراض على إنشاء مركز للشيخ عبد الرحمن قال : فقال لي : لا والله ما أنا مُعترض، قال ولكنَّ العجيب أنَّهُ إذا جلس على الكُرسي نَسِيَ كُل ما كان أو تناسى، وعاد يتكلَّم في الشيخ عبد الرحمن، وفي كثير من المشايخ وطُلَّاب العلم بأكثر ممَّا كان ...اهـ

---

(١) (انظر رسالة ((الاختصار لبيان ما في طريق الحجوري من أضرار صـ٣)) للشيخ محمد بن عبد الله الإمام).

وحدَّثني الأخ الفاضل مصطفى جرهوم -حفظه الله تعالى-قال: قال لي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى لما صدرت من الحجوري أول كلمة عليَّ في دماج ذهبت إلى بيته فلما دخلت عليه بشَّ فيَّ واكرمني فقلت له أي شيء تريده مني أرسل إليَّ حتى مع هذا الغلام وأشرت إلى طفل صغير كان موجودًا وأنا آتيك في أيِّ وقت واتفقنا على هذا فما مرت أيام حتى عاد يتكلم فيَّ مرة أخرى.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾

بدأ الحجوري باستخدام حدد موقفك، وبِطرد بعض الإخوة من بُيوتهم، وبتوقيف دروس البعض، واشتدَّت الفتنة في دمَّاج حينها اجتمع العلماء في دار الحديث بمعبر في تاريخ ١٢/ ٤/ ١٤٢٨هـ، وتم استدعاء الشيخ عبد الرحمن والشيخ الحجوري، فلبَّى الطلب الشيخ عبد الرحمن، وتحمَّل السفر مع ما بِهِ من مرض وتعب؛ لأجل الصُّلح ولمِّ الشَّمل، ولم يحضر الشيخ الحجوري هذا الاجتماع، قال الشيخ الإمام في رسالته «الاختصار لبيان ما في طريق الحجوري من أضرار» صـ٣ : ثُمَّ بعد مُدَّة حصل أن خرج الشَّيخ عبد الرحمن من دار الحديث بدمَّاج، وذهب إلى عدن؛ فقال الشَّيخ يحيى : لا يرجع عبد الرحمن إلى دمَّاج، فتواصلنا مع الشَّيخ يحيى وقُلنا لهُ يكفي كلامكم إلى هنا على الشَّيخ عبد الرحمن، ولكنَّهُ استمرَّ في كلامه على الشيخ عبدالرحمن، وبعد مُدَّة من مُتابعة المشايخ لقضيَّة الخلاف المُذكور، وإصرار الشيخ يحيى على تحزيب الشيخ عبد الرحمن رأوا أن يستدعوا الشيخ عبد الرحمن للجُلوس معه، والنظر فيما يُنسب إلَيه من الحزبيَّة، وكان الاجتماع في دار الحديث بمعبر، وبموافقة الشيخ يحيى؛ فحصل الاجتماع بالشيخ عبد الرحمن العدني، والمُناقشة له وبعد ذلك رأى المشايخ إنزال بيان لإنهاء الخلاف، فصاغوا البيان، وقرأوه على الشَّيخ يحيى عبر الهاتف، ووافق على إنزال البيان، وبعد أن نزل البيان اتَّصل الشيخ يحيى وقال : إنَّهُ غير موافق على البيان حتَّى يأتي الشيخ عبد الرحمن العدني، ويعتذر عنده في

دمَّاج، فقال المشايخ : البيان قد نزل، ومجيء الشيخ عبد الرحمن سيكون في المستقبل؛ فأبى الشيخ يحيى إلَّا نقض الاتِّفاق، والرَّد على البيان ممَّا جعل الخلاف يشتد أكثر ...اهـ

وإِلَيك نصَّ البيان : الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبه وسلَّم، وبعد فإننا قد التقينا في مدينة معبر مع الشيخ عبد الرحمن العدني، وتكلَّمنا معه فيما نسبه إلَيه الشيخ يحيى الحجوري من تكتيل طلبة العلم وتحزيبهم حوله، فوجدنا منهُ كلاماً تنشرحُ لهُ الصُّدور، وأفاد بأَنَّهُ مع إخوانه مشايخ أهل السنة ودعوته دعوتهم، وأي شيء يراهُ أهل السنة؛ فقولُهُ من قولهم، وليس الَّذي جرى من الكلام من الشيخ يحيى داعياً إلى إحداث فُرقة في وسط الدَّعوة السَّلفية ... إلى آخر البيان، وفي آخره أسماء المشايخ الَّذين كتبوا هذا البيان وهم :

الشيخ : محمد بن عبد الوهاب الوصابي العبدلي

الشيخ : محمد بن عبد الله الإمام.

الشيخ : عبد العزيز بن يحيى البُرعي.

الشيخ : عبد الله بن عُثمان الذَّماري.

الشيخ : محمد بن صالح الصَّوملي.

الشيخ : عبد المصوِّر العرومي.

الشيخ : عُثمان السالمي.

الشيخ : عبد الرحمن بن مرعي العدني.

وقد تعقب هذا البيان مُباشرة بكلام شديد من الحجوري؛ فبدَّل فرحة أهل السُّنَّة بحزن بعد أن نفع الله بهذا البيان نفعاً عظيماً. وفي العام الَّذي بعدَهُ يسَّر الله الحج لمشايخ أهل السنة باليمن بمن فيهم الحجوري، ولم يتيسر للشيخ عبد الرحمن العدني، فتمَّ اجتماع المشايخ عند الشيخ العلَّامة ربيع المدخلي -حفظه الله-.

قال الشيخ محمد الإمام -حفظه الله- في رسالته «الاختصار لبيان ما في طريق الحجوري من أضرار» صـ٣-٤ : وبعد مُدَّة ذهبنا للحج : الشيخ يحيى، والشيخ محمد ابن عبد الوهاب الوصابي والشيخ الذَّماري، والبُرعي و الصَّوملي والإمام، ولم يحُج الشيخ عبد الرحمن العدني ذلك العام، فتواعدنا على أن نلتقي جميعاً عند والدنا الشيخ ربيع -حفظه الله تعالى-؛ فالتقينا عندهُ، فقال الشيخ ربيع للشيخ يحيى : يا شيخ يحيى، الشيخ عبد الرحمن ما عندهُ حزبيَّة نحنُ نعرف الرَّجُل، وقد زكَّاهُ شيخُه الوادعي، واختاره أن يكون من المشايخ الَّذين يُرجع إِلَيهم عند الفتن وكلاماً نحو هذا، ثُمَّ وجَّهَ الشَّيخ ربيع كلاماً إلى الحاضرين، فقال : هل ترون أنَّ عبد الرحمن حزبي ؟ فالمشايخ قالوا : ما نرى عندهُ حزبيَّة، فقام الشيخ ربيع مع موافقة المشايخ لهُ، وطلب من الشيخ يحيى أن يتراجع عن كلامه في الحُكم عليه بالحزبيَّة، وطلب مِنَّا أنَّنا إذا رجعنا إلى اليمن نستدعي عبد الرحمن، ونطلب منهُ أن ينزل بياناً على أنَّهُ يبرأ إلى الله ممَّن يطعن في دمَّاج، وأنَّهُ لا يرضى بالطَّعن في الشيخ يحيى، وبهذا ينتهي الخلاف، وتسير الدَّعوة على ما

ينبغي أن تسير عليه من الهُدوء والتَّعاون وسد أبواب الفتن؛ فقبل الشيخ يحيى هذا الكلام في ذلك الوقت، فرجع المشايخ إلى اليمن وهم حريصون على تحقيق ما تمَّ الاتِّفاق عليه عند الشيخ ربيع، وما قاله الشيخ ربيع وارتضينا به؛ فوافق الشيخ عبدالرحمن على إنزال البيان حسب ما طلب منهُ الشيخ ربيع والمشايخ، وأنزل البيان، فما كان من الشيخ يحيى إلَّا أن نقضه بشريطين تكلَّم فيهما على المشايخ الَّذين نفَّذوا ما طلب منهم الشيخ ربيع وذكرهم بما ذكرهم به من الطَّعن ...اهـ

ممَّا أدى إلى اجتماع لمشايخ أهل السُّنة في الحُديدة في ٥/ ١/ ١٤٢٩هـ، وكان ممَّا في البيان :

الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبه وسلم وبعد، فإنَّهُ قد تمَّ صُدُور بيان مشايخ أهل السُّنَّة في معبر بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٤٢٨هـ بخصوص قضية الشيخين يحيى الحجوري وعبد الرحمن العدني، وكان في ذلك البيان الخير الكثير، والنُّصح من المشايخ لجميع الأطراف. ونظراً لما استُجِدّ بعد ذلك في القضيَّة بعد صُدُور البيان المذكور آنفاً سعى المشايخ في إنهاء المُستجدات بين الطَّرفين، وقد يسَّر الله اللِّقاء لمشايخ أهل السُّنَّة بالشيخ ربيع بن هادي المدخلي في موسم حجِّ عام ١٤٢٨هـ، وكانت الزيارة لهُ في منزله، وتمَّت مُذاكرة كثير من المسائل العلميَّة والدَّعوية، وطرقت قضية الشيخ يحيى والشيخ عبد الرحمن، وبحضور المشايخ المُشار إليهم آنفاً، وهم:

محمد صالح الصَّوملي ، ويحيى بن علي الحجوري، وعبد الله بن عُثمان الذَّماري، ومحمد بن عبد الله الإمام، وعبد العزيز البُرَعي.

وكان في ذلك المجلس من الخير ما تنشرحُ لهُ صُدُور أهل السُّنَّة، وتقَرُّ بِهِ عُيُونهم، وكان خُلاصة المجلس بعد المُناقشة : أنَّ الشيخ يحيى بن علي الحجوري يكُف عن الكلام في الشيخ عبد الرحمن، ووافق الشيخ يحيى على ذلك.

وأنَّ الشيخ عبد الرحمن يتبرَّأ ممَّن تكلَّم في الشيخ يحيى ومركز دمَّاج، ومن تكلَّم فإنَّما يُمثِّل نفسه، ولا يُمثِّل عبد الرحمن، وقد صدر في ذلك بيان مرافق لهذا البيان في تأريخه من الشيخ عبد الرحمن مُنفِّذاً ما طُلِبَ منهُ ... إلخ.

ولكن سُرعان ما عاد الحجوري ومن معه للكلام أشد ممَّا كان سابقاً، فأنزل الشيخ العلَّامة الوالد ربيع المدخلي حفظه الله نصيحة لأهل اليمن في منزله بمكَّة بعد مغرب يوم الأربعاء ١٧/ ٤/ ١٤٢٩هـ كان من أهم ما جاء فيها : فأنا أنصحكم بحفظ ألسنتكم عن الخَوض في هذِهِ الفتنة، وأن تتآخوا فيما بينكم. وممَّا ذكر أنَّ الشيخ عبد الرحمن على ثغرٍ عظيم من أفاضل الناس.

وممَّا ذكر أنَّهُ قال : يا إخوة، لا نأمن من الدَّس أن يكون هُناك في كُلِّ جهة اثنان أو ثلاثة من أهل الفتن مدسوسين.

وممَّا قال -حفظه الله- : السُّكُوت ما أحد يتكلَّم في أخيه؛ لأنَّهم ليسوا أهل بدع، والله لو كان أحدُ الطَّرفين مبتدعاً لرفعنا صَوتنا عليه، وبيَّنَّا بدعته لكن ليس فيهم

مبتدع، وليس فيهم داعية إلى بدعة ليس فيهم شيء فيهم أغراض شخصية، -والله- أشعلها كما قُلتُ هؤلاء المدسوسون .... إلخ.

فكان هذا البيان تزكية وتبرئة للشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، وأنَّ الكلام فيه عن حظٍّ نفسٍ فقط ليس لشيءٍ آخر، وفي شهر رمضان المُبارك عام ١٤٢٩هـ سُئِلَ الشيخ عبد المُصوِّر العرومي القائم على مركز السُّنَّة بمُريس، وكان السُّؤال في جدَّة؛ فأجاب بما يلي :

((الحمد لله اجتمعنا مع مشايخ اليمن، وكلمتنا واحدة على أنَّ الشيخ عبد الرحمن العدني ليس بحزبي)).

وكان الشيخ -رحمه الله- يتحمَّل كل شتمٍ وسبٍّ وعناء من أجل لَمِّ الشمل، ومن أجل مصلحة الدعوة، وقدَّم عِدَّة تنازُلات للصُّلح منها أنَّهُ قال :

والله لو أمرني المشايخ أن أخرج، وأترك هذا المكان وأنَّ فيه مصلحة للدَّعوة لخرجتُ.

ومن حِرصِه على لَمِّ الشمل وعدم الفُرقة أنَّهُ في آخر أيَّامِ الخلاف، وقبل أن يُحذِّر العُلماء من الحجوري وأتباعِه تحرَّك للصُّلح الشيخ الوقور خطيب أهل السُّنَّة باليمن الَّذي نزل لهُ الإمام الوادعي من على المنبر ليخطُب الجُمعة إنَّهُ الشيخ عبد الله بن عُثمان الذَّماري -حفظه الله تعالى-، فقال لهُ الشيخ عبد الرحمن : قُل للمشايخ مستعد أن أوقِّع على ورقةٍ بيضاء، فما ترونَهُ أمضوهُ.

اللهُ أكبر، والله إنَّهُ لكلامٌ يدل على تديُّن وتواضُع وعدم الكبر والانتصار للنفس، حُب لَمِّ الشمل، والمُحافظة على الأُخُوَّة[١] بعكس الطَّرف الآخر الَّذي يقول : والله لا أُبالي أن أبقى وحدي، ولا أُبالي بلحيةٍ بيضاء أو سوداء، وأنا وربِّي عالم وخلفي الأُلُوف وغيرُه من الكلام المُسجَّل الَّذي زاد الفتنة اشتعالاً، فلم يقبل الحجوري ومن معه الصُّلح الَّذي سعى بِهِ الشيخ عبد الله بن عُثمان الذَّماري -حفظه الله تعالى-.

فكان ما قد سَمِعَهُ القاصي والدَّاني من فِتنةٍ كبيرة بين أهلِ السُّنَّة والجماعة لا تزال آثارها إلى الآن مع تراجُع الجم الغفير إلى صفِّ العُلماء مِمَّن قد تعصَّب وسبَّ وشَتَمَ وبدَّع وفسَّق، وأخرج أُلُوف الطُّلَّاب عن السُّنَّة، وكذا تطوَّر الكلام على كُلِّ العُلماء في اليمن، وبُدِّعُوا وحُزِّبُوا، ثم استمر العُدوان إلى الكلام على الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ محمد بن هادي المدخلي وغيرهما من العُلماء.

ولستُ هُنا في مقام رصد كُلّ ما في الفتنة، وإنَّما المُراد بيان حقيقة ما حصل؛ فلا إله إلَّا الله كم فَرَّقت من جُمُوع، وكم كَثُر فيها القيل والقال، وكم نيل فيها من أعراض العُلماء والدُّعاة والصُّلَحاء، وقلَّ فيها الورع، وتصدَّر فيها الأحداث، ودخل في الصَّف من ليس منهُ؛ فلا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله، وإنَّا لله وإنَّا إلَيه راجعون.

---

(١) حدَّثني الشيخ الخضر البيضاني -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ عبد الرحمن قال لهُ : وإني أدعو الله إن كان في إنشاء المركز نفع للإسلام والمُسلمين أنَّ الله يُيَسِّر بقيامه، وإن كانت غير ذلك أنَّ الله يصرفه. فأقامه الله وكان نفعاً للإسلام والمُسلمين تُجنى ثماره إلى الآن بفضل الواحد المنَّان.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشُّعراء : ٢٢٧].

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء : ٤٧].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر : ٣٠-٣١].

بدء العمل في المركز

في عام١٤٢٨هـ يسَّر الله -ﷻ- للشَّيخ -رحمه الله- نصف فدَّان من الأرض، وهو الَّذي فيه بيت الشيخ -رحمه الله- حينها بدأ العمل بتخطيط مُحكم ومنظَّم لمواقع المساجد، والشَّوارع وكم بين كُلِّ بيت وآخر.

وهكذا بدأ العمل بجدّ ونشاط، والجميع مُتفائل بخير بدأ العمل في هذه الأرض اليابسة القفر الَّتي لا بيت فيها مُسبق، ولا مُستشفى، ولا صيدلية، ولا بئر، ولا دُكَّان.

فكان من أول ما بُدِئ به بناء بيت الشَّيخ -رحمه الله-، فقد استدان لبناء بيته كما كلَّمني بعض من ديَّنَهُ من الإخوة (فقضى ما عليه من دَين بعد مُدَّة).

وكذا بدأ أحد الإخوة يبني بيتاً وكذا بدأ العمل ببناء مسجد (٢٤×٢٤)، وفي مؤخرته صرح (٢٤×١٧)، الَّذي هو الآن سكن الطُّلَّاب العُزَّاب، وكان هذا المسجد يبعُد عن بيت الشَّيخ ٣٠٠ متر تقريباً.

وكان الشيخ يمشي في حر الشَّمس وشِدَّة الرِّيح، ولَديهِ إيمان عميق، وتوكُّل على مَولاهُ، وتفاؤل عظيم؛ فحقَّق الله مُرادهُ، وأجاب الله دُعاءه، ووفَدَ إلَيه النَّاس أفواجاً من شتَّى بِلاد العالم ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحُجرات : ٨].

فلمَّا رأى الناس الشيخ قد سكن وصبر وتحمَّل توافَد الناس من كُلِّ فجٍّ، وبدأوا في البناء لبُيوتهم كل واحد يبني بيته من ماله الخاص وكلٌّ على حسب استطاعته، وبدأ

العُمران الهائل ينتشر بجدّ ونشاط، وحُفِرَت الآبار، وتوفر الماء، وهذا كُله بفضل الله ورحمته، ثُمَّ بحب الناس للشيخ ولعلمه وللجلوس بين يديه.

ولم يتكفل بالبِناء حزب ولا جمعية ولا مُنظمة ولا دولة لأنَّ دعوة أهل السُّنَّة كما هو معروف لا تخضع لحزب ولا لمنظمة ولا لطائفة ولا لسياسة، بل يقودها علماء أجلَّاء بالدَّليل من كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ- على فهم سلف الأُمَّة.

بدأ الشيخ بالتَّدريس في المسجد بين مغرب وعشاء مواصلة لكتاب الدَّراري المُضيئة الَّذي كان قد بدأ بتدريسه لِطُلَّابِه في عدن، ثُمَّ لَمَّا أكمله درَّس في صحيح مُسلم، وكذا درَّس سلسلة في التوحيد من الأُصُول الثلاثة إلى كتاب التوحيد من حفظه -رحمه الله-، وهكذا كُلَّما أكمل كتاباً فتح كتاباً آخر.

ويَسَّر الله مطبخاً للطُّلَّاب العُزَّاب، وكذا يَسَّر الله ببناء مُصلَّى للنِّساء.

حينها أقبل الطُّلَّاب بكثرة وكثر الزِّحام وامتلأ المسجد، وكان الشيخ -رحمه الله-، وبعض التُّجار الخَيِّرين الَّذين نسأل الله -تعالى- أن يُبارك لهم في دينهم ودُنياهم، وأن يُبارك لهم في أموالهم وعافيتهم وكل من أعان في إقامة ودعم هذا المركز المُبارك؛ فإنَّهم قد أعدُّوا لهذا اليوم، واشتروا مكان المسجد الكبير اليوم، وجعلوا من أرض الوقف تسعة فدَّان لصالح المسجد، فبدأ العمل ببناء المسجد الكبير؛ فجزاهُم الله خيراً، وكان بناء المسجد (٦٠×٤٨)، وفيه ٢٨ صفَّاً ثمانية وعشرون صفًّا يسع كُل صف ١٣٠ مائة وثلاثين مُصلِّياً، وجُملة ما يسع المسجد ٣٦٤٠ ثلاثة آلاف وستمائة وأربعين مُصلِّياً،

وفي مُؤخِّرة المسجد صرح كبير طول (٦٠×٣٠) وفيه اثنان وعشرون صفًّا على تفصيل المسجد، ويسع من المُصلِّين ٢٨٦٠ ألفين وثمانمائة وستون مُصلِّياً.

وفي غرب المسجد صرح بطول (٢٤×٩٠) وفيه ٥٧ سبعة وخمسون صفًّا

ليكون جُملة ما يتَّسِع لهُ المسجد مع الصَّرح اثنا عشر ألف وخمسمائة إلى ثلاثة عشر ألف مُصلِّي.

وهذه المساحة الكبيرة لم يكُن متوقَّع أن تزدحم بِالمُصلِّين، وإذا بالمُفاجئة في أول يوم تم افتتاح المسجد في يوم الإثنين السابع من شهر ربيع أول لعام ١٤٣٢هـ وكانت في هذا اليوم زيارة الشيخ العلَّامة محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-، والشيخ عُثمان السَّالمي -حفظه الله تعالى-، وكانت مُشاركة عبر الهاتف لفضيلة الشيخ العلَّامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، والشيخ الفاضل محمد بن عبد الله الإمام -حفظه الله تعالى-.

وثُلَّة مُباركة من المشايخ وطُلَّاب العلم، فإذا بالمسجد يمتلئ مع الصَّرح ومع المكتبة الَّتي في السطح، وصلَّى بقيَّة الناس على خِيَم في الخارج في المساحة الغربية للمسجد.

ولم أرَ فيما أعلم هذا الامتلاء للمسجد مع الصرح إلَّا يوم افتتاح المركز، ويوم صلى الناس على شيخ الدَّار رَحِمَهُ الله رحمة الأبرار.

وكذا توجد مكتبة في مقدّمة سطح المسجد بطول ٥٥ متراً في عرض ١٢ اثني عشر متراً، وبجانبها غرفة لاستقبال الضُّيُوف بطول (٣٩ × ٦).

وبجانبها ٦ ستة حمامات، وبداخلها فرش ومكيِّفات ومراوح، وكلّ ما يُريح الضَّيف والزَّائر، وكذا في مؤخرة صرح المسجد مسجد للنساء مكوَّن من ثلاثة أدوار كلّ دور (١٨ × ٦٠)، ومع ذلك فالثَّلاثة الأدوار مزدحمة بطالبات العلم، والمُدرِّسات جزاهُنَّ الله خيراً نسأل الله أن يُيَسِّر بتوسعة كُبرى لمسجد النساء، وكذا توجد مدرسة عن يمين المسجد بمساحة (٥٥×١٢) مكوَّنة من دَورين وعظم، وهي مُزدحمة كذلك بالطُّلَّاب.

وتحقَّقت أمنية الإمام الوادعي -رحمه الله-

حدَّثني الشيخ صالح اليافعي -حفظه الله تعالى- :

أَنَّهُ كان في درس الشيخ مقبل وهو يشرح الحديث الَّذي جاء عند الإمام أحمد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : «يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»، فقال الإمام الوادعي عند ذكرهِ وشرحه لهذا الحديث، ولا يلزم أنَّ نُصرة دين الله -تعالى- تكونُ بالسِّلاح، فقد تكون بالعلم الشَّرعي، فإخواننا العَدَنِيُّون عندهم إقبال على العلم الشَّرعي، فيا حبَّذا لو طالب علم مستفيد يفتح لهم مركزاً في بلادهم للعلم؛ فإنَّهُم لا يستطيعون الخروج إلينا ...اهـ

فالحمدُ لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحاتُ، فقد حقَّق الله -تعالى- لشيخنا الوادعي -رحمه الله- أُمنيَّتَهُ، وفُتِحَ مركز للعلم الشَّرعي، ونسأل الله -تعالى- أن يُحقِّق لنا ما في الحديث من نُصرة الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بتعلُّم العلم الشَّرعي، والعمل به والدَّعوة إليه.

نسال الله -تعالى- أن يغفر لشيخ هذه الدَّار ومُؤسِّسها شيخنا عبد الرحمن العدني، وأن يحفظ شيخنا عبد الله بن مرعي، وجميع مشايخ وطُلَّاب وسُكَّان دار الحديث بالفُيُوش، وجميع بلادنا وبلاد المُسلمين.

مقتطفات من كلام المشايخ والدُّعاة في يوم فتح دار الحديث بالفُيُوش حرسها الله

أوَّلاً : كلمة ترحيبيَّة لصاحب الدَّار ومُؤسِّسها الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن عُمر ابن مرعي العدني -رحمه الله-.

بدأ بخُطبة الحاجة، ثُمَّ قال: أمَّا بعد، فنحمَدُ الله - الَّذي يسَّر لنا هذا الاجتماع، وهذا اللِّقاء الَّذي نسأل الله -تعالى- أن يجعله مُباركاً، ونحمدُ الله على نِعَمِهِ العظيمة وآلائِهِ الكثيرة الَّتي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وصدق الله - إذ يقول في كتابه الكريم : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل : ١٨].

نحمد الله على نعمة الإسلام والسُّنَّة، ونحمد الله ﷻعلى نعمة الاجتماع على الحقِّ المُبين الَّذي دعانا إلَيه ربُّنا في كتابه، وحثَّنا عليه نبيُّنا -ﷺ- في سُنَّتِه، هذه الاجتماعات عباد الله تُعتبر تنشيطاً للدَّعوة، وفُرصة للقاء الإخوة والأحبَّة، فدعوةٌ من بدء بفضل الله -تعالى- قامت على الدَّعوة إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسول الله -ﷺ- لم تقُم من أوَّل أمرها على اجتماع على دُنيا، ولا على حزبية مقيتة، ولا على جمعيَّة، ولا على عصبيَّة، ولا على طائفيَّة، وإنَّما جمع الله -تبارك وتعالى- بين القُلُوب بين العرب والعجم بين صاحب الشرق والغرب على كتاب الله وعلى سُنَّة رسوله -ﷺ-؛ فهذا

فضل من الله يتفضَّل بِهِ على من يشاء من عِباده، فانظر إلى هذا الاجتماع الَّذي وفَّق الله أهل الدَّعوة الواحدة، والمُحبُّين لهذه الدَّعوة، والمُحِبُّين لكتاب الله وسُنَّةِ رسولِهِ -ﷺ- كيف اجتمعوا من أماكن بعيدة، وتجشَّموا الصِّعاب، وتحمَّلوا المسافات لا لرغبة للوصول إلى دُنيا مُنقضية، ولا إلى شيءٍ من حُطام الدُّنيا، وإنَّما الَّذي حملهم على ذلك هو الحُبّ في الله، والتواصل من أجل الله -تبارك وتعالى-، فاحمدوا الله يا أهل السُّنَّة على هذِهِ النِّعمة، وعلى هذا الفضل. ولا يسعنا في هذا المقام القصير إلَّا أن نُرحِّبَ بجميع الحُضُور الَّذين جاءوا لِشُهود هذا الاجتماع نسأل الله ﷻأن يجزيهم عنا خير الجزاء، ولا ننسى في مثل اجتماعنا هذا أن ندعوا لشيخنا الإمام الوادعي -رحمه الله-، وأسأل الله ﷻأن يرحمه رحمةً واسعة، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يرفع درجته عاليةً في الآخرة والأولى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [سورة النساء:٦٩]. ذلكم الإمام الَّذي بذل، والَّذي ضحَّى والَّذي نصح لدينه ولدعوته ولعموم المُسلمين دعا إلى الله، وحثَّ على التَّمسُّك بالقُرآن والسُّنَّة، وأقبل الله -تبارك وتعالى- بِقُلوب العِباد على هذه الدَّعوة الصَّافية، وهذه الدَّعوة النَّقيَّة، فنحنُ بحمد الله ممَّن ترعرع وعاش

دهراً بِفضل الله -تعالى- في دار الحديث في دمَّاج هذه الدَّار الَّتي تُعتبر الأُمّ لهذه الدُّور الَّتي يسَّرها الله -تبارك وتعالى-.

دار الحديث بدمَّاج الَّتي أُسِّست من أول يوم على تقوى الله -تعالى- انتشرت السُّنَّة، وانتشرت الأُخُوَّة العظيمة، وشيخنا لم يزل من أوَّلِ أمرِهِ صابراً مُحتسباً لم يَكَلّ ولم يَفتُر، ولم يهدأ لهُ بال في اللَّيل والنَّهار وهو يدعو إلى كتاب الله، وإلى سُنَّةِ رسُولِهِ -ﷺ- تهاوت دعوات أهل الباطل بين أقدام الصَّادقين والدُّعاة النَّاصِحين، وكَثُرَ الرَّاغِبون وزاد المُحِبُّون، وتتابع الأعداد الكثيرة على هذه الدَّعوة المُباركة، وهكذا يسَّر الله لنا من بعد ذلك المركز الأُم بدُورٍ للحديث ومراكز لأهل السُّنَّة كانت بفضل الله مصدر إشعاع وخيرٍ ونشر ودعوةٍ وثباتٍ على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسول الله -ﷺ-، وعلى رأسِ هذه المراكز دار الحديث بالحُديدة القائم عليها فضيلة الشيخ الوالد العلَّامة محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -حفظه الله تعالى-؛ فإنَّهُ بحق يُعتبر أباً لأهل السُّنَّة في اليمن لم يزل ناصحاً ومُعلِّماً ومُربِّياً، ولم يزل داعياً إلى كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، وهذا شيخٌ مُبارك لا يُحِبُّ المدح لكن وفاءً بِحَقِّه، فإنَّهُ يا أهل اليمن دفع الله عنا كثيراً من الفتن بثبات العُلماء العاملين، وهكذا بقية العُلماء والمشايخ الَّذين نفع الله بهم البلاد والعباد دار الحديث بمعبر القائم عليها فضيلة الشيخ العلَّامة محمد بن عبد الله الإمام -حفظه الله تعالى- ذلكم الرَّجُل المُجاهد النَّاصح فيما نحسَبُهُ والله حسيبُه لم يزل حريصاً على جَمعِ الكلمة، وعلى حُصُول الأُلفة، وعلى الدَّعوة إلى كتاب الله وسُنَّة

رسول الله -ﷺ- رزقهُ الله التؤدة والحِكمة وطول التجربة، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء، وهكذا بقية الآباء والمشايخ الشيخ عبد العزيز البُرعي، والشيخ الصَّوملي ، والشَّيخ الذَّماري، والشيخ عثمان السَّالمي جزى الله الجميع خير الجزاء على جُهُودهم ....

ولا ننسى أن نُذكِّركم بالموعد الَّذي يسَّره الله -تعالى- مع فضيلة الشيخ العلَّامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- ذلكم الإمام الكبير الَّذي كما يعرف الجميع أنَّهُ يُعتبر إمام الجرح والتعديل، ويُعتبر بِحقّ أباً للسَّلفِيِّين، فالله -تعالى- أكرمنا بهؤلاء الأئمَّة والآباء الإمام ابن باز، والإمام العُثَيمين، والإمام الألباني، والإمام الوادعي، والإمام العباد، والشيخ السُّحيمي والجابري، والشيخ صالح الفوزان حفظهم الله -تعالى- لكن يُعتبر الشيخ ربيع حقيقةً أباً للسَّلفيِّين في العالم يُناقش قضاياهم، ويتفقَّد أحوالهم ويدعو ويثبت، ويصبر على القُرآن والسُّنَّة أسأل الله -تعالى- أن يرفع درجة الجميع، وأن يُثبِّتنا وإياكم على دينه، وعلى سُنَّة نبيِّه -ﷺ-.

-كلمة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- عبر الهاتف إلى دار الحديث بالفُيوش

بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على رسول الله -ﷺ- ذكر -حفظه الله تعالى- قوله -تعالى- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[الأحزاب : ٧٠]، وذكَّر بتقوى الله، وأنَّ القَول السَّديد بأن يتحرَّى الحق، ويتحرَّى الصِّدق في كُلِّ ما يقول في حال الرِّضى، وفي حال الغضب مع القريب والبعيد مع الصديق والعدو مع كُلِّ فئات

الناس يتعامل بالصِّدق والقول بالصِّدق «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»، وعليكم بتقوى الله، ومراقبته والصِّدق في الأقوال والصِّدق في الأحوال، والصِّدق مع الله -تبارك وتعالى-، والصِّدق مع عباد الله أجمعين، وأوصي نفسي وإياكم بالإخلاص لله -تعالى- في كُلِّ قول وعمل، والله -تعالى- لا يقبل من عِباده أي عمل إلَّا مقرون بالإخلاص، ولو كان مشروعاً إلَّا بالإخلاص وابتغاء وجه الله ﷻ، فعلينا بالإخلاص لله -تبارك وتعالى- في كلّ قول وعمل في عباداتنا في صلاتنا في صيامنا في حجِّنا في بِرِّنا في صِلتنا لأرحامنا أن نبتغي بها وجه الله -تبارك وتعالى-، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البيِّنة : ٥]؛ فلا يكون الدِّين قيِّماً إلَّا بالإخلاص، وأحثُّكم على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- في الأقوال والعبادات، والسِّياسات والأخلاق كما أمر الله -تعالى- ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، وذم الله التفرُّق أشدَّ الذَّم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ الله يبرئ رسوله ممَّن يُفرِّقون الدِّين، فاحذروا كُلَّ الحذر من تفريق الدِّين، وتفريق الإخوان، وأن نُحاول أن نكون

صفًّا واحداً، ومن عندهُ خطأ يتراجع بكلِّ سُهولة ولُطف، ولا يُكابر ولا يُعاند، وعلينا بتقوى الله، ونبذ التفرُّق بكلّ أسبابه ووسائله، ولا نسعى ولا نتسبب في كلّ ما يُؤدِّي إلى الفُرقة، وعلينا الحذر فإنَّ التفرُّق والله شر، ومن أخلاق الكُفَّار لا من أخلاق المُسلمين ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم : ٣١-٣٢]، فإيَّانا والتفرُّق، وإيَّاكُم والتعصُّب، وإيَّانا والتقليد الأعمى، وعلينا أن نسلُك مسلك الرَّسول والصحابة الأطهار، والسَّلف العظام التمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله، والبُعد عن البِدَع والأهواء، وعن كُلِّ أسباب الاختلاف، فإنَّ في ذلك شرًّا كبيراً، وفيه دناءه، وفيه ضعف لقوَّة الحق، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾[الأنفال : ٤٦]إذا اجتمع أهل السُّنَّة على الحق قَوِيَت شَوكَتُهُم ثُمَّ أوصى بعد هذا بالتَّراحُم والتَّآخي، فإنَّ هذا أمرٌ مهم، والتعاوُن على البِرِّ والتقوى، فإنَّ التعاون على البِرِّ والتقوى من أهم مقاصد الشَّريعة، والتعاون على الإثم والعُدوان أهم معاول لهدم الشَّريعة، وحثَّ الشيخ على الحُبِّ لوجه الله، وذكر الأدلّة في هذا، وفضائل الحُب في الله، وفوائد الحب لله -تعالى-

.

ثُمَّ قال أسأل الله أن يجعل هذا الاجتماع اجتماعاً طيِّباً بارك الله فيكم، وأن يكون سبباً لالتقاء القُلُوب والتآلُف وطرد الشَّيطان من الميدان، فإنَّ الشَّيطان يعيش بالفُرقة ويفرح بها، -واللهِ- يفرح الأعداء بالاختلاف بين المُسلمين، وبين السَّلفِيِّين بِصفةٍ

خاصَّة نسأل الله أن يُؤلِّف بين القُلُوب، وأن يجمعنا على حُبِّ الله -تبارك وتعالى-، وعلى تقواه، وعلى الإخلاص لهُ إنَّ ربَّنا سميع الدُّعاء، وصلى الله على نَبيِّنا محمد، وعلى آلِهِ وصحبه وسلم.

كلمة الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- بعد كلمة الشيخ ربيع المدخلي قال فيها :

نشكر لشيخنا الإمام العلَّامة ربيع المدخلي -حفظه الله- هذه المُشاركة، وهذه النَّصائح الغالية والمُفيدة في الحثِّ على التَّمسُّكِ بكتاب الله وسُنَّة رسوله، والحِرص على الأُخُوَّة الدِّينية، وعلى الأُخُوَّة الإسلاميَّة الَّتي أكرمنا الله ﷻ بها، ولا ننسى أن نسأل الله أن يُعظم الأجر والمثوبة لأهل الصَّدقة والخير الَّذين ساهموا في بناء هذا المسجد ومرافقه، ونسأل الله أن يخلف لهم بخير، وأن يُبارك لهم في أموالهم وأزواجهم إنَّهُ جوادٌ كريم وهو أرحم الراحمين.

كلمة الشيخ محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله تعالى

بدأ الشيخ محمد الإمام -حفظه الله تعالى- بالحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسوله صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّم، ثُمَّ قال : نحمدُ الله ﷻ العلي القدير الَّذي يسَّر لنا هذا التواصُل مع إخواننا في دار الحديث بالفُيُوش؛ فهذا من نعمة الله -تعالى- علينا أن نتواصل، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصَّبر، وقبل أن أدخُل في كلمتي أقول جزى الله عنَّا، وعن الإسلام خيراً من كان السبب في جمعِكم المُبارك، فنسأل الله بِمَنِّهِ وكَرَمِه، وفضلِهِ وإحسانِه أن يُعظِم الأجر والمَثوبة لمن قام بِبناء دار

الحديث بالفُيُوش، وأن يُبارِكَ لهُ في مالِهِ، وأن يُصلِح لهُ ذُرِّيَّته، وأن يُخلِفَ لهُ بِخَير في دُنياهُ وأُخراهُ، وأن يُبارك في كُلِّ من يُشارك في الخير، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله.

أيُّها الإخوة، إنَّهُ من النِّعمة الكبيرة العظيمة أن نُحافظ على دعوةِ الله ورَسولِه، ودعوةُ الله ورسُولِه هي دعوةُ الكتاب والسُّنَّة على ما كان عليه سلف الأُمَّة؛ فهذِهِ الدَّعوة المُباركة فيها الخير العظيم للمُسلمين في الدُّنيا والآخرة هذه الدَّعوة هي الَّتي ضَمِنَ اللهُ حفظها وتأييدها، والدِّفاع عنها، ورد كيد الكائِدين وإبطال مكر الماكرين، فندعو إخواننا إلى المُحافظة على هذهِ الدَّعوةِ المُباركة، فدعوةُ أهل السُّنَّة هي دعوةٌ لِصالح كُلِّ مُسلم الحاكم والمحكوم، ولِصالحِ جميع المُسلمين؛ فعليهم أن يقبلوا هذه الدَّعوة، وأن يأخذوا وافر الحظ والنَّصيب منها كيف لا وهي دعوة إصلاح على مِنهاج النُّبُوَّة لا على الفِتَن والثَّورات والانقلابات، وهي دعوة تعاون لكن على البِرِّ والتقوى عكس كثيرٍ من الدَّعوات الَّتي أهلها يجتمعون على الباطل، وكذلك دعوةُ أهل السُّنَّة دعوة نُصرةٍ للمظلوم بالطُّرُق الشَّرعية هذهِ الدَّعوة تُحارب الظُّلم لكن ليس بالثَّورات ولا الانقلابات، فدعوةُ أهل السُّنَّة صمَّامُ أمانٍ لو قَبِلُوها وعَمِلُوا بِها، فهي دعوةُ صمَّام أمان من جميع الفِتَنِ، فليس المُسلمون إلى شيءٍ منهم أحوج إلى التَّفَقُّهِ في دين الله، والعمل بذلك، فدعوةُ أهل السُّنَّة تقومُ على العلم الشَّرعي، وعلى العمل بِهِ، وبِمُقتضاهُ بالتعليم وبِناء دُور الحديث، وأن ينتشر الخير أكثر وأن يتفقَّهَ المُسلمون .... فكم لدعوةِ أهلِ السُّنَّةِ من مصالح عامَّة وخاصَّة، وكم فيها من منافع كبيرةٍ للفردِ

وللجماعة وللشُّعُوبِ وللدُّوَلِ بحمدِ الله ربِّ العالمين ... ألا وإنَّ دُور الحديث قد نفع اللهُ بها نفعاً عظيماً بدءاً من الدَّار الأولى دار الحديث بدمَّاج حرسها الله، وكذا الدُّور التَّابعة للسُّنَّة في اليمن، وهذه الدَّار هي إحدى دُور أهل الحديث في اليمن أسألُ الله أن يُوفِّقَ القائِمين عليها، وأن يُثيبهم في الدُّنيا والآخرة، وأسأل الله التوفيق لنا جميعاً، وأوصِي إخواني بالإخلاص لله، وبِالصِّدقِ مع الله ﷻ، والثَّبات على الحقِّ بِحُسن التَّمسُّكِ والاتِّباعِ ظاهِراً وباطِناً، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله.

كلمة الشيخ الوالد العلَّامة محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آلِهِ وصحبه، أمَّا بعد :

فقد سمعنا خيراً كثيراً، وبعضنا يكمل بعضاً، ودعوةُ أهل السُّنَّة واحدة نقول جزى الله الإخوة المشايخ المُتكلِّمين خير الجزاء سواء الَّذين حضروا أو شاركوا عبر الهاتف مثل الشيخ ربيع وفَّقهُ الله، والشيخ الإمام جزاهُ اللهُ خيراً الجميع جزاهم الله خيراً، وكذلك ما قالوهُ في أهل الخير الَّذين قاموا بهذا البِناء العظيم جزاهم الله خيراً على هذا التَّعاوُن على الخير والبِر والتقوى. إخواني في الله قد منَّ اللهُ عليكم بهذا المركز المُبارك في هذه المُحافظة، وفي هذه المحافظات المُتقاربة؛ فما على طُلَّاب العلم إلَّا الاجتهاد في طلب العلم، والإقبال على الخير، والعِناية بالقُرآن والسُّنَّة، وبِالعُلُوم الأُخرى النَّافعة حتَّى تقرَّ أعيُن المُجتمع بكم، وإنكم بالفعل استفدتم من هذا الخير،

وكذلك ما سمعتم من كلمة الشيخ ربيع الابتعاد عن الاختلاف، وحول جمع كلمة أهل السُّنَّة والجماعة هذا كلامٌ حقّ مأخوذٌ من الكتاب والسُّنَّة، فأهل السُّنَّة يأمرون ويَحُثُّون جميع المُسلمين على الهُدوء والسَّكينة، وإنَّ الخِلاف شرٌّ، فوصيَّتي لجميع الشُّعُوب الإسلاميَّة أن تأتَلِف، وأن تحذر من مكر الأعداء الَّذين يُريدون أن يُثيروا الشُّعُوب على حُكَّامهم هذا نذيرُ شرٍّ .....

الدِّيمقراطية تُعلِّم الفَوضى أنت حر أنت حر لا رحمة لصغير، ولا توقير لكبير، ولا إجلال لعالم إلَّا من رَحِمَ الله هكذا علَّمتهم الدِّيمقراطية أن يثوروا على حُكَّامهم وعلى شُعُوبهم، وعلى دِينهم وعلى كِبار السِّن، وعلى العُلماء فوضة في فوضة، فهذه الدَّعوة المُباركة دعوةُ أهل السُّنَّة نفع الله بها نفعاً عظيماً في اليمن، وفي غير اليمن تعلَّمُوا السكينة والوقار تعلَّموا الأدب والاحترام، والرحمة توقير الكبير وإجلال العالم .... والخِلاف بين أهل السُّنَّة هُنا في اليمن يسير لكن وَجَدَ لهُ من يُغذِّيه كما وجد من يُغذِّي الشُّعُوب للخروج على حُكَّامِها ... هو يسير ما يحتاج أن تُكبَّر القضايا، والمشايخ في اليمن جزاهم الله خيراً دخلوا مُصلحين، ونزلت تلك البيانات ببراءة الشيخ عبد الرحمن حفظه الله من الحزبيَّة، وأنَّهُ على الجادَّة على الكتاب وعلى السُّنَّة ...

المُحافظة على الأُخُوَّة أمرٌ واجِب. قال النَّبي -عليه الصَّلاةُ والسَّلام- : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»، فالشَّاهد أنَّ المُحافظة على الأُخُوَّة واجب،

ويأثم الإنسان إذا كان يُمزِّق هذه الأُخُوَّة بالغِيبة والنَّميمة، والسُّخرية والاستهزاء، وهذا ما يجوز هذا من كبائر الذُّنُوب؛ كما قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام : «يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»، فالشَّيخ مُقبل -رحمه الله- بذل جُهداً في هذه الدَّعوةِ المُباركة ما يجوز أن نُهدرها في أيَّام ولياليِ، والله علَّمنا وإن تنازعتم في شيءٍ فرُدُّوهُ إلى الله وإلى الرَّسول أي الكتاب والسُّنَّة، ومن الَّذي يفهم الكتاب والسُّنَّة ؟ أي العلماء الواجب على من اختلف مع آخر أن يعود إلى الكتاب والسُّنَّة عن طريق العُلماء مع حِفظِ اللِّسان، ومع الاحترام والتقدير ...

العُلماء والدُّعاةُ إلى الله ينبغي أن يترفَّعوا عن القيل والقال إذا كان بعض العوام من الأفاضل جزاهم الله خيراً ألسنتهُم مصونة، وهو عامِّي لكنَّهُ محترم، ويتَّقِي الله ويخشى الله لِسانُهُ محفوظ، فالعالم ينبغي أن يصون لسانه أكثر من العامِّي، وطالب العلم والدَّاعي والخطيب والَّذي يُحدِّث الناس ....

ونشكركم لهذا الحُضُور وهذا الاجتماع.

وفَّق الله الجميع لِما يُحبُّهُ ويرضاهُ وصلَّى الله على نَبيِّنا محمد وعلى آلِهِ وصَحبِه ومن والاه.

كلمة الشيخ الفاضل عثمان السَّالمي حفظه الله ورعاه

كانت للشَّيخ عثمان كلمةً طويلة نافعة ومُفيدة، وممَّا قال فيها -حفظه الله تعالى-:

إِنَّ مشايخنا في بداية الدَّعوة ابتُلُوا وصبروا وتحمَّلوا، وهذه الاجتماعات من ثِمار صَبرِهِم وتحمُّلِهِم .... وقال: لَمَّا رأيتُ هذا المكان في الفُيوش قُلتُ الحمدُ لله أهل السُّنَّة كُلَّ يومٍ يزدادون خيراً، ويزدادون نصراً، وسعة هذا من فضل الله على أهل السُّنَّة، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل: من الآية ٥٣].

مسجدٌ واسع يسع الآلاف الآن نرى جمعاً كبيراً المسجد ممتلئ، وخارج الصَّرح ممتلئ، وخارج السَّاحة هذا فضل الله عليكم، والله أسأل أن يحفظ هذه الجُمُوع وأهل السُّنَّة حيثُما حلوا.

هذا المسجد العظيم نرجو الله بأسمائه الحُسنى وصِفاتِهِ العُلى أن يجزي البانين خيراً الأخ محمد بن فارع، وإخوانه وشركاءَه، ومن عاونهم حتَّى بالمقال. أسأل الله أن يرفع ذكرهم، وأن يُوسِّع لهم في الدُّنيا والآخرة كما وسَّعوا على إخوانهم في هذه الدَّار أسأل الله أن يجزيهم قُصُوراً في الجنَّة من ذهبٍ وفِضَّة، وأن يُعوِّضُهُم في الدُّنيا السَّعة الحلال، وأن يدفع عنهم، وعن أموالهم كلّ سوءٍ ومكروه.

هذا المسجد لم يُبنَ للصَّلاة فقط، بل مرافقه كثيرة مكتبة علميَّة عشرات الأمتار مرافق للضُّيُوف مرافق لطلبة العلم هذا يُعتبر من أعظم دور العلم، وممَّا تقوم بِهِ السُّنَّة

في هذا البلد، ومن وفد عليهم. النَّبيُّ -ﷺ- يقول : «مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا، بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ» مُتَّفقٌ عليه هنيئاً من بنى لله مسجداً أخلص فيه بنى الله لهُ بيتاً في الجنَّة.

فالقائمون على الدَّار الواسع هذا أهل أن يقوموا بالتَّدريس فيه، فالشَّيخ العلَّامة الفقيه عبد الرحمن بن مرعي عافاهُ الله معروفٌ لدينا من زمان منذُ عشرين عاماً، ونحنُ كُنَّا زُملاء في دمَّاج، وهو يُدرِّس إخوانه الفقه، ويُدرِّس إخوانهُ مصطلحاً وغير ذلك من العُلُوم، وكان شيخُنا مُقبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُحيل عليه الفتوى، وعلى بعض المشايخ ..... وهذه الدَّار وهذهِ الجُمُوع الغفيرة. نعم هذه الدَّار وما تسبَّب نرجو أن يتحقَّق فيهم ما جاء في حديث رسول الله -ﷺ- الَّذي جاء عند الإمام أحمد، عن ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ رَسُول الله -ﷺ- قال : «يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»، وصحَّحهُ شيخُنا الوادعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- شباب عدن أبين وما جاورها نرجو أن يكون هذا المسجد وأمثاله أن يكونوا قد تسبَّبوا في هذا الخَير.

((يَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ)) نصرة الله ورسوله نُصرة دينه نُصرة القُرآن حفظ القُرآن العمل بالقُرآن ينصُرُون رسول الله -ﷺ-بعد مماته بالدَّعوة إلى سُنَّتِه والدِّفاع عن سُنَّتِه كما نصرها الصَّحابة والتَّابعون، ومن تَبِعهم بإحسان.

قصيدة ألقيَت في يوم افتتاح الدَّار واجتماع المشايخ

وهي من شعر الشَّيخ ياسين الضَّالعي -حفظه الله تعالى- :

قِفا نذكر خصال الرب فينا ... وأن الله أعطانا الكثيرا
عطايا ما استطعناها شكوراً ... وفضلاً سابغاً جزلاً وفيرا
ألَيس الجهل قد خارت قِوَاهُ ... ألَيس الكُفر قد ولَّى مُبيرا
ألم يُضفِ إله الحق نوراً ... فعمَّ الناس طِفلاً أو كبيرا
ولكن قبل ذا نبغي رُجُوعاً ... لنذكر كيف قد عشنا دُهُورا
أما كاد أقوامي جميعاً ... يشيدون القِباب أوِ القُبُورا
ألَيس البَغيُّ قد نالت يداهُ ... مخانق رُفقَتِي وأصاب زَورا
فلا يا إخوَتي لسنا لننسى ... زماناً قد سقانا الدَّا مريرا
وأيَّاماً طغى الصُّوفيُّ فيها ... كذا الشِّيعي طُغياناً كبيرا
أقاموا الشِّرْكَ في الأوطانِ جهراً ... وأحيَوْا في معاقلنا الكُفُورا
فسائِل عنهم جبلاً وسهلاً ... وَرُدُّوا طرفكم يبقى حسيرا
فوا حُزناهُ كم خانوا جُمُوعاً ... ووأسفاهُ كم ساقوا أسيرا
رجالاً قد أزاغوا أو نساءا ... غنيَّاً قد أضاعوا أو فقيرا
وإفكاً ينشرون خُزَعبلاتٍ ... وإلحاداً وتضليلاً خطيرا
وسحراً يدجلون وشعوَذاتٍ ... وترميلاً وتنجيماً حقيرا
وتقريباً شُمُوعاً مُسرجاتٍ ... فوا خزياهُ كم ناجوا قُبُورا

ولكـــن قـــد أراد اللهُ أمـــراً ... فعـــاد الحـــق وضَّـــاحاً مُنـــيرا
وشـــاء الله أن يختـــار فينـــا ... إمامـــاً للعلـــوم لنســـتنيرا
فجـــاء الله بالسَّـــيف الـــيماني ... وأعطـــى لليمانِيِّـــين خـــيرا
فمـــنَّ اللهُ فينـــا بـــابنِ هـــادي ... يُقـــيم الحـــق قـــد هجـــر الفُتُـــورا
فحـــلَّ بِأرضـــنا وبـــل الغـــمام ... ونالـــت أرضـــنا صـــيباً غزيـــرا
وبحـــر موجـــه يغشـــى الضـــلال ... وحـــبرٌ علمـــه أضـــحى كبـــيرا
وبـــدرٌ في ديـــاجي الليـــل يهـــدي ... بنـــور العلـــم مـــن أمســـى ســـميرا
فقـــام الحـــق وانتصـــبت قـــواهُ ... وخـــرَّ الزيـــغ مطروحـــاً كســـيرا
وســـار النـــاس أفواجـــاً إليـــه ... وقـــد بـــذلوا نفائســـهم مهـــورا
وأرســـى الشَّـــيخ في دمَّـــاج داراً ... كـــذا الأشـــياخ قـــد أرســـوها دورا
ففكـــوا مـــن ربـــاق الـــرفض أسرا ... وكفُّـــوا عـــن رقـــاب النـــاس زورا
وداســـوا بالعفـــاف عـــلى حُطـــام ... فـــلا شـــاة أرادوا أو بعـــيرا
حســـبتُ قصـــدهم هـــذا جميعـــاً ... وَرَبِّي حســـبهُم ربَّـــاً خبـــيرا
فـــلا جمعيـــةٌ راجـــت علـــيهم ... ولا حزبيَّـــةٌ ســـاءت مصـــيرا
ففـــي أرضِ الحُديـــدة حـــلَّ شـــيخ ... يبُـــثُّ العلـــم لا يخشـــى نكـــيرا
فســـائل في تهامـــة عـــن شـــذاه ... عـــروس البحـــر كـــم مسَّـــت عبـــيرا
ففاحـــت مـــن أريـــج العلـــم ريـــحٌ ... وأهـــدى مـــن شـــذى الهـــدي العُطـــورا
فـــبرِّك لـــو تـــرى فيهـــا جُمُوعـــاً ... وكَـــبِّر إن تـــرى الجـــمَّ الغفـــيرا

سُـيُولٌ مـن هُـداةِ النـاس تسـعى ... تُقـيم الـذِّكر لـو تلقـى الحُضُـورا
لسـبَّحت الإلـهَ وزِدتَّ شُـكراً ... لأنَّ الخـير قـد شرح الصُّـدُورا
جـزاكُمُ ربّنـا يـا شـيخ خـيراً ... جـزى الله الوصـابيّ الأُجـورا
وعـرِّج بعـدها وانـزل ذمـاراً ... تـرى عجبـاً إذا رُمـتَ العُبُـورا
بـلادٌ كانـت الظَّلـماء فيهـا ... وظُلـمٌ سـادها وسـل العُصُـورا
تُـؤآذنكم بـأنَّ الـرَّفض فيهـا ... أبـاد الخـير أصـلاهُ السَّـعيرا
فجفَّـت وسـط جهـران عُيـونٌ ... فكـم تلقـى طريحـاً أو ضريـرا
فسـاد النـاس أسـيادٌ بُغـاةٌ ... وشـاعت شـيعةٌ تُـذكي الشُّـرُورا
ولكـن سـيل ربي قـد أتـاهُم ... ليُطفـئ شرَّهـم ويُقـيم خـيرا
أتـاهُم مـن أبي نصـرٍ نـزال ... وذاقـوا مـن مواقـدِهِ جُمـورا
كـواهُم مـن مياسـم حاميـاتٍ ... فـإن الحـق يومـاً لـن يبـورا
فلـفَّ الـرَّفض في كفـنٍ يُـوارى ... وحـلَّ الشَّـيخ صـدَّاعاً غَيـورا
أقـام بمعـبر حِصـناً منيعـاً ... حبـاهُ الـرَّب إنعامـاً كبـيرا
أتـدري يـا أخـي مـن في ذمـارٍ ... فـلا ننسـاهُ سـبَّاقاً نـذيرا
فـإنَّ الله قـد سـاق الـذَّماري ... يُكابـد قـلَّ أن يلقـى نصـيرا
فجاهـد مـن فُلُـول الشَّـرِّ جـيلاً ... وجالـد عـز أن يلفـي ظهـيرا
وطـاف الأرض قـوَّالاً بحـقٍّ ... يُـذكِّر أُمَّـةً يومـاً عسـيرا
ألا أعظـم بيـوم العـرض أعظـم ... فقـد سـمَّاهُ ربِّي قمطريـرا

سـلامٌ يـا ابـن عُـثمانٍ سـلام ... وددتُ ركـبكم فينـا حُضُـورا
ألا أبلِـغ أبـا ذرٍّ سـلاماً ... وفـيراً يبلـغ الشَّـيخ القـديرا
ألا يـا صـاح لـو تـدري بحـال ... لسـير الشَّـيخ عظَّمـت المسـيرا
حُـروبٌ مـع خُصـوم طاحنـاتٌ ... حُشُـود تلتقـي كـي تسـتطيرا
ولكـن صـادموا عبـداً عزيـزاً ... أعـان الله نقَّـاداً بصـيرا
فشـيَّد في رُبـى إبٍّ عُروشـاً ... وقَـوَّضَ مـا بنـى المهـدي قُصُـورا
وقـارع بالأسـنَّةِ كُـلَّ خصـمٍ ... فـأرداهُم وقـد أدمـى الصُّـدُورا
وأثخـن بالأدلـة كـلّ نحـرٍ ... وألجـم بالحجـاج لهـم ثُغـورا
وهيّـب أرض صـنعاء ليـوثٌ ... لعلـك قـد سـمعتَ لهـم زئـيرا
أسـود عـن حمـى التوحيـد ذادوا ... أقـاموا مـن دليـل الحـق سـورا
فقـل للصـوملي أبـاً كـريماً ... وشـيخا ناصـحاً بـرا صـبورا
أتعـرف جامعـاً خـيراً عظـيماً ... فـإن لم فاسـألن عنـه خبـيرا
فكـم حُزنـا بـه طبعـاً نبـيلاً ... وكـم فُزنـا بـه نبعـاً دريـرا
وقـل للسَّـالمي حللـت أهـلا ... وسـهلاً مرحبـاً بطـلاً جسـورا
وأهـلاً بـالأُولى جـاءوا جميعـاً ... كرامـاً دونكـم صرحـا مـزورا
ولسـتُ بِمغفـلٍ أعـلام فضـلٍ ... ولسـتُ بشـارِدٍ عـنهم نَفُـورا
بـدوراً تمـلأ الـدُّنيا ضـياءً ... وأشـياخاً لنـا صـاروا بحـورا
فـدع عنـك السـواقي لا ترُمهـا ... ولا تبـغِ الخلـيج ولا الغـديرا

فـدونك نهـرهم غمـراً فسـيحا ... ودونـك مـاؤهم عـذباً طهـورا
فـأكرم بالرُّسُـوخ لهـم مقامـاً ... وأنعـم بـالأُولى عاشـوا عُصـورا
فبجِّـل شـيخ أشـياخٍ ربيعـاً ... وعـرِّف فضـله غمـراً غـرورا
وقـل للجـابري شـجىً مُهابـاً ... وليثـاً في معاقلنـا هصـورا
سـأذكر بعـد إسـهابي فُيُوشـاً ... فـإن القلـب أوشـك أن يطـيرا
فشـكراً للإلـه عـلى تمـامٍ ... وحمـد إننـا نرجـو الشُّـكورا
وشُـكراً يـا رجـال الخـير شُـكرا ... جـزاكم ربنـا منـه القُصُـورا
ولطفـاً يـا إلـه العـرش لُطفـا ... سـألتُك أن تكـون لهـم نصـيرا
وتجـزي مـن بنـى ذا الصـرح خـيراً ... أنِلهُـم ربَّنـا نهـراً وحـورا
إذا رُمـت العلـوم وباذليهـا ... فسـابق وانتهـل فيضـاً غزيـرا
هُنـا بالفقـه يـا قـومي بصـيرٌ ... فـأكرِم بـابن مرعـي بصـيرا
سـكونٌ زانـه حلـمٌ رفيـعٌ ... كـذا الأطـواد تـأبى أن تمـورا
فلـو أبصـرتَ كـم فيهـا بُعُوثـاً ... إلى البُلـدان قـد مـدوا الجسـورا
دُعـاة ينقضـون الجهـل نقضـاً ... فـأنعِم لـو تـرى تلـك الصُّـقُورا
يجوبـون الـبلاد بفضـل ربٍّ ... يهينـون التَّحـزُّب والسُّـفورا
ففـي عـدنٍ أقـام اللهُ طـوداً ... وصرحـاً زادَهُ ربِّي ظُهُـورا
فقلِّـب في صِـفاح العمـر واسـأل ... عـن السَّـلفي هـل فعـل الفُجـورا
ونقِّـب هـل لتفجـيرٍ تبنَّـى ... وسـائل هـل تظـاهر كـي يثـورا

ختامـــاً يـــا رعـــى اللهُ وجُوهـــاً وجنَّبهـــا المعـــاصي والشُّـــرُورا

فلـــو أن القـــوافي قـــادرات لتســـعى نحـــوكم أو أن تســـيرا

لمـــدَّت مـــن محبَّـــتكم أَكفًّـــا تُصـــافح جمعكـــم هـــذا المُنـــيرا

ولكـــن حســـبُنا فـــيكم ســـلامٌ إلـــيكم يبلـــغ العـــدَّ الغفـــيرا

وصـــلى الله مـــا بقـــي الأنـــام عـــلى مـــن جـــاء نـــا نـــوراً نـــذيرا

الشيخ ووالداه

بالرغم من أنَّ أَبَوَي الشَّيخ ليسا معهُ في البَيت، ولكنَّهُما في عدن ـ المنصورة بعيد عن مركز الشيخ -رحمه الله- لكنَّهُ يعيش معهما لحظة بلحظة بتواصله عبر الهاتف، وذهابه إلَيهما بعد الحين والحِين القريب، ويدعُوهُما إلى بَيتِه، وهكذا كان لهُ اعتناء بِهِما حدَّثني أبو الشَّيخ الوالد المُبارك عُمر بن مرعي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- كان عظيم البِر بِهِمَا قال : ولا يكاد يَمُرُّ يوم إلَّا ويتَّصِل، ويسأل عنَّا، ورُبَّما اتَّصل في بعض الأيَّام أكثر من مَرَّة، وهكذا ما تمُر أيَّام إلَّا ويأتي إلَينا، ويجلس معنا، ويُباسطنا الكلام، وهكذا نذهب إلى بَيتِه، ونجلس معه بِكُلِّ سعادة وراحة، ثُمَّ قال لي : ماذا أصِف عن وَلَدِي عبد الرحمن ؟! ثُمَّ سكت؛ فنظرتُ إلَيه فإذا بعينيه تسيل بالدُّمُوع. (وحُقَّ لهُ البُكاء والله).

حدَّثني الأخ الفاضل صهر الشيخ عُمَر الضَّالعي : أنَّ الشَّيخ لَمَّا عاد من سَفَرِه من بلاد الحرمين ذهب زيارة لأبَوَيه -إلى عدن- قال : وكُنتُ مع الشَّيخ، فمرَّ الشَّيخ بمحل بيع ملابس؛ ليَشتري ثياباً هديَّة لأبِيه وأُمِّه قال : وكُلَّما نظر الشَّيخ نوعاً من الثِّياب لم يُعجِبهُ، وأخذ يبحث من مكان إلى آخر حتَّى وجد المطلوب في المنظر والجودة؛ فاشتراهُ لأَبِيهِ وأُمِّه قال : وكأَنَّ الشَّيخ تفرَّسَ فيَّ التَّعجُّب من هذا، وحَرِصَ الشَّيخ على النَّوع الجيِّد، والمنظر الجَيِّد الجميل من الثِّياب، فقال لي : يا عُمر، من بَقِيَ معي في الدُّنيا إلَّا الوالدان. (أي من أعظم ملذَّات الدُّنيا عندي وجود الوالدين).

اعتناؤه بأبنائه

كان الشيخ -رحمه الله- شديد الاعتناء بتربيةِ أبناء المُسلمين عُمُوماً، وبتربيةِ أبنائِهِ خُصُوصاً، وهذا الأمر مُشاهَد عند كلّ من يعرف الشَّيخ عن قُرب.

قال لي الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى- :

كان الشيخ عبد الرحمن شديد الاعتناء والمُحافظة على أبنائِهِ، وكان رُبَّما خرج في سفرٍ طويل دعوة إلى الله؛ فيأخذهم معه ... اهـ

وقد خلَّف الشيخ -رحمه الله- خمسة عشر من الأولاد ذُكُوراً وإناثاً، فما تُوفِّيَ الشَّيخ -رحمه الله- إلَّا وثلاث من بناتِه قد أكملنَ حفظ القُرآن الكريم، والبقيَّة في طريقهم لإتمام حفظ القُرآن، والصِّغار في مركز علم يعيشون.

قالت زوجة الشيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- : كان الشيخ -رحمه الله- شديد الاعتناء بأولاده، وكان لا يضرب أحداً دون الخامسة، وكان يغضب إذا عَلِمَ أنَّ أحداً ضرب في هذا السِّن حتَّى إذا تجاوزَ الخامسة ضَرَبَ ضرب تأديب، وهذا في حالات نادرة -رحمه الله- ...اهـ

وقال لي الأخ أحمد القباص الشَّبوي -حفظه الله تعالى- : صحبتُ الشَّيخ عبدالرحمن فترة من الزَّمن، فما رأيتُ أحداً في حِرصِه على أبنائِهِ بتعليمهم العلم الشَّرعي، وتربِيَتِهم مثل الشيخ عبد الرحمن العدني، وكان قد رتَّب لهم أوقاتاً.

الشيخ وأقاربه

بالرغم من كثرة مشاغل الشَّيخ -رحمه الله- بأمُور الطُّلَّاب، وتحضير الدُّرُوس، والإصلاح بين الناس وحلّ المشاكل الدَّعَويَّة، وغيرها الكثير إلَّا أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- لم يكُن ليُهمِلَ جانباً على حِساب جانبٍ آخر.

فكان يتفقَّد أقاربه وأرحامه، وكان الشيخ -رحمه الله- يدعو كلّ أقارِبه وأرحامه ويصنع لهم ضيافة في بيته ليتسنَّى له الجُلوس معهم، وتوفيرا لوقته أن يزور كلّ واحد إلى بَيته كما حدَّثني بذلك الأخ ماهر أخو الشيخ عبد الرحمن جزاهُ الله خيراً.

قالت زوجة الشيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- :

كان الشيخ -رحمه الله- شديد الاعتناء بأُسرته وأقاربه، وجميع أرحامِه حتَّى إِنَّهُ قبل أن يُقتل بثلاثة أيَّام، وفي يوم الخميس جمع أهلهُ جميعاً وأرحامه وأصهاره دعاهُم إلى بيتِهِ، وجعل لهم وجبة الغداء وأكرمهم حتَّى إِنَّ بعض أهله شدَّ انتباهه لهذه الدَّعوة، وقال هل حصل شيء ؟ ما المُناسبة في دعوتنا جميعاً للغداء ؟ وكانت تلك العزومة هي كالتوديع لأهله وأقارِبه رحمه الله رحمةً واسعة.

الشيخ وزوجاته

تزوج الشَّيخ -رحمه الله- بثلاث زوجات فاضلات، وكان -رحمه الله- يُعاملهُنَّ بالعدل ولو في الشَّيء اليسير، قالت زوجة الشَّيخ أُم محمد -حفظها الله تعالى- : كان الشَّيخ -رحمه الله- عادلاً بَين نسائِهِ عدلاً يُستغرَب منه، من عدلِه -رحمه الله- أنَّهُ لو طلبت منهُ واحدة من أزواجِه شيئاً كان يُعطيها، ثُمَّ يذهب ويُعطي الأُخرَيات مثلما أعطاها، فيقُلنَ لِمَ هذا ؟ فيقول -رحمه الله- : لأنِّي أعطيتُ فُلانة مثله، ومن عدلِه بين نسائِهِ -رحمه الله- أنَّهُ كان لو سافرت أو غابت إحدى نسائِهِ؛ فإنه إذا جاء يومها ينام في بيتها ولو كانت غير موجودة. اهـ

وقد حدثنا الأخ عبد الرؤوف الرَّدفاني وفَّقه الله أنَّهُ كان مع الشَّيخ في الحج قال : وكان مع الشَّيخ من أزواجه أم محمد وأم عبد الله، فأردنا أن نمشي إلى مكانٍ آخر؛ فأخذ الشَّيخ التلفون واتَّصل إلى زوجته الأولى، وقال لها : تجهَّزنَ سنمشي الآن، ثُمَّ أغلق التلفون، واتَّصل على زوجته الثانية، وقال لها نفس الكلام، فتعجَّبت وقُلتُ لهُ : يا شيخ، أليست الثانية معها في نفس المكان ؟ قال : بلى يا أخي، ولكن جبراً لخاطر الأُخرى ...اهـ

وكان -رحمه الله- إذا حجَّ أو اعتمر أو سافر بإحداهُنَّ يعدل بينهُنَّ في هذا الأمر، وغيره من الأمور الشَّرعية. وقد التقيت بشيخنا -رحمه الله- عند بيت أهل إحدى نسائِهِ بعد العشاء بساعةٍ أو أكثر، فقلتُ لهُ : إلى أين يا شيخنا، تفضل عندي ؟ قال لي وهو

يبتسم : الليلة أنا عند هذه في القسمة، وهي مُتعبة جدًّاً عند أهلها أيَّاماً؛ فلا أُريد أن أحرمها حتَّى من السَّمر معها ولو لساعة، قُلتُ له : إذن وفَّقك الله.

- قالت زوجة الشيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- :

بالرغم من انشغال الشيخ -رحمه الله- بأمور المركز والطُّلَّاب إلَّا أنَّهُ كان لا يُقصِّر في أُمُور أهله من تدريسهم وإرشادِهِ لهم، وكان عادلاً بين زوجاتِه حتَّى على الشَّيء اليسير، فكُنَّا نتعجَّب من ذلك، وما أظُنُّ اليوم أنَّ أحداً سيعدل مثل عدلِهِ -رحمه الله- ..اهـ

وقالت زوجة الشيخ أم عبد الله -حفظها الله تعالى- :

كان الشيخ -رحمه الله- يوقظنا جميعاً في آخر اللَّيل لصلاة الوتر، ويطرُق أبواب زوجاته جميعاً، ويقول صلاة صلاة، وكذا كان في آخر ساعةٍ من يوم الجُمُعة يأتي ويطرُق أبوابنا جميعاً، ويقول آخر ساعة من يوم الجُمُعة ويحُثُّنا على الدُّعاء فيها، وكان -رحمه الله- يفتح لنا دُرُوساً خاصَّة؛ فكان قبل أن يُعدِّد يُدرِّسنا في دمَّاج النَّحو والتَّجويد والتَّوحيد، ويُسمِّع لنا ما حَفِظنا من القُرآن، وكان لهُ اهتمام بهذا الجانب.

وبعد أن عدَّدَ -رحمه الله- كان يُدرِّسنا جميعاً، ثُمَّ إنَّهُ في أيَّامِهِ الأخيرة، وبعد رُجُوعنا من بلاد الحرمين كان يُدرِّس كُلَّ واحدة من زوجاتِه درساً في بيتِها ..اهـ

أخلاق الشيخ مع أهله في بيته

قالت زوجة الشَّيخ أمُّ محمد -حفظها الله تعالى- : لا يخفى على الجميع أخلاق الشَّيخ -رحمه الله- وطيبَتِه مع الناس، فكيف مع أهلِهِ، والنَّبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»، فقد كان والله رحيماً هيِّناً ليِّناً سهلاً متواضعاً كريماً ما رأينا أعدل ولا أطيب ولا ألين ولا أحسن خُلقاً منهُ -رحمه الله-، وللشَّيخ قِصص وحكايات تدلُّ على طيبَتِه ومرحِه وليونَتِه؛ فكان يهابُه الناس، ولكنَّهُ في البيت ألين وأسهل وأطيب ما يكون، وكان -رحمه الله- يُساعد أهله أحياناً في شُئون البيت رُغم انشغالِه، وإذا كانت إحدى نسائِهِ مريضة؛ فإنَّهُ يقوم بخدمتها، وكان من أخلاقِهِ أنَّهُ يسهر أحياناً إذا كان أحد أولادها مريضاً، فيسهر مع أهلِه في الانتباه له، وكان -رحمه الله- قد يعتذر عن الدَّرس أحياناً إذا كان هُناك من أهلِهِ مريضا، فيترك الدَّرس ليأخُذه إلى العيادة -رحمه الله-.

الشيخ وحرصه على تعليم أزواجه وأولاده للعلم الشَّرعي

قالت زوجة الشَّيخ أُم محمد -حفظها الله تعالى- : كان للشَّيخ -رحمه الله- دُروس لنسائِه أحياناً يكون الدَّرس لنسائِه وأولادِه جميعاً، وأحياناً كلّ واحدةٍ لها درس خاص، وكان حريصاً على تدريس نسائِه وأولادِه رُغم كثرة مشاغِله، وضيق وقتِه، حتَّى إنَّهُ -رحمه الله- رُبَّما درَّس فيُغالِبهُ النُّعاس وهو يُدرِّس، فيستمر ورُبَّما نام من شدَّة التَّعب والإرهاق وهو يُدرِّس، وكانت دُروسُه لأهلِه -رحمه الله- في الفقه والعقيدة والنَّحو وغيرها، وكان يهتم بدرس النَّحو كثيراً في تدريسِه لبعض أهله، وكان يُسمِّع لنسائِهِ القُرآن إلزاماً يوميًّا، وأحياناً قد يُشغل -رحمه الله-، وكانت للشَّيخ -رحمه الله- دفاتر قديمة فيها فوائد عديدة، وكانت بعضها قد بدأت تُمحى لِقِدَمِها، فكان الشَّيخ -رحمه الله- يطلب من بعض نسائِه أن تكتب له دفاتره القديمة، فكُنَّا نكتُبها له خوفاً من أن تُمحى وتتمزَّق

وكان -رحمه الله- يطلب منَّا أن نبحث لهُ عن أشياء خاصَّة بدرُوسِه ويُشغلنا بالبحث معه عليه رحمة الله. اهـ

وقالت زوجة الشيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- :

وكان الشيخ -رحمه الله- يوصينا بالجد والاجتهاد في طلب العلم، ولا سيِّما في القُرآن الكريم حفظاً وقراءةً وترتيلاً؛ فكان حريصاً جدًّا في هذا، وكان هذا آخر ما أوصاني

به -رحمه الله-، وكان كُلَّما خرج من عند واحدة من زوجاته يقول عليكم بالجد والاجتهاد، وأنَّا سآتي وأُسمِّع لَكُنَّ القُرآن، وكان يحرص على تسميع القُرآن الكريم في بيتِه مع أهله ..اهـ

الشيخ وجيرانه

عَنْ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ؛ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَتِهِ الْأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا إِلَّا قَالَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- : قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ ما لا تعلمون». صححه الألباني في ((التعليقات الحِسان على صحيح ابن حِبَّان))

لهذا كان الشيخ -رحمه الله- نِعْمَ الجار لِجيرانِه، ولقد أثَّر مَوتُهُ فيهم تأثيراً كبيراً سواء الَّذين جاوروه في دمَّاج، أم في الفُيُوش، ففي هذا الحديث شهادة أربعة أهل أبيات من جيرته؛ فكيف إذا شهد بفضلِهِ وخَيرِه وصَلَاحِه المئات والأُلُوف من الناس ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الجمعة : ٤].

قال الشيخ حسن بن نور : جاورت الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- في دمَّاج سبعة عشر عاماً ما عَلِمتُ عنهُ إلَّا كُلَّ خَيرٍ، وما سَمِعتُ منهُ إلَّا الخَير.

وهذه الشَّهادة عليها كُلُّ من جاور الشيخ -رحمه الله- أنَّهُ حَيِيٌّ مُؤدَّب مُحسن إليهم.

قال الشيخ حسن بن نور : خلال هذهِ الفترة سبعة عشر عاماً وهو جارٌ لي، فما رأيتُهُ خلال حُضُوري عندهُ فترة من الزَّمن لا مُعاتِباً ولا زجر ولا تأنيب.

نبذة عن حلم الشيخ وعفوه وصَبره

إنِّي أرى الحِلـــمَ محمُـــوداً عَوَاقِبُـــهُ وَالجَهْـلُ أَفْنَـى مِـنَ الأَقـوامِ أَقوَامـا

أمَّا عن حِلمِهِ وَعفوِه وصَبرِه وسِعَةِ صَدرِه فكيف أُعبِّر! وعمَّاذا أتكلَّم! أأتكلَّم عمَّا رأت عيني وسَمِعَت أُذُني، أم عمَّا اشتهر وانتقل وعرَفَهُ القاصي والدَّاني.

الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-

زرعٌ زكا أصلُهُ وطابَ مغرسه، وتمكَّنت عُرُوقُه، وعَذِبَت مَشارِبُه، عظيم الحلم، والصبر، والعفو، حليماً مفطوراً على الخَير مجبولاً عليه.

روى الإمام مسلم وغيره قول النَّبيِّ -ﷺ- لأشَجِّ عبد القيس : «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَينِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ : الحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، أَشَيْءٌ تَخَلَّقْتُ بِهِ أم جُبِلْتُ عَلَيْهِ؟ قَالَ : «بَلِ جُبِلْتَ عَلَيهِ» فَقَالَ : الْحَمْدُ لله الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَصْلَتَينِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ.

فالحِلمُ في موطن الغضب سيادة على النَّفس، وضبط لها، وكبحٌ لِجماحها، كما أنَّهُ لباس العلم، فمن فقدهُ؛ فقد تعرَّى، وبدت للنَّاس سَوْأَتُه.

وهذا الحِلمُ هو الَّذي يعرِفهُ كلّ من جلس مع الشيخ -رحمه الله-، فقد امتلأ قلب الشَّيخ بِحُبِّ العلم والحق والخير، ولم يكُن فيه مجال لِحُظوظِ النَّفس والانتقام لها، والثَّأر لصالحها، ومن هُنا تجِدهُ يقِف مع خُصُومِه وأعدائه الَّذين سعوا ما أمكنهم في أذاهُ، وتجاوزوا في خِلافِهم معهُ حُدود العلم إلى الصِّراع الشَّخصي، والرَّغبة في إذلاله

وكَبتِ أمره، وتقليل شأنِه نَجِد الشَّيخ -رحمه الله- يَقِف منهم موقِفاً حميداً يَنُمُّ عن قلبٍ طاهر نقي يُحلل ويُسامح من ظَلَمَهُ وآذَاهُ.

كُنتُ مرَّة في الغرفة الأماميَّة في المسجد الَّتي يجلس الشَّيخ فيها غالباً بعد الصلاة وقبلها ليُجيب عن الأسئلة، ويحل القضايا، ويستقبل الطُّلَّاب الجُدد .... وهكذا.

فدخل شابٌّ في الثَّلاثين من عُمرِه تقريباً، فسلَّم على الشَّيخ واحتضنهُ، وجعل يبكي ويقول : سامحني يا شيخ، والشيخ يقول لهُ : سامحك الله غفر الله لي ولك، والأخ يبكي ويزيد سامحني، والشيخ يضرب بيدِه على ظهر الأخ بِلُطف، ويقول لهُ : غفر الله لي ولك حتَّى رأيتُ معظم من في الغُرفة كادوا أن يبكوا، فلمَّا هدأ الأخ أجلَسَهُ الشيخ إلى جانِبه؛ فنظرتُ إلى الشَّيخ فإذا بِعَينيه كادتا أن تسيلا بالدُّموع.

سُبحان الله ! مُباشرة قال لهُ : سامحك الله، وغفر الله لي ولك، ولم يسأله ماذا قلت حتَّى أُسامحك، ولم يَقُل لهُ : قُم في المسجد، وأعلن تراجُعك وتَوبَتك أمام النَّاس، بل قال لهُ مُباشرة : غفر الله لي ولك سامحك الله سامحك الله، وأخذ يُهدِّئه، ويدعو لهُ بالخَير.

وكذا في ليلةٍ من اللَّيالي الَّتي لا زلت أذكرها في حياتي كُنَّا في درس الشيخ درس المغرب، وقبل أن ينتهي وقت الدَّرس قال الشيخ قد زارنا في هذه اللَّيلة الأخ الفاضل فُلان .... وسمَّاهُ باسمه ..... فليتفضَّل.

أما أنا فلا أعرفه، ولكن رأيتُ بعض الإخوة ينظُر إلى بعض كالمُتعجِّب، وكلّ واحد يقول (أهو ـ هو ؟) لم أفهم شيئاً، ومن هذا الرَّجل ـ فقام الأخ بعد درس الشيخ، وتكلَّم بكلمةٍ طيِّبة عامَّة، وقبل أن يختِم كلمتهُ نظر إلى الشَّيخ وابتسم كالمُعتذِر، وقال : يا إخوة، أنا فُلان صاحب القصيدة الَّتي تكلَّمتُ فيها على الشَّيخ، وقد تُبتُ إلى الله، واتَّصلتُ بالشَّيخ؛ فسامحني، وقال ليس بضروري أن تأتي إلينا؛ فلم تطِب نفسي حتَّى أتيتُ إلَيهِ، فقال لي تُحِب أن تتكلَّم تكلَّم، ولا داعي أن تذكر أنَّك تراجعت، أو أنَّك قُلتَ كذا، ولكن ما دام وأنِّي قد تكلَّمتُ على الشَّيخ جَهراً، وفي جمعٍ فها أنا من هذا المكان أستغفر الله وأتوب إليه.

ها هو الشَّيخ عبد الرحمن العدني -رحمه الله- ألزم نفسه الصَّفح والعفو، وشِعارُهُ دائماً :

سألزم نفسي الصفح عن كُلِّ مُذنب ... وإنْ كَثُرَت مِنْهُ إلَيَّ الجَرَائِمُ
وما الناس إلَّا واحدٌ من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثل مقاوم
فأما الَّذي فَوقي فأعرِفُ فضلَهُ ... وأتبع فيه الحق والحقُّ قائم
وَأمَّا الَّذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته نفسي وإن لام لائم
وأمَّا الَّذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضَّلتُ إنَّ الفضلَ للحُرِّ لازم

في يومٍ من الأيَّام جاء شخصٌ كان قد سجَّل اسمه بداية شراء أراضي المركز؛ فخرجت القُرعة باسمه ولم يدفع المائة ألف بعد؛ لأنَّهُ تعصَّب مع من تعصَّب ضدَّ

الشَّيخ والمركز، حتَّى إِنَّهُ بدايةً رفض أن يأتي ينظر مكان الأرضيَّة، ويدفع المائة ألف الَّتي عليه، وما هي إلَّا أن مرَّت الأيَّام، وأقبل الناس إلى المركز، وارتفع سعر الأراضي من مائة ألف إلى أربعة مليون، بل إلى سبعة عشر مليوناً على حَسب القُرب من المركز، فلمَّا سَمِع هذا الشَّخص بارتفاع سعر الأراضي جاء مُتلهِّفاً لا مُتراجِعاً قال لي أحد الإخوة الَّذين حضروا هذه القِصَّة كُنَّا في الغُرفة الَّتي يجلس فيها الشَّيخ؛ فدخل هذا الشَّخص وعلى وجهِهِ العبوس والغضب، وجلس على كُرسي مُقابل الشيخ، وحتَّى السَّلام فلم يُسلِّم، ولم يُصافح الشَّيخ، بل قال بِكُلِّ أنفة : أصحابك منعوني من أخذ أرضيَّتي؛ فدعاهم الشَّيخ وسألهم؛ فأخبروه أنَّ هذا مُتعصِّب، ويتكلَّم على الشَّيخ والمركز ... ولم يدفع المبلغ، فقال لهُ الشيخ : ادفع لهم المائة ألف، وخُذ أرضيَّتك قال : فأخرج المائة ألف ودفعها، فقال الشيخ : خُذ أرضيَّتك قال لي الأخ الَّذي حضر؛ فخرج هذا وباع الأرضيَّة بأربعة ملايين، وخرج من المركز، وهو يتكلَّم على الشَّيخ والمركز؛ فأخبروا الشَّيخ فابتسم وقال : الله يهديه.

فلا إله إلا الله ما أحلم الشيخ، وما أرحمه، وما أوسع صَدره، وهذا يَدلُّ على حقارة المال عِندَهُ، وعدم الأنانية، وعدم الشُّح وعدم الانتقام للنَّفس، فسبحان مُقسِّم الأخلاق.

ومن المواقف الَّتي لم أنسها لشيخنا -رحمه الله- كُنَّا في صلاة العصر في أيَّام فتنة الغُرباء، ومن يمددهم بها، وبعد الصَّلاة جلس الشَّيخ ليُلقي درساً في كتاب الأصول

من علم الأصول، ولأول يوم سيبدأ في تدريس الكتاب من بدايته، فما أن حمدَ الله وأثنى عليه، وصلَّى على رسوله -ﷺ-، وبدأ يتكلَّم عن فضل العلم، وفجأة إذا بشخص من وسط المسجد يرفع صَوتَهُ بالكلام القبيح على الشَّيخ، فجاء إلَيه بعض الإخوة ليُهدِّئُوه؛ فقام واشتد وأخذَ يَصرُخ أيش من عالم هذا وهذا .... ممَّا أدَّى إلى ضجَّة في المسجد، فأخرجهُ الإخوة وهو يصرُخ نظرتُ إلى الشَّيخ؛ فإذا بِهِ مبتسم كالمُتعجِّب من هذا الفعل، ثُمَّ قال الشيخ : دعوهُ دعوهُ يا إخوة، وواصل الدَّرس، ولم يذكر هذا الرَّجُل بشيءٍ أبداً كأن لم يحصل شيء، وبعد درس المغرب نبَّهَ الشيخ على عظمة المساجد واحترامها، واحترام مجالس العلم، ولم يذكر أحداً بِعَينه، ولكن نصيحة برفق ولين واحترام، وحذَّر من كان السَّبب في إيغار صُدُور الناس ضِدَّ المركز والخَير، وخوَّفهم بالله -تعالى-.

تمنَّى أُناسٌ شأوه من ضلالهم فأضحوا على الأذقانِ صرعى وظلَّعا

قال الشيخ محمد الحُدشي -حفظه الله تعالى- : كُنتُ مرَّةً جالساً مع الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- في الغُرفة، فجاء رجُل وقال للشَّيخ : إنَّ فُلاناً يقول فيك... وذكر كلاماً قبيحاً يدلُّ على قِلَّة أدب في القائل، قال : فنظرتُ إلى الشَّيخ، وقد احمرَّ وجهُه، وأخذ يقول : ماذا صنعتُ بِهِ ؟ ولماذا يتكلَّم عليَّ ؟ ثُمَّ قال : حسبُنا الله ونِعمَ الوكيل، ولم يَزِد بعدها حتَّى بكلمة، وهذا المُتكلِّم ساكن في المركز، فلم يأمر الشَّيخ باستدعائِه ولا بإهانتِه، ولكن قال : حسبُنا الله ونِعمَ الوكيل.

ألف وثمانمائة ما بَين كِتاب وملزمة ومطوية وشريط للحجوري وأتباعه في الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، وخلال سبع سنوات، ولم يردّ الشَّيخ برد إلَّا مرَّة واحدة في بداية الفِتنة، ثُمَّ لم يتكلَّم بعدها (كما ذكر الشيخ محمد الخُدشي في درسٍ له، وكذا حدثني الأخ الفاضل حسام العدني أن هذا ذكره أصحاب الحجوري في موقعهم على سبيل الافتخار والله المستعان).

فيا سُبحان الله ! ألف وثمانمائة كلها سب وشتم واحتقار خارجة عن الرُّدود العلميَّة المَبنيَّة على العدل والإنصاف، ومع هذا كله لم يرد، بل وكتب منشوراً أنَّ من ردَّ فإنَّما يُمثِّل نفسه كلّ هذا ليَقِلَّ الشر والقيل والقال، وعَلَّ الله يصلح الأحوال.

ولا شكَّ أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- بشر يتألَّم ويتأثَّر، ولكنَّهُ ألزم نفسه الصَّبر.

سمعتُهُ مرَّةً وهو يتألَّم ويقول : الحجوري سلَّط الشُّعراء حتَّى تكلَّموا في عِرضِي وهو يسمع.

وذكر الشيخ سليم الخوخي -حفظه الله تعالى- عمَّن حدَّثَهُ من طُلَّاب العلم الأفاضل، فقال : قال لي من عايش هذه القِصَّة كُنتُ في الدَّعوة إلى الله في مدينة رداع قبل فترة، وجلستُ فيها أربع سنوات في أحدِ مساجدها، وقد كلَّفني الشيخ الفاضل أحمد بن شملان -حفظه الله تعالى- أن أقوم بالتَّنسيق مع المشايخ والدُّعاة ليُلقوا المُحاضرات في كُلِّ أُسبوع في مدينةِ رداع؛ فاستدعَيتُ مرَّةً الشَّيخ الفقيه عبدالرحمن العدني -رحمه الله-، فلمَّا سَمِعَ بعضُ المُتعصِّبين للحجوري إعلان المُحاضرة استدعوا من

يُحاضر عندهم في رداع، وكان الفرق بين المسجدين قليلاً، ثُمَّ قُمنا باستقبال الشَّيخ عبد الرحمن إلى خارج رداع إلى قرية مُجاورة، فقام الحجاورة بانتظار الشَّيخ عبد الرحمن في الخط، ومعهم سيَّارة عليها سمَّاعة يُعلنون بِمُحاضرتهم، واعترضوا سيَّارة الشَّيخ عبد الرحمن، وهم يرفعون أصواتهم بِإعلانهم، فكان سائق الشَّيخ إذا رجع إلى اليمين يأتون من جهة الشِّمال يقطعون عليه الطَّريق، فقام بعض العوام ممَّن كان معنا في استقبال الشَّيخ أرادوا أن ينزلوا إلى الحجاورة ليمنعوهم، فأشار إلينا الشَّيخ ألَّا تفعلوا شيئاً؛ فاقترب الحجاورة من سيَّارة الشَّيخ عبد الرحمن، وهم يصيحون : يا عبدالرحمن، يا حِزبي.

والشيخ لا يزيدهم على الابتسامة، وينظر إليهم وهو غير مُكترث بما يفعلونه، فلمَّا وصلنا إلى دار الحديث برداع قام بعض العوام وأعطى الشَّيخ عبد الرحمن بندقيَّته، وقال : يا شيخ نحن مُحكِّمون ممَّا حصل؛ فجعل الشَّيخ يضحك ويقول : هذا لا داعي له، ونحن من أجل دعوتنا نصبر على كلّ ما أصابنا، فجعل بعض الإخوة يتكلَّم عن سوء صنيع الحجاورة، فقال الشَّيخ : يا إخوة، دعوكم من هذا لا تنشغلوا بهم نسأل الله أن يهديهم، ثُمَّ قال الشَّيخ : الأذى في سبيل الحقّ لابُدَّ منهُ، وذكر ما حصل للأنبياء، وإنَّ منهم من قُتِل، ثُمَّ قرأ قولهُ -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة : ٨٧].

وقد تأثَّر بصَبرِ الشَّيخ -رحمه الله- كثير من هؤلاء الَّذين كانوا يتكلَّمون فيه، بل تاب وتراجع الكثير منهم، والبقية شُغِلُوا بالرُّدود على بعضهم.

قال الشيخ -رحمه الله- : كُنتُ مرَّة في معبر أحد الإخوة أخذني على جنب، وقال لي : أسألُك بالله ماذا كُنتَ تدعو ؟ قُلتُ لهُ : ليش ؟ قال : كُنَّا والله في أشدِّ التَّعصُّب، وكُنَّا في أشدِّ التَّحامُل عليك، ونُخرِج الملازم، ونسهر لها اللَّيالي؛ فكان يُغيظنا جدًّا سُكوتك نقول : ليش ما يرد.اهـ

الحِلـمُ يصـمته والعلـم ينطقـه وفي تقـى الله مـا يـأتي ومـا يـذرُ

والشيخ -رحمه الله- قد يغضب كما يغضب البشر، ولكنَّهُ وقَّاف عند حدود الله سريع التَّأثُّر بكتاب الله، ففي يوم من الأيام كان في المركز شابٌّ من حُفَّاظِ القُرآن، ولكنَّهُ كان مُشاغباً كحال كثير من الشَّباب في سِنِّه، فرُفِع به شكوى إلى الشَّيخ أَنَّهُ عمل مُشكلةً مع أحد الطُّلَّاب ؛ فاستدعاهُ الشَّيخ ونصحه ووجَّهه وما هي إلَّا أيَّام حتَّى رُفِعَ بهِ شكوى أنّهُ عمل مُشكلة مع طالبٍ آخر، وكان الشَّيخ -رحمه الله- ينصحه ويزجُرهُ، وهو يَعِد ألَّا يعود لمثل هذا، وما هي إلَّا أيَّام حتَّى رُفِع إلى الشَّيخ أَنَّهُ عمل مُشكلة مع طالبٍ آخر، حينها غَضِبَ الشَّيخ واستدعاهُ وقال لهُ : تمشي من هنا لك إلى الساعة الثانية ظُهراً وتمشي أرض الله واسعة، ولا يأتيني من يشفع له، فبقي هذا الأخ في حالةٍ يُرثى لها، فقال له الأخ عادل الشَّرعبي ادخل عليه، وقل لهُ يا شيخ الله عزوجل يقول : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل

عمران : ١٣٤]، فدخل على الشَّيخ، فقال لهُ الشَّيخ : ما زلت هُنا قال يا شيخ، ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فسكن الشَّيخ حينها، وقال له : أو كذلك وتهدأ أنت ؟ قال : نعم يا شيخ، وأتوب إلى الله؛ فسامحه الشَّيخ وعفا عنهُ رحمه الله رحمة الأبرار.

رقة قلب الشيخ وتعاونه مع أهل البلاء وكبار السِّن

مَضَـى بـن مرعـي حـين لم يبـقَ مشـرق ... ولا مغـرب إلَّا لـهُ فيـهِ مـادح

ومـا كُنـتُ أدري مـا فواضـل كفِّـه ... عـلى النـاس حتَّـى غيَّبَتْـهُ الصَّـفائح

فأصـبح في لحـدٍ مـن الأرضِ ميِّتـاً ... وكانـت بِـهِ حيَّـاً تضـيق الصَّـفائح

يقول الله -تبارك وتعالى- : ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت : ١ - ٣].

فجعل الله -تعالى- هذه الدُّنيا دار ابتلاء واختبار ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد : ٤].

فمن العباد من يُبتلى بالسَّرَّاء، ومنهم من يُبتلى بالضَّرَّاء، فمن صبر في الضَّرَّاء، وشكر في السَّرَّاء فاز وربح ومن كان غير ذلك خاب وخَسِرَ، ومن نظر إلى أحوال أهل البلاء فحريٌّ به أن يشكر الله على نِعَمِهِ المُتتالية، ولمَّا كان أهل البلاء في عالم منعزل عن الناس لما يُعانون من آلام البلاء، فقد حثَّنا الإسلام إلى الإحسان إلَيهم، والشَّفقة عليهم، والتَّعاوُن معهم حتَّى نُخَفِّف عنهم البلاء وعملاً بقول الرَّسُول -ﷺ- كما رواهُ الإمام مُسلم في صحيحه، عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...».

وقد كان لشيخنا -رحمه الله- الحظ الأوفر في هذا الجانب؛ فكان -رحمه الله- إذا رأى مُبتلى عُرف في وجهه الحُزن، ورُبَّما دمعَت عيناهُ، فيا سُبحان الله ! كم أحسَّ بِفَقْدِهِ الكثير من أهل البلاء الَّذين كان يتفقَّدُهم، وينظر في أحوالهم.

إحسانه إلى المكافيف (العميان)

حدثني الأخ عبد الحافظ الردفاني-حفظه الله تعالى وهو أحد الإخوة المكافيف- بنبرةٍ كُلُّها حُزن قال:تعرَّفتُ على الشَّيخ؛ فرحَّب بي، وآنَسني وسألني عن أحوالي، فأخبرتُهُ بأنَّ لي ثلاثة إخوة، وأخت كُلُّنا مكافيف، فأخذ الشيخ يُصبِّرُني، ويذكُر لي الأدلَّة على فضل من فقد بَصَرهُ، فاصبر واحتسب، ثُمَّ قال لي الشَّيخ ألا تتزوج ؟ ونسعى لك عند أهل الخير بأمور الزَّواج. قُلتُ : بلى، ولم أتمالك نفسي من شِدَّة الفرح، فقال الشَّيخ : فإذا وجدت زوجة أخبرتني، فخرجتُ من عندهُ فَرِحاً مسروراً لا أُصدِّق أنَّ تكاليف الزَّواج تتيسَّر لي؛ فبحثتُ عن زوجة، ولكن لم يتيسَّر لي القبول؛ فرجعتُ إلى الشيخ بعد أيَّام وقُلتُ لهُ : لم أجد زوجة، ولكن يا شيخ لي رغبة وأُمنية أحسن من الزَّواج قال : وما هي ؟ قُلتُ لهُ : أُريدُ عُمرةً لِأَزور الكعبة، فقال الشيخ : سأتَّصِل بأخ وأُخبِرهُ أنَّك تُريد عُمرة، ثم قال لي : لا تيأس من الزواج، وهذا الأخ

وأشار لأحد الإخوة الموجودين سيبحث معك عن زوجة، فقال الأخ : إن شاء الله، وفي نفس اليوم وبعد العصر أرسل إليَّ الشيخ بأن الله قد يسَّر بتكاليف العُمرة لي ولِأبي يُرافِقني، فذهبنا إلى مكَّة، وأنا أكاد أطير من شِدَّة الفرح والسُّرور فطُفنا حول الكعبة، وشَرِبنا من ماء زمزم، وذهبنا إلى المدينة النَّبَويَّة، وكانت رِحلةً جميلة في حياتي كلها، فلمَّا رجعنا من العُمرة دخلتُ وسلَّمتُ على الشيخ لأدعوَ لهُ؛ فأخذ يُلاطِفني ويقول : اعزم على الزواج يا أخي، وأخذ يُؤنِّسني بكلامِه عليه رحمة الله تعالى.

كفيف آخر

قال لي اتَّصلتُ بالشَّيخ من بلادي عندما سمعتُ أنَّ لهُ عِناية وحُبا للمكافيف، فأخبرتُه بأَنِّي كفيف، ولدَيَّ بعضُ الأمراض، وأريد الزَّواج، ولم أستطع فقال لي : تعال نجلس معك، وننظر في أمرك.

وكان -رحمه الله- قد حَفِظَ رَقمي في جوَّالِه؛ فجئتُ يوم الجُمعة، وكان مشغولاً بأُناس عندهُ ولم يرني، فأخبرهُ بعض الإخوة أنَّ هُناك كفيفاً يسأل عنك، فإذا بالشَّيخ بنفسه يتَّصِل بي، فدخلتُ عندهُ، فقال لي سننظر لك من يُعينُك على الزَّواج بإذن الله -تعالى-، وبعد أسبوع وأنا في بلدي إذا بالجوال يَرِن قبل الظُّهر، وكنت في المسجد فجاوب أخي، فقال لهُ الشيخ : أين فُلان ؟ قال : في المسجد. قال الشيخ : فإذا جاء كلِّمهُ يتَّصِل بي قال لهُ أخي : من أقول لهُ ؟ قال الشيخ بكلّ تواضع : قُل لهُ أخوهُ

عبدالرحمن العدني، فاتَّصلتُ بِهِ، فقال لي : لقد يسَّر الله لك الأُمور، وقد أرسلتُ لك بِمال مع فُلان لتعقد أوَّلاً، وبعدها يأتي باقي المهر، فتزوجت بفضل الله، ثُمَّ بِفضل الشيخ -رحمه الله-، وقد رزقني ربي ببنتٍ بصيرة تُسعدني في البَيت، ثُمَّ بولدٍ ولله الحمد، قال : وزُرتُ الشيخ بعد زواجي بشهر، فرحَّب بي، وقام وعانَقَنِي، وأخذ يُلاطِفني، وقال : تزوجت ؟ قُلتُ : نعم، الحمد لله قال : إيش أحسن الآن وإلا قبل ؟ ممازِحاً لي رَحِمهُ الله -تعالى- رَحمةً واسعة.

كفيف وأخته المريضة

قال لي : أخبرتُ الشَّيخ أنَّ لي أُختاً مريضة عندها شُحنات في الدِّماغ كما يقول الأطِبَّاء؛ فتُصرَع، فتأثَّر الشَّيخ، وكان يسألني عن صِحَّتها، حتَّى إِنَّهُ قبل أن يُقتل بشهر أعطاني عشرين ألفاً للأشعة المقطعيَّة لها. ثُمَّ أخذ يتكلَّم بصوتٍ باكٍ، ويقول : الله عميلهم. قُلتُ لهُ : من ؟ قال : الَّذين قتلوهُ يتَّمُونا يتَّمهم الله.

كفيف في حلقات التَّحفيظ عجز عن حفظ سورة المُدَّثر فمن لقَّنهُ حتَّى حَفِظ

قال لي أحد الإخوة المكافيف، وهو يحلف لي بالله إِنَّهُ في مَرَّةٍ من المرَّات كان في حلقة التَّحفيظ بالفُيُوش؛ قال : فطالبني المُدرِّس المُسمِّع بحفظ سورة المُدَّثِّر، ففي كُلِّ

يوم لا أجد من يجلس معي الوقت الكافي حتَّى أحفظ السُّورة، وفي يومٍ من الأيَّام نمتُ وأنا مهموم حزين ماذا أقول للمُدرِّس، وأنا لم أحفظ لأيَّام عديدة؛ فجاءني الشَّيخ عبد الرحمن في النَّوم، وقال لي : مالك حزين، قُلتُ : يا شيخ، المُدرِّس يُريد منِّي حفظ سورة المُدَّثِّر، وما وجدتُ من يُلقِّنُنِي قال : فجلس الشَّيخ بجانبي وأخذ يُردِّد عليَّ آيةً آية، فقُمتُ من النَّوم، وقد تقدَّم الطُّلَّاب إلى الحلقة، فذهبتُ ولَمَّا جاء وقتي للتَّسميع سمَّعتُ السُّورة كاملةً للمُدرِّس، ولم أُخطِئ، فقال لي المُدرِّس : ما شاء الله اليوم تمام وجدت من يُحفِّظك ؟ قُلتُ : نعم، وأنا مُتعجِّب من حِفظي كيف استطعتُ بمجرَّد منام، قلتُ لهُ : هل تستطيع أن تُسمِّعها لي الآن قال : نعم.

(وهذه الرؤيا كانت بعد موت الشيخ -رحمه الله-).

الشيخ يتَّصِل من حضرموت إلى ردفان على رقم كفيف ليسأل عن أحواله

قال لي أحد المكافيف وهو الأخ عبد الهادي الردفاني-حفظه الله تعالى- كان الشيخ -رحمه الله- : لا يقطعني من الاتِّصال، والسُّؤال عنِّي وعن أُسرتي، وفي أيَّام الحرب تفرَّق الناس، واشتدت الأزمة والغلاء، وسافر الشَّيخ إلى السُّعُوديَّة وهو في طريقِه للسَّفر إذا بجوَّالي يَرِن؛ فقُلتُ لمن كان حولي: انظر من ؟ فقال : مكتوب الشيخ عبدالرحمن، فأخذتُ التلفون، وكِدتُ أطير من الفرح والسُّرور، وأقول لنفسي من أنا حتَّى يتَّصِل بي الشيخ في مثل هذا الوقت العصيب الَّذي تقطَّعت الصِّلة حتَّى بَين الأهل والأصحاب بسبب الحُرُوب والغلاء ؟! فكلَّمني الشيخ، وأخذ يسألني عن أحوالنا، وكيف أنتم يا أخي ؟ وكيف عائشون بالأزمة والغلاء مع الحرب ؟ قلتُ : الحمدُ لله على كُلِّ حال، وكُنَّا بِحالة الله بها عليم.

فقال لي الشَّيخ : سأرسل لك ألف ريال سُعودي، فأرسلها لي، واشترينا حوائجنا، وأخذنا ندعو للشيخ ليل نهار، وكان الشَّيخ بعدها يتَّصِل بي بعد كُلِّ أُسبوع أو اسبوعين يسألنا عن أحوالنا، ثُمَّ قال : كان الشيخ لنا كالأب الرَّحيم.

كفيف يطلب من الشيخ أن يشفع لابن خاله العاطل عن العمل ليعمل في شركة صعب الدُّخُول فيها

قال لي أحد الإخوة المكافيف، وهو الأخ الفاضل عبد الهادي الردفاني-حفظه الله تعالى- كان لي ابن خال عاطل عن العمل، وحالته صعبة، ولم يجد عملاً، وحاول الدُّخُول في شركة؛ فلم يتيسَّر لهُ القبول، فجئتُ إلى الشيخ، وقُلتُ لهُ : إن ابن خالي يُريد العمل في الشَّركة الفُلانية، ولم يُقبل فيها؛ فنُحِب أن تشفع لنا عِندَه، ولأنَّ ابن خالي لديه ظُروف صعبة في المعيشة.

فقال لي الشيخ : نُحاول إن شاء الله، وأخذ رقمي وبعد أسبوع إذا بالشَّيخ يتَّصِل بي بنفسه، وأخبرني بشروط صاحب العمل، وقال : اذهبوا إلَيه، فذهبنا إلى هذا التَّاجر الَّذي يعجز الكثير عن مُقابلته، فلم نَجِدهُ في مكتبه، فلمَّا جاء كلَّمه عامل المكتب بأنَّنا جئنا من قِبل الشيخ عبد الرحمن، فإذا بصاحب الشَّركة يتَّصِل بي، وقال: جئتَ ولم تجدني ؟ وحدَّد لي موعِداً، فلمَّا التقيتُ بِهِ رحَّب بنا، وأخذ يسألني عن الشَّيخ عبدالرحمن، ويُخبرنا بِحُبِّهِ للشَّيخ، وأخذ يُثني على الشيخ كثيراً، وكان هذا التَّاجر بعدها يتعاهدني، ويسأل عنِّي بسبب معرفتي بالشَّيخ -رحمه الله-.

ظرفٌ فيه مال وُجِدَ بعد قتل الشيخ مكتوب عليه هذا لِفلان ...

فمن هذا فُلان ؟ إنَّهُ شابٌّ كفيفُ النَّظر، قُلتُ لهُ : ما قِصَّة الظَّرف الَّذي وُجِدَ باسمك عند الشيخ -رحمه الله- ؟ قال : وهو يتكلَّم بِحُزن وألم الشيخ أعانني في حياتي، وجعلني بفضل الله أعيش في راحةٍ وسعادة.

كُنتُ أسمع بِهِ وبِرَحمَتِهِ وشفقَتِهِ، فلمَّا دخلتُ عليه أول مرةٍ في حياتي قام وعانقني، وأخذ يسألني عن اسمي، وعن أحوالي. المهم قُلتُ لهُ : أوصِني يا شيخ، قال : أوصيك اطلُب العلم، والزم مراكز العلم، والله -سبحانه وتعالى- سيُيَسِّر لك أموراً لا تعلمها. قال : فأثَّر الكلام فيَّ؛ فقرَّرتُ بعد فترة أن أرحل إلى الشَّيخ لطلب العلم عندَهُ، فكان لي خير مُعين.

كَلَّف من الإخوة من يُلقِّنُني القُرآن، ومن يُدرِّسني، ومن يقودُني، وقال وقبل أن يُقتل بشهر تقريباً، وكُنتُ سافرتُ إلى البلاد، فاتَّصلتُ بالشَّيخ، فرَدَّ عليَّ ورحَّب بي ترحيباً حارًّا، فقُلتُ لهُ : يا شيخ، أُحِبُّ أن استشيرك في أمر. قال : تفضَّل قُلتُ : أريد أن أتقدَّم للزَّواج، فقال : طيِّب أعانك الله، فما الَّذي يمنَعُك ؟ قُلتُ : الظُّرُوف يا شيخ ـ المهر صعب ـ. قال : هل وجدتَ زوجة ؟ قُلتُ : نعم قد وافقوا. قال الشيخ : توكَّل على الله، وسيفرجها الله، فشجَّعني الشيخ -رحمه الله-؛ فخطبتُ المرأة، وما هي إلَّا أيَّام حتَّى قيل لي الخبر الَّذي لا أنساهُ الخبر المُؤلِم، وهو أنَّ الشَّيخ قد قُتِل؛ فحزنتُ حُزناً

شديداً، وجاءني من الهمِّ العظيم، وبعد أيَّام من قتل الشَّيخ -رحمه الله- وُجِدَ في بيتِهِ ظرف فيه مال باسمي، ولم يدرِ الإخوة ما قِصَّتي مع الشَّيخ، فأخذتُ المال، وتزوجتُ بعد مَوتِه، فأسعدَهُ الله كما أسعدني، وأعانني وفرَّج عنِّي بعد الله -تعالى-.

من يغسل لك الملابس

قال لي أحد الإخوة المكافيف، وهو الأخ عبد العزيز التعزي-حفظه الله تعالى- صلَّيتُ بجانب الشَّيخ -رحمه الله-، وبعد الصَّلاة والتَّسبيح، وقبل أن يقوم للدَّرس. قال لي : كيف أنت يا أخي ؟ قُلتُ : الحمدُ لله قال : ممكن أسألك سؤالاً ؟ قُلتُ : تفضَّل يا شيخ. قال : من يغسل لك الملابس ؟ قُلتُ : في المغسلة. قال : على حساب من ؟ قُلتُ : على حسابي، فقال الشيخ : نحنُ سنُحاسب صاحب المغسلة، فلا تدفع لهُ شيئاً، واغسل ثيابك متى شئتَ، ثُمَّ قال لي الأخ، وأنا إلى الآن ثيابي دائماً مُغسَّلة ونظيفة ومكويَّة حتَّى إنَّ بعض الناس يقول لي : دائماً ثيابك نظيفة ومكويَّة، ولا يدرون أنَّ سبب نظافتي (بعد الله) وإصلاح حالي هو الشَّيخ الرَّحيم عبد الرَّحمن -رحمه الله-.

إحسان الشيخ -رحمه الله- إلى المُعاقين وكبار السِّنّ

كان لي صديق عزيز ابتُلِي في جسده أسأل الله -تعالى- أن يشفيه ويشفي مرضى المُسلمين، حتَّى عجز عن المشي وهو في ريعان الشَّباب، فطلبتُ منهُ أن يأتي ليسكُن هُنا في دار الحديث بالفُيُوش يُجاور طُلَّاب العلم، ويسمع كلام الشيخ عبر الميكروفون، ولعلَّ الله أن يُحدِث بعد ذلك أمراً، فجاء الأخ واستأجرنا لهُ البيت، وكما هو معروف هُنا في ترتيب الدَّار أنَّ الجديد الَّذي يسكُن الدَّار عزوبي، أو من أصحاب العوائل لابُدَّ أن يأتي من يُزكِّيه إلى الشَّيخ؛ فدخلت إلى الشيخ، وقُلتُ لهُ : عندي أخ أُحِبّ أن أُزكِّيه على معرفتي. قال الشيخ : أين هو ؟ قُلتُ : يا شيخ، لا يستطيع المشي، وهو في البيت جاءَ ليسمع مجالس العلم عبر الميكروفون، وليُجالس طُلَّاب العلم، ولم أكُن أتوقَّع أنَّ الشيخ سيتأثَّر إلى هذه الدَّرجة، ويتفاعل في قضية الأخ فأخذ يسألني ما مرضه ؟ ولِمَ لم يُعالج وهل من يُعينه ؟ وأخذ يدعو لهُ، وبعد أيَّام دخلتُ على الشَّيخ لسؤال، فقال لي : أين الأخ الَّذي جاء ؟ قُلتُ : هو في البيت. قال الشيخ : أُحِبُّ أن أراه، قُلتُ : يا شيخ، سنأتي به بالسِّيارة، وتراهُ، وأردتُّ أن أوفِّر على الشيخ من وقته؛ لأنَّهُ مشغول بأمور كثيرة، فقال الشيخ : لعلَّهُ سيتعب. قُلتُ : لا لن يتعب بإذن الله إذا كان في السَّيارة، فالأمر سهل؛ ففرح وقال طيِّب جزاك الله خيراً، وفي اليوم الثاني جئنا بالأخ في سيَّارة، ووقفنا عند الباب الأمامي للمسجد الَّذي يخرج منهُ الشيخ إلى بَيتِه، وكان لم يخرُج بعد فطرقتُ باب الغُرفة الأماميَّة في المسجد، وقُلتُ للشيخ : الأخ موجود في

السَّيَّارة، فيا سُبحان الله ! لن أنسى هذا الموقف، ولن ينساه صاحبي بإذن الله خرج الشيخ كأَنَّهُ سيستقبل رجلًا لهُ أهمِّيَّة في حياتِه، أو عالما كبيرا نظر إلى الأخ من بعيد، وهو في أشدِّ ابتسامة، وأخذ يقول : يا مرحباً يا مرحباً حيَّاك الله أخي حيَّاك الله وعافاك، وأخذ يُردِّد الدُّعاء للأخ، وعانقه، وأخذ يسألهُ عن المرض، وعن سببه، وقال لهُ : هل هُناك مكان وصف لك للعلاج فيه؟ وهكذا تمَّ اللِّقاء في هذا اليوم، وقد أثَّر هذا الموقف في هذا الأخ، وأثَّر فينا جميعاً.

وبعد أيَّام دعاني الشَّيخ، وقال : ما رأيك لو أُخذ الأخ المريض إلى الخارج للعلاج، وخاصَّة أنَّ الأخ في أحسن شبابه سيتحمَّل العلاج ـ ثانياً : أنَّ في المملكة أطِبَّاء خُبراء أُمناء ومستشفيات فيها أجهزة مُطوَّرة، ولعلَّ الله –تعالى– أن يشفيه. قُلتُ لهُ : يا شيخ، لكنه لا يستطيع للتَّكلُفة المادِّيَّة قال الشيخ : أنا عندي معاريف في جدَّة، سأسعى وأتَّصل بهم أن يكون العلاج والفُحُوصات و كلّ تبعاتِه مجَّاناً على حساب فاعل خير، ثُمَّ قال الشيخ : ما رأيك هل ستُرافِقُه ؟ قُلتُ : مستعد يا شيخ، وكُنتُ في شَوق لأتعرَّف على مكَّة والمدينة، وأُصلِّي فيهما ما كتب الله، فقال الشيخ : تعتمرون وتسقيه من ماء زمزم، ولعلَّ الله أن يُعافيه؛ فحجز لنا الطَّيران أحد حرس الشيخ، وأعطانا الشيخ قيمة التَّذاكر، فذهبنا واعتمرنا مع الأخ، وذهبنا مكة والمدينة أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسنات الشيخ، وكلّ من تعاون معه إنَّهُ أرحم الرَّاحمين.

وأعرف أحد الإخوة المُعاقين حصلت لهُ أمراض، وعندهُ شلل في إحدى يديه وعندَهُ شُحنات في الدِّماغ، فقال لي تكلفة علاجي الشَّهري عشرة ألف ريال يمني يُعطينيها الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-.

ولقد كان الشيخ -رحمه الله- يرى في بعض كبار السِّن، وبعض المرضى الَّذين يعجزون عن المشي إلى المسجد جِدًّا واجتهاداً وحُبًّا للخير، فسعى الشيخ -رحمه الله- حتَّى وفَّر لهم (عربات صغيرة) يقودونها بِكلّ يُسر، وسمح لهم بإدخالها إلى صرح المسجد، فلو ترى فرح هؤلاء بهذه العربات، وكيف تُيَسِّر لهم حُضُور الجُمَع والجماعات، وحُضُور الدُّرُوس العِلميَّة، وكذا تُيسِّر لهم الذَّهاب إلى السُّوق، وزيارة الأقارب، وغيرها من المصالح الكثيرة لهؤلاء المُعاقين ولكبار السِّن -حفظهم الله تعالى-.

لو رأيت ذلك لقُلت جزى الله الشيخ خير الجزاء على تعاوُنِه مع أهل البلاء.

وحدَّثني الأخ الفاضل أبو علي الصُّبيحي -حفظه الله تعالى- قال : كان الشَّيخ ينظر إلى ولدي علي، وهو يضعف في جسمه إلى أن صار نحيلاً جداً، قال : وكنتُ في يوم من الأيَّام في محلِّ عملي، إذ دخل عليَّ الشَّيخ وسلَّم عليَّ، وقال لي : كيف أحوالك يا أبا علي ؟ نحن ترانا نعتبر أهل وإخوة في الله، قُلتُ لهُ : الحمد لله يا شيخ، نحنُ في خير وعافية، قال : ممكن أسألك سؤالاً ؟ قُلتُ : تفضَّل يا شيخ، قال : هل يُعاني ولدك علي من مرض أو أيِّ شيء ؟ أراهُ في كُلِّ مرَّة يضعف جسمه أكثر، فأنا مستعد نتعاون

معك، ونُعالجه إن احتاج إلى علاج؛ قال : فأثَّر هذا فيَّ أيَّما تأثير، وقُلتُ لهُ : جزاك اللهُ خيراً حفظك الله يا شيخ ...

فهذه القصَّة وأمثالها ممَّا يدلُّ على تفقُّد الشَّيخ لأحوال إخوانه وطُلَّابِه، وحِرصه على إعانتهم قدر الاستطاعة رحمهُ الله رحمةَ الأبرار.

الشيخ والغرباء

الغُرباء : اسم غريب وهو البعيد عن وطنِه، والرِّحلة في طلب العلم سُنَّة مُتَّبعة، وفي رحلة نبي الله موسى إلى الخضر عليهما السلام فوائد عظيمة، وقُدوةٌ حسنة جاء تفصيلها في الكتاب والسُّنَّة؛ فذكرها الله -تعالى- في سورة الكهف، وأمَّا في السُّنَّة : فقد بوَّب الإمام البُخاري في صحيحه في كتاب العلم ـ باب ما ذُكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام، وقوله -تعالى- : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وساق الحديث. قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- : هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقَّة في طلب العلم.

وكذا كان من أول من سافر لطلب العلم هم الصَّحابة الكرام -رضي الله عنهم- أجمعين؛ فقد رحلوا من الأمصار المُختلفة والقبائل المُختلفة إلى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-.

فالصَّحابيُّ الجليل أبو أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه رَحَلَ من المدينة إلى عُقبة بن عامر بمصر يسألهُ عن حديث سَمِعهُ من النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فلمَّا جاء إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري عانقهُ، وبعث معه من يَدُلُّهُ على منزل عُقبة، فلمَّا لَقِيَهُ قال لهُ : (حدِّثنا ما سَمِعتُهُ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ستر المُسلم لم يبقَ أحدٌ سَمِعهُ غيري وغيرك) فلمَّا حدَّثهُ ركِبَ أبو أيُّوب راحلته راجِعاً إلى المدينة، وما حلَّ رَحلَه.

وقد خَشِيَ أبو أيُّوب أنَّهُ قد نَسِيَ شيئاً من الحديث، فرحل شهراً كاملاً من الحجاز إلى مصر يقطع المفاوز لأجل حديث واحد.

وكذلك فإنَّ جابر بن عبد الله - ﷺ - رحل إلى عبد الله بن أنيس في الشَّام شهراً كاملاً؛ ليحمل عنهُ حديثاً واحداً، لم يكُن جابر قد سَمِعهُ من النَّبي -ﷺ- وهو حديث : «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلاً بُهماً»، وكذا فقد اتَّسعت الرِّحلة بعد ذلك في جيل التَّابعين نظراً لأنَّ الصَّحابة قد تفرَّقوا في الأمصار، واستقرُّوا بها؛ فذهب التَّابعون وراءهم يُسافرون لطلب العلم.

قال سعيد بن المُسيِّب : إن كُنتُ لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة اللَّيالي والأيَّام.

ورحل الحسن البصري من البصرة إلى الكوفة لِمقابلة كعب بن عُجرة رضي الله عنه ليسألهُ عن مسألة.

وقال الشَّعبي : لو أنَّ رَجُلاً سافر من أقصى الشَّام إلى أقصى اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عُمرِه رأيتُ أنَّ سَفَرهُ لا يضيع.

ورحل شُعبة بن الحجَّاج والإمام أحمد، ويحيى بن معين، والإمام البُخاري، وغيرهم الكثير والكثير من سلف هذه الأُمَّة.

والخطيب البغدادي لهُ كتاب اسمُهُ الرِّحلة في طلب الحديث ذكر فيه نماذج من رحلة الصحابة إلى النَّبِيِّ -ﷺ-، ومن رحيل التَّابعين إلى الصَّحابة، ومن رحلة العُلماء إلى المشايخ في البلاد الأُخرى.

هذا وقد يسَّر الله -تعالى- للأُمَّة بمراكز أهل السُّنَّة في اليمن، ويسَّر الرِّحلة لِطُلَّاب العلم من شتَّى بِقاع الأرض إلى اليمن ما لم يتيَسَّر إلى غير اليمن، فكان أكثر من رُحِلَ إلَيه في البلاد اليمنية في عصرنا الإمام الجهبذ العالم الكبير، والمُصلح النِّحرير شيخ مشايخنا من أحيا الله بِهِ السُّنَّة، وقمع بِهِ البِدعة، فأقرَّ بدعوته عُيُون المُوحِّدين، وكان شَوكَةً في حلُوق المُبطِلين الشيخ المِفضال، والعلم الأَشَمّ مُقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ رَحمةَ الأبرار، فقد رُحِلَ إلَيه من عدة أمصار، وشاع ذِكرُه وطار حتَّى قال أحدُ العُلماء : لم يُرحَل إلى اليمن بعد عبد الرزَّاق الصَّنعاني فيما أعلم مثلما رُحِلَ إلى الشَّيخ مُقبل الوادعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

فكان -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُحسن إلى الغُرباء، ويدعو لهم، ويُشجِّعهم ويرى أنَّهُم من سيحمل السُّنَّة في بُلدانِهم، وينشروا دعوة الإسلام، فلمَّا حضرتْهُ الوفاة أوصى بالغُرَباءِ خيراً، والله -تعالى- يقول : ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة : ١٨١]، فما هي إلَّا أن مضت الأيَّام حتَّى تسلَّط عليهم الحجوري هداهُ الله، فشرَّدهم أيُّما تشريد، وأخرج من أخرج، وأبقى من يُريد، وكان في مُعاملته لهم شديدا، فقال في بعضهم : اضربوه بالنِّعال واتفُلُوا في وجهه، وأمهل بعضهم أيَّاما، وقال : إن وجدتُّمُوه بعدها فأهينُوه، فصارت عندَهُ الوصيَّة قِصَّة منسية أضحت في خبر كان.

قال الشيخ العلَّامة محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-: خرج بعض هؤلاء الغُرباء يبكون، ولا يدرون أين يتَّجِهون، ووُجِدَ بعضهم عند الكعبة يبكي، ويدعو الله على الحجوري.

هذا وقد صدقت فِراسة الإمام مقبل الوادعي -رحمة الله تعالى- يوم أن قال: الأخ عبد الرحمن العدني ادعوا لهُ جميعاً أنَّ الله يُثبِّتهُ، وأن يصرف عنهُ كُلَّ شرٍّ ومكروه، فإذا ثبَّتَهُ الله -ﷻ-؛ فسيأتيه طلبة العلم من اليمن، ومن خارج اليمن، وهو أهلٌ لأن يُرْحَل إلَيه -حفظه الله تعالى-.اهـ

فثبَّتَ اللهُ الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، فلم يتلطَّخ بحزبيَّة، ولم يُعرف بعصبيَّة، وفتح دار الحديث بالفُيُوش فزكَّى هذه الدَّار جُلَّ علماء الأمصار على سبيل المثال لا الحصر ثُلَّةٌ من علماء العصر منهم صاحب القدر الجلي ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاهُ، وجعل الجنَّة مثوانا ومثواه، والوالد الحكيم الملي محمد الوصابي العبدلي -رحمه الله-، وأكرم مثواه؛ فحينها أقبل الطُّلَّاب من مُعظم البلاد، وكانت هذه الدَّار مأوى للأخيار، وكثر الغُرباء من خارج اليمن، فمثلاً من جاء إلى دار الحديث بالفُيُوش من إندونيسيا يصلون إلى الألف، أو يزيدون كما حدَّثني بذلك الأخ آدم الإندونيسي، وكذا من الجزائر وتنزانيا وكينيا وأوغندا ونيجيريا وغيرها من دول العالم الكثير والكثير.

فكان هذا المركز بحق مأوى لأهل السُّنَّة لَمَّ شملهم، وجمعهم الله فيه على الخير والهُدى.

كانت أيَّاماً ما أجملها من أيَّام، ولمُدَّة عشرة أعوام القُلُوب مؤتَلِفة، والمحبَّة مُتَّصِلة من الصَّباح إلى المساء، والكُلُّ مشغول بالعلم النافع، ومُذاكرة الدُّرُوس وو ...

فلو ترى الشَّيخ -رحمه الله- كيف عامل الغُرباء بِكُلِّ تقدير واحترام، وأذكر على سبيل المثال ما كتبه أحد طُلَّاب العلم من الغُرباء وهو الأخ الفاضل أبو سعد محمد قريش بن طيِّب الأوغندي في منشورٍ أسماهُ : ((نُصرة المظلوم)) فمِمَّا ذكر فيه أن قال في ص١٥ : لقد عُلِمَ بالتَّواتُر في الفُيُوش شِدَّة حِرص الشيخ على الغُرباء، والاهتمام بشؤونهم، والإحسان إلَيهم قدر المُستطاع لا يُنكِر ذلك من عرف المركز إلَّا من ساء قَصدُه، أو عَمِيَ قلبُه، فلقد كُنتُ أخشى أن يجد إخواننا اليَمَنِيُّون في قُلُوبِهِم بما يحرص الشيخ على الإكرام والإحسان إلى الغُرباء، لكنَّهُم ولله الحمد كُرماء وأعزاء في نُفُوسِهم لم نُلاحِظ منهم شيئاً من ذلك. لقد كان الإمام منذ سنين غريبا من الغُرباء وهو الأخ فوزي الإندونيسي -حفظهُ الله تعالى- مع أنَّ كثيراً من أهل اليمن في المركز أحسن منَّا قراءة بكثير.

والمُؤذِّن الرَّسمي هو الأخ شُكري أيضاً إندونيسي، وإلى يَومِنا هذا المُؤذِّن إندونيسي، والَّذين يقومون بأكثر الوظائف في المركز هُم الغُرباء. والعمارة الَّتي في سكن الطُّلَّاب كان أكثر من يسكُنها الغُرباء، وكثير من إخواننا أهل اليمن ينامون

خارجها في الأمكنة المفتوحة لِكُلِّ حشرةٍ مُؤذية، والرِّياح والغُبار ! فكيف يُقال لرجل لم يرض لكم قرص بعوضة أنَّهُ ظلمكم، وأساء إلَيكم أو رَضِيَ عليكم بشيء من ذلك. اهـ

وحدَّثني الأخ الفاضل أبو معاوية التنزاني -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- فتح لهم حساباً لأيِّ كتاب يأخذونه لدراسته على حساب الشَّيخ.

قال : وكذا عند حصول أي مرض لأحد الإخوة الغُرباء أو لعوائلهم؛ فالعلاج على حساب الشيخ، وقد حصل أن أجريت عملية لزوجتي؛ فساعدني الشيخ -رحمه الله- في العلاج ..اهـ

وقد زوَّج الشيخ مجموعة من الغُرباء، وبعضُهُم ذهب يتزوج إلى بلاده، فأرسل لهم الشيخ مهر الزواج إلى بلادهم.

بدء فتنة الغُرباء في المركز

هذه الفتنة عاصرتها، وشَهِدتُ أحداثها وتفاصيلها، ولكنِّي لن أنقُلها بتعبيري الخاص عن أحداثها، بل سأذكر ما كَتَبهُ أحد الغُرباء فيها في المنشور الآنف الذِّكر ((نُصرة المظلوم))، وكشف اللَّبس عن قضيَّة الغُرباء في الفُيُوش قال في ص٧ : ـ فتتابع خُرُوجهم من المركز إلى عدن بِعلم الشَّيخ دون إذنٍ لهم مع أنَّ أكثرهم طُلَّاب في سكن الطُّلَّاب العُزَّاب، وهُم تحت مسئوليته في جميع شؤونهم، ومن أجله جاءوا ... ، وأذكر مرَّة أنَّ الشيخ عبد الرحمن كانت لهُ مُحاضرة في لحج، وجاء القَوم في نفس اليوم ـ يوم الجُمُعة بأربعة باصات أو خمسة، فوقفت أمام المسجد بعد صلاة العصر، وبدأت تحمل الطَّلبة إلى عدن في نفس وقت المُغادرة إلى مُحاضرة الشَّيخ ... اهـ ، ومن أحب المزيد عن الموضوع فليراجع المنشور المذكور.

وخُلاصة ما حصل فيها :

ـ السَّب بالألفاظ الغير لائقة لشيخ الدَّار -رحمه الله-، وكاد البعض أن يقترب منهُ لضربه، فعاملهم الشيخ مع حِراسته بِحِكمة في هذا، وصبر عليهم.

أمر الشيخ طُلَّابه بعدم مشاجرتهم، وعدم النِّقاش معهم إلَّا بِلِين لمن علم أنَّهُ سيُؤثِّر فيهم، وقال: مهما تكلَّموا فلا تردُّوا عليهم، وقال الشيخ لنا : اصبروا اصبروا، فالأمر ليس بالسَّهل حتَّى يفرجها الله. في تلك الأيَّام كان خُرُوج الغُرباء شِبه يومي إلى عدن لِقاءات وتجمُّعات ومُحاضرات بدون إذن الشَّيخ -رحمه الله- ممَّا أدَّى إلى أخذ

نظرة من مسئولي نقطة التَّفتيش الَّتي في مدخل عدن، فاتَّصل أحد مسئولي النقطة، وقال للشَّيخ : نحنُ نُحِبُّكُم يا شيخ، ونحب دعوتكم المُباركة، ولكن هذه الأيَّام كثر خُرُوج الغُرَباء، والأُمُور الأمنية ليست على ما يُرام، وبعضهم لَيس لديه هويَّة؛ فتكلَّم الشيخ بهذا بعد صلاة العِشاء ليلة الجمعة، بكلام مفاده أنَّهُ لا يأذن لأحدٍ بالخُرُوج من المركز إلَّا بإذنٍ منهُ، وأكَّد هذا بعد الفجر من يوم الجُمعة، فزادهم هذا عِناداً، وأكثروا الخُروج بِحُجَّة أنَّهُم اتَّصلوا بالشيخ عُبيد، وقال لهم : اذهبوا إلى عدن لمُحاضرات هاني، وإن منعكم عبدالرحمن كذا يقولون والله أعلم، وهو -سُبحانه- جامع الناس ليومٍ لا رَيب فيه، فلما خرجوا تمَّ القبض على بعضهم في نقطة التفتيش الحكومية الَّتي بين عدن ولحج، وهكذا اشتدَّت الأُمُور، وكان بعضهم يتكلَّم والشَّيخ يُدرِّس ، والبعض خرجوا إلى مسجد بلك ٣؛ ليجلسوا فيه وقت الدُّرُوس، ووقت الأكل يعودون إلى سكن الطُّلَّاب، والشيخ -رحمه الله- صابر محتسب، وفي يوم السَّبت ٢٢ محرم ١٤٣٦هـ، وبعد صلاة الظُّهر قرأ الشَّيخ توجيهات من مُحافظ مُحافظة لحج -الَّتي فيها المركز- وأخبر المُحافظ أن هذا الأمر جاء من وزير الدِّفاع، ووزير الدَّاخليَّة، وهو الأمر بترحيل الغُرباء إلى بُلدانهم، فلمَّا أكمل الشيخ الكلمة رأيت الكثير من إخواننا يبكون، ثُمَّ رأيتُ بعض الإخوة الغُرباء يضحكون. وقال بعضهم : حتَّى وإن لم يأتِ قرار لن نجلس. حينها أشاع بعض الإخوة هداهُم الله أنَّ الشَّيخ كذب، وأنَّ القرار لم يأتِ من الدَّولة، فجاءه مُحافظ المُحافظة آنذاك، وأكَّد أن الأمر لهُ أكثر من أربعة أشهُر،

وأنَّ الشيخ عبد الرحمن صادق في كُلِّ ما نَقَل وقال المحافظ للَّذين كذَّبوا الشيخ، وكذَّبوه بيننا المحضر المسجَّل فالجموا.

وقد تضرر كثير من إخواننا الغُرباء بهذا القرار، ورأيتُ بعضهم ممَّن لم يخوضوا في الفتنة يبكون على فراق شيخهم ومركزهم، وقد حاول الشيخ -رحمه الله- أن يشفع لهم عند بعض المسؤولين آنذاك ببقاء بعض الإخوة الغُرباء الحريصين على العلم، فلم تتم الشفاعة. قال لي الشيخ محمد الخُدشي -حفظه الله- : والله لقد سمعت الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- بإذني وهو يقول لمدير أمن المُحافظة : هل في مجال نشفع لبعض الإخوة (من الغُرباء) ؟ فقال : لا نستطيع.

ثُمَّ ذهب الشَّيخ -رحمه الله- للعُمرة، والتقى بِالشَّيخ الفاضل محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-، وقال لهُ الشيخ : ليجلس لي أحد الإخوة، وأنا مُستعد في أيَّ خطأ يَنسِبُوهُ إليَّ في قضيَّةِ الغُرباء أو غيرها، وطلب واحداً منهم يختارونهُ للجلوس فأبوا إلَّا جميعاً، وكذا قال -رحمه الله- للوالد العلَّامة ربيع المدخلي -حفظه الله- أيِّ خطأ ترونَهُ عليَّ مستعد أرجع فيه، وأتوب إلى الله -تعالى-، وطالب من انتقدهُ بالتحاكم إلى علماء اليمن؛ فرفضوا كذلك أصلحهم الله.

وكان سبب رفض الشيخ الجُلُوس معهم جميعاً ما قال الشَّيخ -رحمه الله- قال : خشيتُ أن يكذبوا عليَّ وهم مجموعة، فقد يُصدِّقهم بعض الناس.

فانتقل الشَّيخ -رحمه الله- إلى ربِّهِ، وبعد مَوتِه اتَّضح حال الإخوة الَّذين كانوا يُهيِّجُون الغُرباء على شيخهم في المركز (هداهُم الله)، والَّذين يشيعون عند بعض كبار العُلماء في المملكة الغَيرة على المنهج السَّلفي، وينقلون عن الشَّيخ عبد الرحمن، وإخوانهُ من عُلماء اليمن الصُّورة المُشوَّهة عندهم، وهذا الَّذي جعل الشيخ عبد الرحمن يعتذر للمشايخ الأجلَّاء هُناك في عدم الجُلُوس معهم، وأنَّهم ليس عندهم غيرة على المنهج السَّلفي، وأنَّ قضيَّتهم عند من يعرفها من عُلماء اليمن؛ فمرَّت الأيَّام وانكشف الغِطاء، وبان المُغطَّى، فتبرَّأ من هؤلاء ومن منهجهم من كان يُحسن الظَّنَّ فيهم من العُلماء الأجلَّاء في المملكة العربية السُّعوديَّة وفَّقهم الله لِكُلِّ خير، وحفظهم الله من كُلِّ شرٍّ ومكروه، وأسأل الله -تعالى- أن يُصلِح إخواننا في الله، وأن يَرُدَّهُم إلَيه ردًّا جميلاً، وأن يجمع كلمة أهل السُّنَّة في كُلِّ مكان.

كلمة تسلية وتصبير للإخوة الغرباء بعد قرار ترحيلهم

وهذه الكلمة كانت لشيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- في السادس والعشرين من شهر محرم لعام ١٤٣٦هـ، وبعد قرار ترحيلهم بلياليٍ يسيرة بعنوان : ((تَبْرِئَةُ الإخوة الغُرباء من تُهمة الإرهاب))، وممَّا قال فيها -رحمه الله- :

احذروا من الَّذين يَدُسُّون الدَّسائس، ويسعون في تفريق الصَّف وزرع الفِتَن في أفراد الدَّعوة الواحدة كُن عَبدَ اللهِ المظلوم ولا تكُن الظَّالم، وإن طُعِنَ فيك، وإن قيل فيك، وإن تُكلِّمَ فيك، فاعلم أنَّ الله -سبحانه وتعالى- سيتولَّى الدِّفاع عنك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[الحج : من الآية ٣٨] كم من مكر للشَّيطان، وكيد الشَّيطان لعباد الله في اللَّيل والنَّهار لزرع الشَّحناء والبغضاء والقطيعة بين أفراد الدَّعوة الواحدة، فعلينا عباد الله أن نُفوِّت الفُرصة على الشَّيطان الرَّجيم، وأن نسعى إلى تعميق أواصر الأُخُوة والمحبَّة والرَّوابط فيما بيننا؛ فهذا شيءٌ يُحبُّه الله، وهذا شَيءٌ أمر اللهُ -تعالى- به، فالله الله إخواني في الله الله في الحرص على هذا الخير الَّذي وفَّقنا الله إِلَيه، فالأُمَّة في أمسِّ الحاجة إلى علماء ليس إلى عالم أو إلى عالِمَين، بل إلى عُلماء إلى خُطباء، وإلى أئمَّة وإلى مُدرِّسين ومُدرِّسات نعم نحمد الله -تعالى- في بلادنا اليمنيَّة وغيرها من البلدان الَّتي أقبل أهلها على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فأعداؤنا يا إخواني، يُريدون شغل المُسلمين بالفوضى والفِتَن ما تكاد تجد بلده يهدأ فيها الأمر إلَّا وفجَّروا الوضع في بلدةٍ أُخرى هل تظُنُّون أنَّ هذا يأتي عفويًّا ؟ لا بل هذا ناشئ عن مُخطَّطات مدروسة، وخُطط معلومة يسعى فيها الأعداء قد يُخطِّطون قبل عشر سنوات، ويُنفِّذون بعد عشر سنوات، ويُشارك في هذا التَّخطيط خُبراء ....

لكن نحنُ نستعين بالله، ونلزم تقوى الله بالصَّبر، والله قد وعد ووعده الحقّ ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[آل عمران : من الآية ١٢٠].

مهما مكر الأعداء، ومهما خطَّطوا إذا لجأنا إلى ربّنا وتُبنا إلى خالقنا واعتصمنا بكتاب ربّنا، وبسنَّة نبيِّنا -ﷺ-، ولزمنا الصَّبر والتَّقوى وتآخينا فيما بيننا؛ فإنَّ الله -ﷻ- ينصرنا على أعداءنا، ويجعل كيدهم في نحرهم، ويجعل تدبيرهم في تدميرهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران : ١٥٠].

فالله الله اخواني في الله يا معشر الغُرباء اتَّقوا الله في أنفسكم لا يقعنَّ في أنفسكم شيء من الحسرة والأسف والحُزن، وقد فوَّضتُم أمركم إلى الله وقُلتُم يا ربَّنا خِر لنا ... فأنا شخصيًّا ما أدري ما يحصل لي في اليوم، وفي الغد وبعد غد، وأنت أيضاً لا تدري أين الخير؛ ففَوِّض أمرك إلى الله قل يا ربّ اختر لنا ما فيه الخير، فقد يكون الخير في خُرُوجك وأنت تُصارع، وتقع في إخوانك وما يُدريك لعلَّ الخَير في الباطن في خُرُوجك، وقد يكون الخير في بقائِك، ونحنُ أيضاً لا ندري الخير في بقائِكم، أو في خُرُوجِكم، فلنُفَوِّض أُمُورنا إلى الله، فندعوا الله -تعالى- صادقين أن يُقدِّر لنا ولهم

وللبِلاد والعباد ما فيه الخَير أنتَ في أيَّام الفِتَن بعضهم يكون الخَير في انتقالِه من هذا المكان، فيأبى ويُصِرّ ويُحاول ويُكافِح، ثُمَّ -سُبحان الله- تأتي مُصيبة، وهو في المكان الَّذي أصرَّ وحاول بِكلّ وسيلة أن يبقى فيه، وما يدري أنَّ في خُرُوجِه استسلامًا للقدر ليس استسلامًا لِفُلان وفُلان؛ لأنَّ العبد المُسلم يعلم بأنَّ الأُمُور بيد الله يا إخواني، الأُمُور بيد الله الَّذي يُدبِّرها ألا نُؤمن بالقضاءِ والقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر : من الآية ٤٩] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الأحزاب : من الآية ٣٨] ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[الأنفال : من الآية ٤٤] أما تدري أنَّكَ تجري على ما قدَّرهُ الله في ليلك وفي نهارك في صُبحِك في مسائك هل تستطيع أن تفر من القدر؟ أنا والله يا إخواني لا أ دري هل أبقى هنا أو أنتقل ؟ هل كذا هل كذا ؟ ما أدري أنا أدعو الله -ﷻ- أن يُقدِّر لي ولأُسرتي ما فيه الخَير نحنُ في زمن فِتَن قد يخرُج الغُرباء، وبعد ذلك يخرج أهل البلد من اليَمَنِيِّين قد يُقدِّر الله شيئاً، نحنُ لا ندري ماذا يجري لنا في الغَد لا تظُن أنَّنا نشعر بِثِقة، وأنَّ المكان مكاننا، وأن المركز مركزنا، وأنَّ البِلاد بِلادنا، وأنَّ الأرض أرضنا سنبقى فيها حتَّى المماتِ لا يا أخي، فما ندري ماذا سيحصُل لنا في الغَد فضلاً عن بعد غدٍ فضلاً عن بعد شهر.

يا أخي، الأُمُور بيد الله -ﷻ- .... وهكذا أُكَرِّر طلبي ورجائِي من إخواني الغُرباء أن يُوسِّعُوا صُدُورهم، وأن يُفَوِّضوا أمرهُم إلى الله -ﷻ-.

أنا والله العظيم يا أخي الغريب لو كُنتُ في موضعك لاجتهدتُّ في الدُّعاء أنَّ الله يُقدِّر لي ولأُسرتي ولِأولادي ما فيه الخَير يا أخي أنا ما أدري أين الخير ادعُ واجتهد يا أخي، نجتهد أنا وأنت وإخواننا الَّذين في هذه الدَّار وخارج الدَّار الَّذين في اليمن وخارج اليمن ينبغي أن يدعوا لإخوانهم .... قل يا ربِّ قدَّر لي ما فيه الخير إيَّاكَ أن تتطَيَّر بِفُلان وفُلان ... يا أخي ما يُدريك أنَّ الله صرف عنك شرًّا ما يُدريك لعل الله ساق بِحِكمَتِه ما فيه الخير لك ... الخ.

قصة بناء مسجد بجانب مسجد دار الحديث بالفيوش وكيف تعامل الشَّيخ مع المُخالفين

هذه القِصَّة من الذِّكريات الحزينة، ومن الأُمُور الغريبة الَّتي حصلت في هذا الزَّمان، فمسجد دار الحديث بالفُيُوش الَّذي أسَّسهُ الشَّيخ عبد الرحمن غفر اللهُ لهُ يحمل آلاف الطُّلَّاب والطَّالِبات، وعمَّ نفعُه في سائر البلاد لم يَكُن من المُتوقَّع أن يُسلَّط لحربه وعداوَتِه من شَرِبَ من عَذبِه وذاق حلاوته، ولكن لله الحِكمة في تصريف الأُمُور، ففي يومٍ من الأيَّام تفاجأ الشَّيخ وطُلَّاب الدَّار، وصُلحاء أهل السُّنَّة في كثيرٍ من الأقطار بخروج مجموعة من الشَّباب هداهم الله بتخطيط لبناء مسجد بجانب مسجد الدَّار يبعُد عنهُ بـأمتار، وليست المُشكلة في بناء مسجد؛ فهو بيت الله -جلَّ في عُلاه-، ولكن المُشكلة في بنائِه لِمُخالفة الشَّيخ وطُلَّاب الدار، والكلام في علماء أهل السُّنَّة الأخيار، وذلك بعد أن خرجوا على الشَّيخ عبد الرحمن بالسَّبِّ والثَّلب، فعندما سمع سُكَّان الدَّار بهذهِ الأخبار استاءوا لهذا الأمر.

أذكر في تلك اللَّيلة دعا الشَّيخ -رحمه الله- بالاجتماع مع بعض الإخوة، وبعض الآباء في الدَّار، وكُنتُ فيمن استُدعي للحُضُور، وأراد الشَّيخ -رحمه الله- تهدِئة الإخوة والمُشاورة لحلِّ هذه القضيَّة، وأذكر ممَّا ذكر الشَّيخ في ذلك المجلس أن قال : ليذهب منكم مجموعة إليهم لمُناقشتهم ومُناصحتهم، ولكن بشرط أن لا يذهب رجل عندهُ مرض السُّكَّري، ولا رجل أقل سِنَّاً من خمسين عاماً، ثُمَّ اختار الشَّيخ مجموعة من كبار

السِّن العُقلاء، وقال لهم وأنتم كذلك تذهبون بشرط ألَّا يحمل أحد منكم سلاحاً ولا جَنبية، ولا حتَّى عصا، ولا تأخذوا إلَّا من سواك، ثُمَّ ابتسم وقال : انتبهوا حتَّى السِّواك صغير، وليس مثل العصا؛ فضَحِك الحُضُور ثُمَّ قال الشَّيخ كلِّموهم، وأنا مُستعد والله للتَحاكُم معهم إلى وُلاة الأُمُور، وهُم يختارون إمَّا وُلاةُ الأُمُور من العُلماء، وإمَّا وُلاة الأُمُور من المسؤولين، وليس من قضيَّة إلَّا ولها حل.

الأمر الآخر أُطالِبهُم أن يأتوا مع إخوانهم فيدرِّسوا معنا لكن بشرط قال الله قال رسُوله -ﷺ- بعيداً عن إثارة الفِتَن الحاصلة، ومن اعتقد منهم شيئاً في هذه الفِتَن؛ فليَدِن لله به ولا نُلزِمه أن يقول بِقَولنا، ويرى رأينا، ولا يُلزِمنا أن نرى رأيه خاصَّة في المسائل الَّتي يسع فيها الخِلاف.

أو الأمر الثَّالث : ليبنوا لهم مركزًا بعيدًا عن هذا المكان، وليدعوا إلى الله بما يُقرِّبهم إلَيه ولن نتكلَّم عليهم بِخُصوص أنَّهُم بنوا مسجدًا وجعلوا مركزًا، ثُمَّ دعا الله ﷻ أن يَلُمَّ الشَّمل وأن يُصلِح القُلُوب، ثُمَّ قال الشَّيخ -رحمه الله- : وليس عندنا مُعارضة ببناء مسجد؛ فهو بيتُ الله -سُبحانه- لكن ما يصلح مسجد بجانب مسجد، ومكرفون بجانب مكرفون، وسيكون فيه دُرُوس ومُحاضرات لأُناس يسيرون على غير سيرنا، وخاصَّة أنَّ السُّوق واحد، والطُّرُق واحدة مُتقاربة؛ فنخشى من التَّصادُم مع أُناس قد لا يصبِر الواحد على أخيه، فنريد الدفع قبل الرَّفع بالَّتي هي أحسن (بمعنى كلامه) -رحمه الله-.

فهذا الموقف من المواقف الَّتي تدُل على صبر الشَّيخ وعلى حِلمِه وحُبِّهِ لجمع الصَّف، وعدم إثارة الفِتَن في أبناء الدَّعوة الواحدة من أهل السُّنَّة والجماعة.

الـــرأي قبـــل شـــجاعة الشُّـــجعان هـــو أول وهـــي المحـــل الثـــاني

فلمَّا أصرَّ الإخوة هداهم الله على رأيهم، وتوصَّل الأمر إلى بعض المسؤولين أرسلوا وفداً ينظرون المكان؛ فلمَّا رأوا قُرب المسجد من مسجد المركز أمروا بمنع البناء إلَّا بإذن الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-.

الشيخ والصُّلح بين النَّاس

لقد حثَّ الشَّرع المُطهَّر على الصُّلح بَين النَّاس، وإصلاح ذات البَين، وللصُّلح بَين المُسلمين فوائد عظيمة، فإنَّهُ يُثمر الأُلفة مكان الفُرقة، واستئصال داء النِّزاع قبل أن يستفحل، وحقن الدِّماء الَّتي تُراق، وتوفير الأموال الَّتي تُهدر للقُضاة والمُحامين بالحَقِّ وبِالباطل، والحماية من شهادة الزُّور، وتجنُّب المشاجرات، والاعتداء على الحُقوق والنُّفُوس، بل إنَّ الشَّريعة جعلت للصُّلح حقًّا من الزَّكاة، أو من بَيت المال؛ لأداء ما تحمَّلَهُ المُصلح من الدُّيُون بسبب الإصلاح، وإن كان قادرًا على أدائها من مالِهِ فقال -تعالى- : ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾، ويدخل في ذلك من تحمَّلوا الدِّيات؛ لأجل الإصلاح بَين النَّاس، وكفِّ بعضهم قتل بعض.

وكان النَّبيُّ -ﷺ- يُصلِح بَين النَّاس، وفي سُنَّتِه الفِعليَّة أمثلة كثيرة وعمل دائب منهُ -ﷺ- في الإصلاح بَين النَّاس، فقد روى البُخاري -رحمه الله- في صَحيحه : (أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ الله -ﷺ- بِذَلِكَ، فَقَالَ : «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»، أمر الصَّحابة أن يذهبوا للإصلاح بينهم، وعَنوَن عليه البُخاري -رحمه الله- (باب قول الإمام لأصحابه اذهبوا بِنا نُصلح).

بل إنَّ النَّبيَّ -ﷺ- كان يذهب في الإصلاح، ولو بَعُدَت المسافة، ويتحمَّل المَشقَّة لأجل الإصلاح بَين النَّاس، كما روى البُخاري : (أَنَّ بَنِي عَمْرو بنِ عَوْفٍ بِقُبَاء كَانَ بَيْنَهُم شَيءٌ؛ فَخَرَجَ رَسُوْلُ الله -ﷺ- يُصْلِحُ بَيْنَهُم فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَحُبِسَ

رَسُوْلُ الله -ﷺ-، وحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْر، إِنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قَدْ حُبِسَ، وقَدْ حَانَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِنْ شِئْتَ؛ فَأَقَامَ بِلالٌ الصَّلَاة، وَتَقَدَّمَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَكَبَّرَ بِالنَّاسِ، وَجَاءَ رَسُوْلُ الله -ﷺ- يَمْشِي في الصُّفُوفِ يَشُقُّهَا شَقًّا، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ... الحديث).

فهذا يدُلُّ على عظيم شأن الإصلاح بَين المُسلمين، فعلى الدُّعاة وطُلَّابِ العلم أن يحرصوا على هذه العبادةِ الجليلة، وأن يكونوا حُكماء مُصلِحين، مفاتيح خير مغاليق شر.

ومن أعظم أنواع الصُّلح بَين المُسلمين : الصُّلح بَينَ المُتقاتِلين؛ لأنَّ إراقة الدِّماء بَين المُسلِمين من أعظم الكبائر، ومِمَّا يُفرِّقُ الصُّفوف أشدّ التَّفريق، ولذلك قال الله -تعالى- : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾، فهذا أمرٌ بالصُّلح.

ولقد كان لشيخِنا -رحمه الله- أوفر الحظ والنَّصيب في هذا الجانب، وهُوَ الصُّلح بَين النَّاس ممَّا زاد إقبال الناس عَلَيه، والتَّحاكُم إِلَيهِ، وكان -رحمه الله- كثيراً ما ينصح ويخطُب ويُحاضر على أهمِّيَّة الصُّلح بَينَ النَّاس، بل ويسعى بِنَفسِهِ في كثيرٍ من قضايا الإصلاح مع ما عِندَهُ من أشغال في أُمور المركز والطُّلَّاب وتحضير الدُّرُوس، والإجابة على الأسئلة وغيرها الكثير والكثير من أشغاله -رحمه الله-.

فمهما كان حَجمُ القضيَّة وشِدَّتها إلَّا أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- كان لا ييأس، بل يستمر ويَصبر على الأذى وما يُلاقيه المُصلِح من تعب ومشقَّة، وبِالأخصّ عندما يكون الصُّلحُ بَين العوام، وقد يُسافر الشَّيخ ليُصلِحَ بَين قَبيلَتَينِ، أو يُسامِح بَينَ مُتخاصِمَين، وكم أطفأ الله على يديهِ من فِتَن كادت أن تشتعل في المُجتمعات، وهذا يبدو واضِحاً في حياتِهِ، وشِدَّة حِرصِه على الصُّلح، وعدم الخِلاف، والَّذي حضر لهُ اللِّقاءات والدُّرُوس وجالَسَهُ يرى هذا في شَيخِنا سجيَّة، والَّذي يُلاحِظ الفِتنة الَّتي أشعلها خُصُومُه عليه ظُلماً وعُدْواناً سواء في دمَّاج، أو في الفُيُوش يَرى حُبَّ الشَّيخ للصُّلحِ، وبغضه الخِلاف.

ومنَ الأدلَّة الواضحة على ذلك قَولُهُ -رحمه الله- في فتنة الحجوري : أنا مُستعدٌّ يا مشايخ أن أوقِّعَ في ورقةٍ بيضاء، واحكُموا بما يُقرِّبُكُم إلى الله، وأنا موافق عليه.

وقَولُهُ -رحمه الله-، والله لو رأى المشايخ أنَّ خُرُوجي من الفُيُوش فيه مصلحةٌ للدَّعوة، وأمروني بالخُرُوج؛ لخرجتُ من هذا المكان.

وهذا بعد فتح المركز، وإقبال النَّاس إلَيهِ بالأُلوف، ومن ذلك أنَّهُ كُلَّما عقد المشايخ اجتماعاً لمُناقشة الفتنة وإصلاح ذات البين خرج الشَّيخ من مركزه، وتحمَّل مشاقّ السَّفر، فتارةً في معبر، وتارةً في صنعاء، وتارةً في الحُديدة، وقد صادف في أحد الاجتماعات أنَّ الشَّيخ مُتعب جِدًّا لِمَرَضٍ كان يُعانيه، بل حتَّى إنَّهُ لا يستطيع الجُلُوس

في مقعد السَّيَّارة؛ فلم يرد الشيخ طلب المشايخ بِحُضُورِهِ، ووُضِعَ لَهُ فِراش في آخر السَّيَّارة، فسافر إلى الحُديدة وهو نائم يتقلَّب إلى أن وصل وحضر الاجتماع.

كلّ هذا لعلَّ الله أن يُصلِح الخِلاف، ويَلُمَّ الشَّمل، ويُوحِّد الكلمة.

وكم حَرِصَ شيخنا -رحمه الله- على الصُّلح مع الإخوة هداهُم الله الَّذين خرجوا على دار الحديث بالفُيُوش وشيخها، فكم احتكم معهم إلى الوالد الوصابي -رحمه الله-، وبعد الرُّجوع إلى الدَّار تكلَّم الشَّيخ في درس بين مغربٍ وعشاء، وأثنى عليهم واحداً واحداً، وفي كُلِّ ليلةٍ أو ليلَتَين يقول الشَّيخ نُحِبُّ أن نسمع كَلِمة من الأخ فُلان، فيقوم الواحد منهم ليتكلَّم؛ فمنهم من يلمِزُ في كلِمَتِه، ومنهم من يُعرِّض بالشَّيخ حتَّى إنَّ الشَّيخ مكَّن أحد هؤلاء ليُدرِّس الدَّرس العام في يوم الجُمعة، فتكلَّم بكلام يَلمِزُ بِهِ الشَّيخ. قال الشَّيخ -رحمه الله- : فجلستُ معهُ، وقُلتُ لهُ : يا أبا فُلان من تَعني بِقولِك كذا وكذا قال : أعنيك أنت، سُبحان الله في مركَزِهِ، ومن على كُرسِيِّهِ، ومع هذا صبر وتحمَّل لأجل الصُّلح، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ الإخوة، ولكن حسبُنا الله ونِعمَ الوكيل، ونُعوذُ بالله من همزات الشَّياطين، ومن قسوة القُلُوب، ومن العُجب والغُرور.

ولَمَّا اشتدَّت الفِتنة من هؤلاء هداهُم الله ذهب الشيخ الخضر البيضاني -حفظهُ الله- إلى أحدِ كُبرائِهِم، فقال لهُ بعد كلامٍ طويل ماذا عِندَ الشَّيخ عبد الرحمن ؟ ما هِيَ الأخطاء ؟ فقال لهُ : (نُريدُ أن نُذِلَّ عبد الرحمن).

سُبحان الله ! سُبحان الله !

اللهُ وَحدَهُ الَّذي يُعزُّ من يشاء، ويُذِلّ من يشاء، ويرفعُ من يشاء، ويضعُ من يشاء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[آل عمران : ٢٦].

وفي ليلةِ الثُّلاثاء ٢٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ كُنَّا في درس الشَّيخ في صحيح الإمام مُسلم، وبعد أن أكمل الشَّيخ الدَّرس بدأ ينصح الطُّلَّاب بِالصُّلح بَين النَّاس، وقال : الناس اليوم يأتون إلَينا، ويقولون احكموا بيننا بشرع الله، فلماذا إذن نتهرَّب من هذا؟ الناس يُريدون شرع الله، ثُمَّ قال الشَّيخ : وأنا من هذا المكان أرمي بها بَين أظهُرِكُم، يا إخوان اتَّقوا الله اتَّقوا الله، ثُمَّ اشتكى الشَّيخ من المحاكم، وما فيها من رشوة وظُلم ووو... ، ثُمَّ اختار الشيخ مجموعة من كِبار طُلَّاب العلم سمَّاهُم بأسمائِهم ليستقبلوا القادمين إلى المركز؛ ليحلُّوا مشاكلهم، ويجيبوا عن أسئلتهم، وغيرها من الأُمور الَّتي يحتاجها من قَدِمَ إلى المركز، ثُمَّ طلب الشَّيخ من يُنسِّق للإخوة المُستفيدين، ويجعل لهم وقتاً كلّ ليلة عند واحد منهم يجلس في مكان مُخصَّص، وعِندَهُ الهاتف ليُجيب عن الأسئلة الَّتي يحتاجها الناس في حياتهم إلى آخر كلامه عن أهمِّيَّة هذا الموضوع.

ولله الحمد والمِنَّة، فقد تعاون واستجاب لهذه الفِكرة مجموعة مُباركة من المشايخ الفُضلاء، ففي كُلِّ ليلة يجلس واحد منهم في الغُرفة الأماميَّة للمسجد يستقبل من جاء ليسأل أو يستشير، وجعل لهؤلاء الإخوة احتراماً وإجلالاً يقول الشيخ محمد الخُدشي -حفظهُ الله- : دخلتُ الغُرفة الَّتي نجلس فيها للإجابة عن الأسئلة، وإذا بالشَّيخ

جالس على الكُرسي الَّذي نجلس عليه، فقام وحوَّل إلى مكان آخر، وقال : اجلس هُنا، قُلتُ : لا يا شيخ مكانك؛ فرفض، وقال : اجلس اللَّيلة مكانك هُنا، وأجلَسَني على كُرسِيِّهِ -رحمه الله-.

وفي هذه اللَّيلة نفسها ليلة الثُّلاثاء ٢٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ بعد كلام الشَّيخ عن ضرورة الصُّلح بَين النَّاس، وبعد أن جعل من المشايخ من يُجيب عن الأسئلة طرق الشَّيخ أمرًا مُهمًّا نفعُهُ ساري إلى اليوم، فقال الشيخ : سنجعل هنا مكتباً خاصًّا، وفيه من الإخوة من يستقبل مشاكل المركز الَّتي قد تجري بَين الإخوة، أو بين الجيران، أو بَين أصحاب البُيُوت والمُستأجرين، أو أي مُشكلة في المركز سواء بَين الطُّلَّاب، أو السَّاكِنين، وأنَّ أي مُشكلة يتمّ إبلاغ المكتب بها، والمكتب يستدعي الأطراف، ويتمّ الصُّلح بينَهُم، فإن تعسَّر الصُّلح على الإخوة في المكتب رُفِعت القضيَّة إلى الشَّيخ، فيتم حلّها بإذن الله.

قال الشَّيخ بعد فترة من فتح هذا المكتب: لقد نفع الله بهذا المكتب نفعاً عظيماً، وخفَّف عنَّا كثيراً ولله الحمد، وبالفِعل فهو كما قال -رحمه الله-، فإنَّهُ يقوم على المكتب إخوة فُضلاء، وطُلَّاب علم نُجباء يصبِرُون على الأذى، ويتحمَّلون التَّعب؛ لأجل الإصلاح بَين الناس كذا نحسبهم والله حسيبُهُم، ولا نُزكِّي على الله أحداً.

فما أجملها من أُخُوَّةٍ، وما أروعَهُ من تعاوُن ثِمارُه تُجنَى إلى الآن، فللهِ درُّ الشَّيخ، ولله هو وهنيئاً لهُ هذه الصَّدقة الجارية.

ثأرات وخلافات في المجتمعات أنهاها الله سُبحانه على يد الشَّيخ رحمه الله

بفضل الله -سُبحانه- على شيخنا أن جعل لهُ المحبَّة والقَبول حتَّى في قُلُوب العوام فضلاً عن طُلَّابِ العلم، فكان الناس يُجلِّونَهُ ويُقدِّرُونَهُ، ويَثِقونَ بِفتاويه، ويرضَونَ بِما حَكم بِه.

ففي ذات مرَّة حصل خلاف بَين قَبيلَتَين على مسقا أرض، وأصل الخلاف قديم بدأ في ١٩٥٦م (كذا هو مُؤرَّخ في وثائقهم لم يُؤرَّخ بالهجري المطلوب)، فخرج للصُّلح بينَهُم سلطان آل عوذله صالح بن حسين، وكتب بَينهُم حُكماً، وأصبح كلّ طرف يدَّعِي بورقة السُّلطان؛ لأنَّ فيها كلاماً مُجملاً، وكُلُّ طرف فسَّرهُ على فَهْمِه لهذا اشتدَّ الخلاف، وعَجِزَت قبائل تلك البلاد عن الصُّلح بينَهُم، حتَّى قُتِلَ رَجُل من إحدى القَبيلَتين، وأُصيب خمسة بِجُروح، حيث جاءت القبيلة الَّتي منها المقتول، وقتلوا رجلا وأُصيب آخر، وفي هذه اللَّيلة ليلة القتل تجمَّع قبائل البلاد جزاهُم الله خيراً للصُّلح بَينهم، فكان بعض الإخوة الفُضلاء الدُّعاة موجوداً ذهب إلى الطرف الأول، وقال لهم : ألا تُريدون شرع الله حكِّموا بينكم الشيخ عبد الرحمن العدني ؟ فرحَّبوا بالشَّيخ حَكَماً، ووافقوا على ما حكم بِهِ الشَّيخ، ثُمَّ ذهب الأخ إلى الطرف الآخر وقال لهم نفس الكلام؛ فرحَّبوا بالشَّيخ يحكم بينهم، وقالوا يحكم بيننا أوَّلاً في أصل الخلاف ـ ثُمَّ القتل، وهكذا تمَّ التَّوقيع على وثيقة بأنَّ الجميع راضٍ بما حكم بِهِ

الشَّيخ عبد الرحمن العدني، فجاء الأخ إلى الشَّيخ وأخبرهُ، فوافق الشَّيخ، وقال : إذن اختر خمسة من الإخوة الأفاضل يجمعون الأقوال، ويسمعون من الأطراف، فتمَّ اختيار خمسة من الإخوة الفُضلاء منهم : الشيخ الفاضل عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى-، والأخ ياسر السلامي الَّذي حدَّثني بتفاصيل القصة، ومعهم إخوة أفاضل.

وقد أبلوا بلاءً حسناً، وتحمَّلوا مشاقَّ السفر والعناء، فجزاهُم الله خير الجزاء.

يقول لي أحدُ هؤلاء الإخوة الأفاضل، وهو الأخ ياسر جلسنا أشهرا نُناقِش القضية، وحُكمها نحنُ والشَّيخ، ومع ما عند الشيخ من أشغال وأمراض، وأُمور المركز والطُّلَّاب إلَّا أنَّ الشَّيخ كان يجلس معنا الوقت الطويل لمُناقشة حُكم القضيَّة، ورُبَّما جلسنا في بعض الأحيان مع الشيخ من بعد صلاة العشاء إلى الثَّانية عشر، أو أكثر كلّ هذا، والشَّيخ يسهر ويتعب ويتحمَّل؛ لأجل الصُّلح بين الناس، وكذا الإخوة جزاهُم الله خيراً.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الَّذي يقوم بالإصلاح بَين الناس ينالُهُ من أذى النَّاس، ومن الكلام الغليظ، ورُبَّما اتِّهامات، وقد حصل في فترة هذا الصُّلح كلام غير لائِق من بعض الأطراف على الإخوة الأفاضل لجنة الصُّلح. قال لي أحدُهُم : حينها أيسنا من الصُّلح واتَّفقنا على الانسحاب من القضيَّة لِتعسُّر كثير من الأُمُور؛ فجئتُ إلى الشَّيخ وأخبرتُه بما قرَّرنا هو الانسحاب من القضيَّة، فقال الشيخ في عزمٍ وإصرار وثِقة بالله

تعالى : لا هذا خطأ، لابُدَّ أن نصبِر ونتحمَّل، وستنتهي القضيَّة بإذن الله، ولو اضطر الأمر أن نذهب ونُخيِّم عندهم في قضيَّة الدَّم بعد هذا مُباشرة.

سبحان الله ! يا لهُ من حرصٍ عظيم على الصُّلح بَين المُسلمين، وهذا من تواضُعِه، وسُهُولَتِهِ عليه رحمة الله كلّ هذا لأجل سدّ الثَّأرات، وحقن الدِّماء.

الشَّيخ الَّذي عندَهُ في درس المغرب ليس المئات بل أُلوف الطُّلَّاب الواحد يتمنَّى خمس دقائق من وقتِه الثَّمين يقول بِكُلِّ تواضع، وحُبٍّ للصُّلح (نذهب ونُخَيِّم)، وهذه عادةٌ معروفة عندنا في اليمن يتجمَّع الناس عند باب صاحب القضيَّة، ويضعون مُخَيَّماً فيه يأكلون وفيه ينامون حتَّى يوافق على الصُّلح، ورُبَّما طال المُخيَّم إلى شهر على حسب صاحب القضيَّة.

قال الأخ : فلمَّا سمعنا هذا الكلام من الشيخ زادنا حماساً وتحمُّلاً وإصراراً على المواصلة في الصُّلح، وتحمُّل الصُّعُوبات.

وآخر جلسة للحُكم كانت قبل أن يُقتل الشيخ بعشرة أيَّام، أو أقل، وتمَّ استكمال الحُكم، والاتِّفاق عليه من قِبَل لجنة الصُّلح، وبعدها كانت المُفاجأة المُحزنة الَّتي اهتزَّ لها الكبير والصَّغير، وهي قتل شيخنا -رحمه الله-.

كان لِقَتلِ الشَّيخ تأثيراً بليغاً في قُلُوب أصحاب القضيَّة من الطَّرفين جزاهُم الله خيراً، فكتب الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى- حُكم الشَّيخ الَّذي حكم

بِهِ في هذه القضيَّة، وعَرَضهُ على الطَّرَفَين بعد قتل الشَّيخ مُباشرة فتم توقيع الأطراف بِالموافقة على حُكم الشَّيخ -رحمه الله-.

هنيئاً لك يا شيخنا ـ هذه الآثار الطيِّبة في الحياة وبعد المات.

خمسة قتلى بَين قبيلتين أنهاها الله -تعالى- على يد الشَّيخ -رحمه الله-

بلغ الشَّيخ -رحمه الله- أنَّهُ في أوَّل يومٍ من شهر رمضان حصل قتل لِرَجُل في إحدى البُلدان، وهذا القتل سيزيد الثَّأرات، وإراقة الدِّماء، وقال لي الأخ الفاضل إبراهيم الصَّالحي : أرسلني الشيخ عبد الرحمن إلى شباب مودية ولودر، والقُرى المُجاورة للحادثة، وقال لي : قُل لإخواننا يتَّقوا الله عز وجل ويَجِدُّوا في السَّعي لحقن دماء المُسلمين، وأن يتدخَّلوا في القضيَّة، قال : فذهبتُ وكلَّمتُ الإخوة بهذا، وبدأ السَّعي لحلِّ القضية؛ فكان بفضل الله -تعالى- الاتِّفاق من جميع الأطراف بأن يحكُم بينهم الشيخ عبد الرحمن، حيث اشتدَّت الفِتنة، وكان حصيلة الفتنة خمسة قتلى من الطَّرفين، وخرج الشَّيخ بِنَفسه عدة مرَّات، وجلس مع الطَّرَفَين، وذهب إلى مكان القتل، وكان يجلس مع كُلِّ طرفٍ على حِدة (لحاله)، فيعظهم ويُذكِّرهم بالله -تعالى-، وبعظيم حُرمة الدِّماء، وما هي إلَّا فترة؛ حتَّى كتب الشيخ الحُكم بينهم، وتمَّت الموافقة عليه من

الجميع، وانتهت الفتنة إلى الآن بفضل الله الواحد المنَّان، ثُمَّ بِجُهدِ الشيخ -رحمه الله-، وما جعل الله لهُ من المحبَّة في قُلُوب الناس، فجزى الله الشيخ خير الجزاء، وكذلك جزى الله خيراً الإخوة الفُضلاء الَّذين سعوا في إنهاء الفتنة، وشَكَر الله للقَبِيلَتَين على أدبهم وتعقُّلهم وتعاوُنهم في دفع البلاء.

الشيخ يحل قضية بين متخاصمين في نصف ساعة

كذا حدَّثني الأخ علوي اليافعي أنَّهُ كان عند الشَّيخ؛ فجاء رجُلٌ كبير في السِّن قد اختلف مع آخر، واشتدَّ الخِلاف، فجاء الخُصُوم إلى الشَّيخ؛ فما هي إلَّا لحظات، حتَّى تمَّ الاتِّفاق بين الأطراف. قال : وخرج الرَّجُل الكبير في السِّن، وهو يُردِّد : قضيتنا احتلَّت في نصف ساعة، وقد طُفنا كُلَّ المحاكم، وخسرنا ما معنا، وأخذ يقول للشيخ : حفظك الله، وفَّقَك الله جزاك اللهُ خيرا، ويُردد الدُعاء للشيخ عبد الرحمن.

الشيخ والصُّلح بَين إخوة في اللّه على أموالٍ كثيرة

وهذه القِصَّة تدلُّ على اهتمام الشَّيخ بالصُّلح وتأليف القُلُوب، وخاصَّة بين الإخوة في الله، فرُبَّما بذل من وقته الشيء الكثير حتَّى يُصلِح الله ما بينهم.

قال لي أحد الإخوة في الله : حصل في حياتي مواقف كثيرة من الشَّيخ -رحمه الله- لكن هُناك موقِف لن أنساهُ، وهذا حصل قبل فتح دار الحديث بالفُيُوش حصل خلاف بيننا في أموال تجاريَّة ملايين، وتمَّ الاتِّفاق بأن يُصلح بيننا الشيخ عبد الرحمن،

فحدَّد لنا موعِداً، وبدأت الجلسة معه من بعد صلاة العصر، ولم يتم الصُّلح، فرجعنا بعد المغرب إلى العشاء، ثُمَّ إلى الساعة الحادية عشر، فقال الشيخ -رحمه الله- وهو يبتسم : ما رأيكُم يا إخوة، نترك طلب العلم، ونرجع للتِّجارة كالمُعاتِب لهم على شِدَّة الخلاف، وضياع الوقت؛ فلمَّا قال هذهِ الكلمة أثَّرت في الأطراف، فتنازل هذا عن اثنين مليون، والآخر تنازل عن مبلغ؛ فتمَّ إنهاء الخِلاف كُلِّيًّا بفضل الله، ثُمَّ بِفضل صبر الشَّيخ وتحمُّلِه، وما جعل الله لهُ من جاهٍ في قُلُوب العِباد.

الشيخ يحل قضية قبل أن يُقتل بيومين

حصلت مُشكلة بين طرفين أحد الأطراف ضُرب، وكادت الفتنة أن تكبر، فقال الشيخ -رحمه الله- لبعض الإخوة الأفاضل نذهب إلَيهم، ونُعرِض صُلحَنا، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ بَينَهُم.

قال لي الأخ الفاضل حسين بن عوض الجوفي، وكان ممَّن ذهب مع الشَّيخ -رحمه الله- : لَمَّا ذهب الشَّيخ عبد الرحمن بِنَفسِه تأثَّر أهل المجني عَلَيه، فقال شيخ القبيلة : يكفينا فقط أنَّ الشَّيخ عبد الرحمن يرفع التَّلفون، ويقول : حُكمي كذا وكذا، ونحنُ نرضَى بِما حكم به، فما خرج الشَّيخ من المجلس إلَّا وقد قبلوا ما رآهُ الشيخ من حلٍّ للقضية، وتمَّ إنهاؤها بفضل الله عز وجل، ثُمَّ باجتهاد الشيخ وسعيه مع إخوانه في حلِّها.

سُبحان الله ! كم جعل الله لهُ من محبَّةٍ ومهابة في قُلُوب الناس من طُلَّاب العلم، ومن العوام، ومن مشايخ القبائل وغيرهم.

قضية يصل خبر إنهائها إلى الشيخ قبل أن يُقتل بيوم

قال لي الأخ الفاضل : إبراهيم الصَّالحي : حصلت مشكلة بين أُناس، وأُصيبَ رجُل في عَينِه، فلمَّا اشتدَّ النِّزاع بينَهُم حكَّموا الشَّرع؛ فذهبنا إلَيهم من الفُيُوش من مركز الشَّيخ مع مجموعة من طُلَّابِ العلم الأفاضل، وكُنَّا نرفع للشيخ إلى أين وصلنا في حلِّ القضية، ولم يبقَ إلَّا مسألة واحدة بين الأطراف وقع الخلاف فيها، فسألنا الشَّيخ عن حُكمها الشَّرعي؛ فأفتانا بِه فتمَّ إنهاء القضيَّة بفضل الله -تعالى-، وجئتُ إلى الشَّيخ أُبشِّرهُ بهذا قبل أن يُقتل بيوم واحد؛ ففرح بهذا فرحًا شديدًا -رحمه الله-.

الشيخ وعلم القراءات

كان الشيخ -رحمه الله- يُشجِّع ويَحُثُّ الطُّلَّاب على الاعتناء بالقُرآن الكريم حفظاً وتجويداً وعملاً، وفي آخر أيَّامِهِ قرَّر أن تُكتب استمارات فيها اسم كل طالب في المركز، وكم يحفظ من القُرآن، وكم يُراجع، وما هي الدُّرُوس الَّتي يدرسها، وقال -رحمه الله- : نُحِبُّ أن نعرف مستوى كلّ طالب عندنا.

وكان -رحمه الله- ما تمُرُّ ليال، إلَّا ويقول : أين فُلان يقوم يقرأ ويُسمعنا، فيقوم أحد الإخوة ويُرتِّل ترتيلاً، والشيخ جالس يسمع بكل سكينة، وتمُرُّ ليال، فيقول : أين فُلان ؟ تفضل يا أخي لتقرأ علينا، وكان في هذا من ناحية تشجيعاً للطَّالب، ومن ناحية لذَّة السَّماع لكلام الله جلَّ في عُلاهُ، وكان غالب من يقوم ليقرأ ممَّن لديهم إجازة في القُرآن الكريم، وقد انتشر في المركز تلقين القُرآن، وتعليم القِراءات، وإعطاء الإجازات في القُرآن الكريم، وكان الشَّيخ -رحمه الله- من المُشجِّعين لهذا الأمر العظيم، وقد سُئِلَ -رحمه الله- : من تعلَّم القُرآن لطلب الإجازة هل يخدش في نِيَّتِه ؟ فقال الشيخ -رحمه الله- : بالنِّسبة لعلم القُرآن الإجازة فيه ليس كالإجازة في الحديث؛ لأنَّ كُتُب الحديث قد ضُبِطَت، ولكن بالنِّسبة للإجازة في القُرآن، فلنعلم أنَّهُ ليس المقصود الإجازة لأنَّ الشيخ لا يُجيز الطَّالب بالإجازة إلَّا إذا أتقن القُرآن، فتعلُّم القُرآن من الفُرُوض الكِفائيَّة؛ فلهذا نُنبِّه على أن لا يُقال أنَّ من يبحث عن الإجازة أنَّهُ يخدُش في نِيَّتِه لا، فقد قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، ولَيس واجِباً على كُلِّ طالب

علم أن يأخذ الإجازة ممكن نتعلَّم الفِقه والعربيَّة من الكُتُب لكن علم القُرآن لا يُؤخذ إلَّا بطريق المُشافهة والتَّلَقِّي، ولكن غير القُرآن ممكن فيه، فلهذا نشكُر لإخواننا الَّذين يجتهدون في علم القُرآن لكن ليس المقصد هو الإجازة، وهذا العلم يحتاج إلى صبر، فأكثرنا إذا قرأ عند أهل التَّخصُّص يجد خلَلاً لكن لله الحمد كلّ بلدة لا تخلو من أهلِ الاختصاص.

وقد حدَّثَني أحدُ الإخوة أنَّهُ وجد الشَّيخ -رحمه الله- في الحرم يقرأ على رجُل من أصحاب القِراءات في سفرِه الأخير عليه رحمة الله -تعالى-.

وهكذا تجد في المركز عِدة من الإخوة الفُضلاء قد أُجِيزوا في القُرآن الكريم، ومنهم من لديه إجازة في العشر القِراءات، فتجدهم يُقرِئون إخوانهم بِكُلِّ جِد ونشاط جزاهُم اللهُ خيراً.

الشيخ والعبادة

كان الشيخ -رحمه الله- من العُبَّاد الزُّهَّاد يشهد لهُ بهذا كل من جالَسهُ، أو حضر في مجالِسه ودُرُوسِه -رحمه الله-.

حتَّى إِنَّهُ في مرَّةٍ من المرَّات جاء أحد الإخوة، وتكلَّم بِكلمةٍ في المركز عن العبادة وعن الصَّلاة، وكان ممَّا قال : أنصحُكم انظروا إلى صلاة الشَّيخ عبد الرحمن، وتشبَّهُوا بِهِ في صَلاتِهِ وضبطها...اهـ

وقد صلَّيتُ بِجانِبه مرَّات عديدة، وكُنتُ أُلاحِظ في صَلاتِهِ السُّكُون التَّام وعدم الحركة حتَّى تنتهي الصَّلاة.

وكان كثيراً ما ينصح ويُكرِّر النَّصيحة في كثيرٍ من دُرُوسِه على الإقبال على الله، وإخلاص العمل لله، ويَذُمُّ الدُّنيا والرُّكُون إليها، بل طلب منهُ بعض المسئولين أن يَلِيَ منصِباً مرموقاً في الدَّولة؛ فرفض، فقالوا لهُ : إذ وقد رفضت هذا، ونحنُ بحاجةٍ إلَيك، فأرسل لنا أو دُلَّنا على بعض طُلَّابِك نُرَقِّيه في منصِب من المناصب، فأبى الشيخ -رحمه الله- هذا وهذا.

وكان يُردِّدُ أحياناً قول الألباني (من السِّياسة تركُ السِّياسة).

ومن أقوالِهِ -رحمه الله- : أنصحُكم يا إخواني، لا ننشغل بما يدور من أُمُور السِّياسة، وقد تدخُل في غيبة ولاةِ الأُمُور.

حدَّثني الشيخ محمد الخُدشي -حفظه الله تعالى- : أنَّهُ في أحدِ الأعوام ذهب عُمرة مع بعض الإخوة. قال : كُنَّا بِمكَّة، والبرد شديد حتَّى إنَّ بعض من في مكَّة كان يقول : لم نرَ مثل برد هذا العام. قال : فقدم الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- من المدينة مُتعَباً من السَّفر، ومن المرض الَّذي كان بِهِ؛ فجاء إلى الفُندق الَّذي نحنُ فيه في وقتٍ مُتأخِّر بعد العشاء؛ فنام معنا وما هي إلَّا أوقات وإذا بالشَّيخ استيقظ الساعة الثالثة قبل الفجر، ويقول لنا : من يَصحَبُني للحرم. قال : فلم نستطع القيام من شِدَّةِ البرد، فلمَّا أراد الشَّيخ الخُرُوج قام أحد الإخوة وخرج معه. اهـ

فسُبحان الله ! جاءَ من سفر، والبرد شديد، والمرض بالشَّيخ شديد، ولكنَّها لَذَّة العبادة لمن أعان الله من عِبادِه.

وكذا حدَّثني أحد الأفاضل بأنَّ الشيخ خرج مع مجموعة من الشَّباب في سفرٍ طويل قال : وكان في هذا السَّفر تعب وعناء، فوصلنا إلى مكان فيه فندق، ونحنُ في غايةٍ من التَّعب، فلمَّا نزلنا من السَّيَّارة من شِدَّة التعب ما استطاع البعض أن يمشي مُباشرة إلى مكان النَّوم، فدخل الشَّيخ عبد الرحمن وتوضَّأ وقام يُصلِّي بِخُشوع واطمئنان، فنِمنا وهو يُصلِّي، فلمَّا استيقظنا قبل الفجر، وإذا بالشَّيخ قد قام قبلنا.

وحدثني الأخ عمر الضالعي صهر الشيخ أنَّ الشيخ -رحمه الله- قدم من سفره الأخير من السُّعودية، فدخل البيت الساعة الثانية عشر ليلاً؛ فقام يُصلي، فنمتُ وهو لا يزال في صلاة.

وحدَّثني الأخ الفاضل عبد الرؤوف الرَّدفاني أنَّهُ سافر مع الشَّيخ عدَّة أسفار، فلم يكُن الشَّيخ يدع قيام اللَّيل ولا صلاة الضُّحى ولا الدُّعاء في آخر ساعة من الجُمعة، قال : وخرجنا مع الشَّيخ إلى بعض المناطق الباردة، ومع تعب السَّفر لكن الشَّيخ كان مواظِباً على قيام اللَّيل. اهـ

وكان الشَّيخ -رحمه الله- إذا سافر مع بعض الإخوة كما كلَّمني غير واحد يقول : يا إخوة نشترط على أنفسنا ألَّا نغتاب أحداً، ورُبَّما نَسِيَ الواحد وتكلَّم، فيقول الشَّيخ : يا فُلان، ذكِّرهُ ماذا اشترطنا.

قالت زوجة الشَّيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- : كان -رحمه الله- شديد الحِرص على صلاة الوتر، وصلاة الضُّحى، والنَّوافل الَّتي بعد الصَّلوات وقبلها، وكان -رحمه الله- يُصلِّي البعديَّة بعد أن يأتي من المسجد مُباشرة.

وكان -رحمه الله- حريصاً غاية الحِرص على مُتابعة المُؤذِّن، وكان إذا أذَّنَ المُؤذِّن وهو يتكلَّم يتوقَّف عن الكلام، وإن كان يأكل توقَّف عن الأكل، وإن كان يقرأ توقَّف عن القراءة، ويُردِّد مع المُؤذِّن منذُ عرفته -رحمه الله- وهو على هذا.

وكان -رحمه الله- شديد الحِرص على الدُّعاء في آخر ساعة من الجُمُعة، وخاصَّة قبل أذان المغرب بربع ساعة.

وكان -رحمه الله- حريصاً كُلَّ الحِرص على أذكار الصَّباح والمساء لا يُضَيِّعها..اهـ

رقة قلب الشَّيخ وبكاؤه

كان الشَّيخ -رحمه الله- شديد التَّأثُّر بالموعظة والنَّصيحة، وهذا مُشاهد لمن كان يجلس بقرب الشَّيخ، فإذا جاء زائر وتكلَّم ترى وجه الشَّيخ يحمَرّ، ويَعضُّ على شَفَتِه، ويُنصِت -رحمه الله-.

وكان الشَّيخ قريب الدَّمعة تكلَّم مرَّة عن فضل ذِّكر لله -تعالى-، ثُمَّ بكى، وأبكى الكثير من الحاضرين.

ودخل عليه مرَّة أحد الطُّلَّاب، وقال : يا شيخ اتَّقِ الله فينا (يعني في قضيَّة أكل الطُّلَّاب) قال لي من حضر وإذا بالدُّمُوع تسيل من عَينَي الشيخ، ثُمَّ تكلَّم في اللَّيلة الأُخرى بكلام مُؤثِّر حضرناهُ، وممَّا قال : يأتي بعض الإخوة، ويقول اتَّقِ الله فينا، ونحنُ نعمل على حسب استطاعتنا ... إلى آخر كلامه بمعناهُ.

كان الشَّيخ رحيماً رقيق القلب حتَّى مع المُخالفين حدَّثني الأخ الفاضل عبدالله الأعراف أنَّهُ كان مع الشَّيخ في الغُرفة إذ جاء رجُل يستأذن الشَّيخ أن يتكلَّم في المسجد، فقال لهُ الشَّيخ : لا ليس بعد أصلح أُمُورك أوَّلاً وبعدها إن شاء الله تتكلَّم، والله أعلم ماذا كان عند الأخ. قال : فخرج هذا الأخ كالمُغضب، ونظرتُ إلى الشَّيخ ينظر إلَيه وهو خارج وإذا بالدُّمُوع تسيل من عَينَي الشَّيخ كالمُتوجِّع على هذا الأخ، أو كالمُشفِق عَلَيه.

وكان الأخ عمر الضَّالعي إمام المسجد -حفظه الله تعالى- يقرأ على الشَّيخ في الدَّرس العام من صحيح مسلم، ثُمَّ بعد القراءة يُعلِّق الشَّيخ على ما قرأ الأخ عُمر، وقد حدَّثني أحد الفُضلاء أنَّ دُمُوع الشَّيخ كانت تسيل على خَدَّيه، وهو يسمع الحديث -رحمه الله-.

الشيخ في رمضان

حدَّثَني ولد الشيخ : إبراهيم والأخ عمر الضَّالعي صهر الشَّيخ -حفظهما الله تعالى- قالا : كان الشَّيخ -رحمه الله- يجتهد في رمضان اجتهاداً عظيماً، وخاصَّة في جانب القيام، فكان -رحمه الله- إذا دخل رمضان صلَّى القيام بأهل بيته جميعاً من زوجات وبنين وبنات؛ فيبدأ القيام والصلاة بهم من حفظه من الساعة الواحدة إلى قبل الأذان بقليل، وفي ليلة السابع والعشرين يبدأ بهم الصَّلاة من الساعة الحادية عشر إلى وقت السَّحور، وكان يختم بهم القُرآن في العشر الأول، ويذهب للعُمرة في العشر الوسطى إن يسَّرها الله، ثُمَّ يعود ويُكمل القُرآن مرَّة أخرى في الصَّلاة بهم في قيام اللَّيل، وهذا يدلُّ على حفظ الشَّيخ -رحمه الله- للقُرآن حفظاً مُتقناً، وعلى إقباله على الله -تعالى-، وحرصه على حثِّ من يعول على عبادةِ ربِّهم جلَّ في عُلاه، وخاصَّة في ليالي رمضان لما لها من فضل عظيم.

وذكرت زوجة الشَّيخ أمّ عبد الله -حفظها الله تعالى- نحو الكلام السَّابق.

الشيخ والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

كان الشَّيخ آمراً بالمعروف ناهياً عن المُنكر لا يَكَلّ ولا يَمَلّ في هذا الجانب شديد التَّحذير من المُنكرات في دُرُوسه، وفي جلَسَاته وفي طريقه. كان يمشي إلى بَيتِه فمرَّت امرأة مُحجَّبة لكن لم تضع ما يستر الكفَّين منها، فصاح الشيخ بها اتَّقي الله يا أمة الله اتَّقِي الله استري يديك، وأخذ يتمعَّر لهذا.

وكان يُردِّد في دُرُوسه نتعاون يا إخوة في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وقد حصل أنَّ الشَّيخ قبل مَوتِه بأيَّام دعا باجتماع في غُرفة الضِّيافة مع بعض الآباء والعُقلاء في المركز، وناقش معهم قضيَّة المُنكرات، وكيف القضاء عليها، وأخذ يَحُثُّ، ويُشدِّد في هذا الجانب، وكان يقول : والله لا نأمن عُقُوبة الله إذا انتشر الفساد والمنكر، ولم نتعاون على تغييره.

وقبل أن يُقتل -رحمه الله- بيومين تكلَّم في الدَّرس عن قضيَّة المُنكرات عند الشَّباب في لعب الكُرة، ومنها اللَّعِب حتَّى يُؤذِّن ثُمَّ قد يذهب البعض إلى بَيتِه، ولا يحضر المسجد، والَّذي يأتي إلى المسجد قد تفوتُه صلاة الجماعة، ونصح في هذا وأبلغ، ثُمَّ بعد عصر اليوم الثَّاني خرج بِنفسِه إلى الملعب، والتقى بالشَّباب ونصحهم وخوَّفهم بالله، وفي درس المغرب ذكر لنا أنَّهُ نصحهم ووجد منهم استجابة، ودعا لهم بالخَير والهِداية.

وقد رتَّب الشَّيخ -رحمه الله- مجموعة من الإخوة يطوفون بالدرَّاجات في السُّوق، وبَين البُلُكات عند النِّداء للصَّلوات يأمرون الناس بالمعروف، وينهونهم عن المُنكر.

الشيخ وصلاة الاستخارة

قال الإمام البُخاري -رحمه الله-: باب الدُّعاء عند الاستخارة

عن جابر - رضي الله عنهما - قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: " إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ "

ففي هذا الحديث ردُّ الأُمُور كلِّها إلى الله، والتَّبرُّؤ من الحَولِ والقُوَّةِ إلَيه كما قال ابن بطَّال: وينبغي ألَّا يروم شيئاً من دقيق الأُمُور وجليلها حتَّى يستخير الله فيه ...إلخ[1].

---

(١) وقال الحافظ في ((الفتح)) (١١/ ١٨٤) عند ذكر الحديث .... ويتناول العُموم العظيم من الأُمُور والحقير، فُربَّ حقير يترتَّب عليه الأمرُ العظيم.

وإنَّك لتتعجَّب من شِدَّة حِرص الشَّيخ على الاستخارة حتَّى في أدنى الأُمُور.

حدَّثني الأخ وجدان الضَّالعي، وكان ممَّن لهُ صِلة قويَّة بالشَّيخ -رحمه الله- : أنَّ الشَّيخ عبد الرحمن يستخير الله في كُلِّ أُمُوره، حتَّى في مسألة أي عمل، أو أي عامل في المركز يقول الشَّيخ : طيِّب سأستخير الله، وحتى في فتح درس من الدُّرُوس، أو خُطبة جُمعة، أو مُحاضرة إلى أيِّ مكان؛ فلا يخرج حتَّى يستخير الله -تعالى-.

وقد كُنتُ أسمعهُ في كثيرٍ من المُناسبات يقول سأستخير الله في هذا، أو وقد استخرت الله في هذا الأمر.

وقد ذكر لنا أحد الإخوة ممَّن جاء إلى المركز زائراً بعد قتل الشَّيخ، فقال في كَلِمَته : وقد كُنتُ هذا العام عند الشَّيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظهُ الله تعالى- في بَيتِه، وكُنَّا مع بعض الإخوة، فقُلتُ لهُ : أُريدك يا شيخ على انفراد، فتكلَّمنا قليلاً، ثُمَّ قال لي: أين الشَّيخ عبد الرحمن ؟ وكان الشَّيخ -رحمه الله- ذلك الوقت في المدينة بعد الحَجّ، فقُلتُ : هُو في المدينة لكن أُخبِرتُ أنَّهُ سيُسافر إلى اليمن، فقال لي الشَّيخ محمد بن هادي : أوصيك بوصية أن تُبلِّغ الشَّيخ عبد الرحمن أن لا يُسافر قُلتُ : لماذا يا شيخ ؟ قال : لا آمن عليه من هذه الفِتَن، ومن الاغتيالات، فقُلتُ لهُ : خيراً إن شاء الله، ثُمَّ جلسنا قليلاً، فقال لِيَ الشَّيخ محمد بن هادي : أسألك بالله أن تُبلِّغ هذه الرِّسالة، فقُلتُ لهُ : طيِّب فكرَّر هذا مرَّتين أو ثلاثاً، وهو يقول : قُل لُه يقول لك محمد بن هادي لا تُسافر؛ فبلَّغتُ الشيخ -رحمه الله-، واتَّصلتُ بِهِ، وقُلتُ لهُ يقول لك الشَّيخ محمد بن

هادي كذا وكذا، فقال لي : يا حسين ما سيكون إلَّا ما قدَّر الله، وقد استخرتُ الله لكن سأزيد استخارة، وما سيكون إلَّا ما كَتَبهُ الله.

وبالفعل استخار الله؛ فاختارهُ الله إِلَيهِ رحمةُ الله عليه.

وفي ليلة السادس عشر من صفر لعام ١٤٣٦هـ تكلَّم الشَّيخ بكلمة، وممَّا قال فيها : والله يا إخواني، أحياناً وأنا ما أُحِبّ أن أذكر هذه الأُمُور أحياناً تحصُل أشياء وأُمُور استخير الله، وأُكرِّر الاستخارة ... إلخ.

وكان -رحمه الله- إذا تقدَّم أحد للزَّواج مِنْ بناتِهِ يبقى يوماً لا يَرُد خبراً حتَّى يستخير الله -تعالى- ويستشير.

قالت زوجة الشَّيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- : وممَّا رأيتُه منهُ -رحمه الله- أنَّهُ كُلَّما هَمَّ أو أراد أن يعمل شيئاً لجأ إلى الاستخارة، وكانت الاستخارة مُصاحبة لهُ في كُلِّ شيء، وكان يقول : نستخير الله ونتشاور، واللهُ يُقدِّر لنا ما فيه الخير.

درر مُنتقاة من بعض دُرُوس الشَّيخ -رحمه الله-

ممَّا قال غَفَر الله لهُ :

* إذا رأيت من فتح عليه في العلم؛ فاعلم أَنَّهُ مُحافظ على وقتِه.

* أنا في قناعة أنَّ ضيق المعيشة لا تصرف عن طلب العلم.

* العشوائيَّة في طلب العلم تضييع للطالب أي عدم إتقان الفَن الَّذي يدخل فيه، فالَّذي لا يُتقن يضل كما يُقال (مكانك سر).

* من فَقَدَ بركة الصَّباح، فلعلَّهُ لا يُبارك لهُ في يَومِه (أي المُذاكرة بعد صلاة الصُّبح).

* احرص أن تُزامل الحريصين على العلم.

* نُسلِّي أنفسُنا وإخواننا بقول بعض السَّلف:-

من أراد الدُّنيا؛ فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

* الحماسة للدِّين مع الجهل ـ ضلال.

* الواتساب أنا أعتبِرهُ مُشغِلاً لطالب العلم، والإنسان هو أعرف بنفسه.

* الدعوة تنطلق لا يُؤخِّرها إلَّا الفِتن الدَّاخليَّة تبدأ صغيرة، ثُمَّ تكبر.

* من وقع في خطأ؛ فليتب إلى الله، ولا يحتاج رُجُوع شخصي إلَينا.

(أي من وقع في خطأ على الشَّيخ -رحمه الله-).

* الطريقة الصَّحيحة في تحصيل العلم إتقان المحفوظات قبل التَّصدُّر.

* المسلك الَّذي يجب أن نسلكه مسلك العدل لا المُجازفات في الرُّدود، والبُعد عن الرَّدِّ العلمي.

* قالوا : التاجر مجده في كيسه، والعالم مجده في كراريسه.

* سألته عن أبيه، فقال : خالي شُعيب، كان الشيخ يقوله مُداعباً لمن حاد عن الجواب.

* إنَّ أعظم العمل بالعلم : نشره وبثُّه وعدم كتمانه.

* قال العلماء أنساب الكتب أسانيدها.

* شرح الطَّحاوية : ملئ بالفوائد كم من عالم استفاد وأشاد بهذا الكتاب.

* قال شيخُنا الوادعي -رَحِمَهُ اللهُ- : رُبَّ عالم واحد يرفعهُ الله بكتاب واحد.

* قالوا : إذا أردت أن تُحيِّر فخيِّر.

* قد يكون الناصح أسوأ من المنصوح إذا تكبَّر عليه، وإذا ازدراهُ وإذا رأى أنَّ لهُ فضلاً عليه.

* والله لو أنفقنا أوقاتنا من الصّباح إلى اللَّيل ما عملنا ما عملَهُ السَّلف -رَحِمَهُمُ الله تعالى-.

* لا يحتقر أحدُكُم نفسه، ويقول لي فترة في المراكز لم أستَفِد شيئاً، وأضرِبُ لكم مثلاً الواحد إذا كان يعيش بين أولادِه دائماً معهم، فإنَّهُ لا يشعر أنَّهُم كبروا، فإذا سافر

واغترب عنهم، ثُمَّ جاء يرى أنَّهُم كبروا، فأنت في المركز ترى أنَّك لم تستَفِد، فإذا خرجتَ عرفتَ أنَّك استفدت.

* عنوان طالب العلم الدُّرُوس الخاصَّة.

* أصحاب الغُلُوِّ والتَّشدُّد على خطر هلك المتنطِّعُون، وأصحاب التَّساهُل على خطر ينزلِقون.

* الجُدران صحائف المجانين كلمة قالوها قديماً.

قالها الشَّيخ لَمَّا قِيلَ لهُ أنَّ هُناك من يكتب في جُدران الحَمَّامات.

* العوام مثل الورقة البيضاء من سبق إلَيها كتب فيها.

* حذَّر الشيخ من فتنة الإنترنت، ثُمَّ قال : (صار الناس يُلقِّن بعضُهُم بعضاً الخير والشَّر، والله المُستعان).

* للأسف الشديد أعداء الإسلام هم الَّذين يُخطِّطون ويُدبِّرون، وبعض المُسلمين هم الَّذين يُنفِّذون؛ فكم سقط ضحيَّة هذه الخُطط الَّتي يُدبِّرها الأعداء.

* المحبَّة للملك عقيم، فقد يُدبِّر الإنسان لقتل ولده وأخيه، ورُبَّما في قتل أبيه وأُمِّه إذا عرف أنَّهُ يُنازعه في مُلكِه.

* احترام العلماء ومحبَّتهم ومعرفة فضلهم هذا من الدِّين.

* ادعوا لعلماء الأُمَّة بالتَّوفيق والسَّداد، وادعوا لمن مات منهم بالمغفرة والرحمة، وادعوا للأحياء منهم بالحفظ والثَّبات على الكتاب والسُّنَّة.

* الأُمَّة بأمسّ الحاجة إلى علماء وخُطباء، وإلى مُدرِّسين ومُدرِّسات.

* الَّذين يبتعدون عن حلقات العلم والتعليم إقبالاً على الدُّنيا يُخشى عليهم الفِتَن، فإنَّما يأكل الذِّئبُ من الغنم القاصية.

* بعض طُلَّاب العلم تركوا الطَّلب وأقبلوا على أُمُور دنياهم، وفي أوَّل الأمر كان بعضهم يقول: أنا أكتسب لأسرتي، ثُمَّ بعد أيَّام صارت عادة لهم: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[المدثر: ٤٩-٥١].

قال بعض عُلماء التَّفسير: ما قال: حُمُر نافرة لكن قال -سُبحانه-: ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أي من شدَّة نُفُورها قد نفر بعضها بعضا.

- على المُسلم أن يحذر أن تذهب أوقاته في القيل والقال ومن مكان إلى مكان.
- إذا اشغلنا أوقاتنا بالخير وبالعلم، وبالتعاون على البِرِّ والتقوى وبالتآخي والتَّوادُد أدبرت عنَّا الفِتَن، وإذا انصرفنا عن العلم تأتي الفِتَن تدُبُّ دبيباً، ثُمَّ تتوغَّل في أوساطنا نعوذ بالله من الفِتَن ما ظهر منها وما بطن.
- أصحاب الجُرأة على العُلماء نستعين عليهم بالله قبل أن نستعين عليهم بالمخلوق نستعين عليهم بالله القَوي العزيز القاهر الَّذي هو غالب على أمرِه، ولا يُعجزه شيء، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير.
- نحنُ نستعين بالله ﷻ على كُلِّ ظالم، وعلى كُلِّ مُفسد، وعلى كُلِّ مُبطل، ولن يُضيِّعنا الله ﷻ.

- لا بارك الله في المُحرِّشين ومُثيري الفِتَن الَّذين يوغِرون صُدُور العُلماء على الأبرياء لكن الله حكمٌ عدل، وهو حسبُنا ونِعم الوكيل.
- لا يظُن المُعتدي والظَّالم أنَّهُ يُلمَّع بين عدد من الخلق، وأنَّهُ يصير شُجاعاً وبطلاً أين المفر من ربِّ العالمين -ﷻ-.
- الَّذين ضاقت قُلُوبهم على العُلماء ضاقت قُلُوبهم وضيق القُلُوب عندهم عُقُوبة عاجلة لو فتح الواحد منهم الكتاب لا يجد لَذَّة للقراءة لأنَّ القُلُوب صارت مشغولة بالفِتَن، وبالقيل والقال؛ فلا يعجبهم إقبال الناس على الخير وعلى القُرآن لأنَّهم ضاقت قُلُوبهم.
- تراحم تراحم يا إخواني، وتعاطف وتوادُد كما أمر الله -تعالى- : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾.
- ونحنُ في أيَّام الفتن نخشى والله على هذهِ النِّعم الَّتي نتقلَّب فيها إن لم نشكر الله عليها أن يسلُبنا إيَّاها، والله هذه سُنَّة الله في خلقِه إذا أنعم على عبادِه نعمة ولم يشكروها سلبها عنهم وحوَّلها إلى غيرهم ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾.
- الفِتَن تبدو صغيرة لكن تنمو وتكبر حتَّى تصِل إلى سفك الدِّماء وانتهاك الأعراض والاعتداء على الأبرياء.

- احذروا من الَّذين يدسُّون الدَّسائس ويزرعون الفِتَن في أهل الدَّعوة الواحدة كُن عبد الله المظلوم، ولا تكُن عبد الله الظَّالم، وإن طُعِن فيك، وإن تُكُلِّمَ فيك؛ فاعلم أنَّ الله -ﷻ- سيتولَّى الدِّفاع عنك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ... الآية.
- لا تأمن مكر الله إذا دخلت في طُرُق مظلمة، وإذا أسأت الظَّن وأطلقت اللِّسان بالطَّعن والثَّلب في عُلماء الأُمَّة الَّذين هُم خُلاصة المجتمع ونقاوة النَّاس بالسُّخرية والاستهزاء، وما يُدريك لعل الله يبتليك؛ فيتغيَّر قلبك وتميل إلى البِدَع والأهواء، ويختم لك بخاتمة السُّوء.
- علينا أن نُفوِّت الفُرصة على الشَّيطان الرَّجيم، وأن نسعى إلى تعميق أواصر الأُخُوَّة والمحبَّة والرَّوابط فيما بيننا.
- قُدُماً إلى الأمام إخواني في الله بالمُحافظة على الخير، والمُحافظة على الدُّرُوس، ولزوم السَّكينة والهُدوء، ولُزُوم تقوى الله ﷻ.
- إن شاء الله الفِتَن تنجلي والكذَّاب يظهر كَذِبُه، والمُبطل يظهر باطله.
- أسأل الله أن يختِم لي ولكم بخير يا إخواني.

عِفَّة الشَّيخ -رحمه الله- وورعه

كان الشَّيخ -رحمه الله- عفيفاً مُتعفِّفاً نزيهاً مُتنزِّهاً عمَّا في أيدي النَّاس صابراً مُحتسِباً على الرَّغم من أنَّ لَدَيهِ أُسرة كبيرة يعولها، وعددهم ثمانية عشر نفساً.

لكنَّهُ مع هذا نزيهٌ يأكل ويُؤكِّلهم ممَّا يسَّر الله، حتَّى إنَّهُ يتنزَّه عن مال الدَّعوة الَّذي يُيَسِّرْهُ الله على يَديه للمركز والطُّلَّاب، وقد حدَّثني أكثر من أخ بأنَّ الشَّيخ حدَّثهم أنَّهُ سأل العلَّامة عبد المُحسن العبَّاد -حفظه الله تعالى-، والعلَّامة الوصابي -رحمه الله- فقالا لهُ : إنَّ لك أن تأخُذ منها. قال الشَّيخ عبد الرحمن : ولكن ولله الحمد لم تَطِب نفسي، لم آخُذ منها شيئاً وهذه الأموال تأتي من الزَّكوات لِطُلَّاب العلم، والشَّيخ من جُملة طُلَّاب العلم، ومن المُحتاجين، ولكنَّهُ كان -رحمه الله- عفيفاً مُتعفِّفاً.

وكان يتسبَّب في الكسب، ورُبَّما اشترى أرضيَّة، ثُمَّ يبيعها، وهكذا يتسبَّب في رِزقِه ورِزقِ من يَعُول من غير تضييع لوقته، فقد يوكِّل من يقوم بهذه المهام عنهُ -رحمه الله-.

وقد أخبرني الشَّيخ عبد الرحمن السَّقَّاف أنَّ الشَّيخ عبد الرحمن قال لهُ : أنا لا آخُذ من هذا المال شيئاً، ولكن كان عندي مبلغ من المال، فأعطَيتُهُ أخاً يُتاجر بِهِ، فما يسَّر اللهُ بِهِ تصرَّفنا بِهِ.

قال الأخ حُسام العدني أعطيتُ الشَّيخ مرةً عسلاً ـ فناسب العسل الشَّيخ في مرضِه، وكُنتُ آتي من المنصورة، وأجعل عاملاً في المحل لأحضر الدُّرُوس، وفي ليلةٍ جئتُ المركز، فقيل الشَّيخ غير موجود خرج؛ فرجعتُ إلى المحل الَّذي في المنصورة،

فكان الشَّيخ يظُن أنِّي في الفُيُوش هذا الوقت كالمُعتاد، فقال للأخ السَّائق معهُ لقد أعطاني الأخ حُسام عسلاً، فناسبني هيا للمحل لنشتري من العامل، قال : وكُنتُ في المحل إذ وقفت سيَّارة الشَّيخ، فلمَّا رآني في المحل مشى ورجع، ولم ينزل، فتعجَّبتُ، وسألتُ السَّائق : لِمَ رجعتم ؟ قال : لا شيء، فألححتُ عَلَيه، فقال : كان الشَّيخ يظُن أنَّك غير موجود في المحل، وقال إذا كان العامل سيأخُذ منَّا المال، وأمَّا الأخ حُسام فلن يأخذ شيئاً ارجِع بِنا وهذا من عِفَّتِهِ ونزاهَتِهِ عمَّا في أيدي النَّاس -رحمه الله-.. اهـ

وحَدَّثني الأخ أديب الفيوشي -حفظه الله- أنَّ الشَّيخ سأله هل عندكم من معهُ قلَّاب (أي ليستأجره الشَّيخ)، فقُلت لهُ : لماذا يا شيخ ؟ قال : أُحِبُّ أن نرفع أوراق الشَّجر والمُخلَّفات في سور البيت، فقُلتُ لهُ : فسيَّارة النَّظافة التابعة للمركز هي مُعدَّة لهذا الشَّيء مع عُمَّالها، فقال لِيَ الشَّيخ : لا يا أخ أديب، هذه السيَّارة وقف لرفع مُخلَّفات ساكني المركز، فلم تَطِب نفسه بهذا. . اهـ

مع أنَّهُ -رحمه الله- هو المُتسبِّب في وجودها، وهُو من جُملة السَّاكنين في المركز، وشيخ المركز، ولكنَّهُ الورع من الشَّيخ -رحمه الله-.

حدَّثني أحد الإخوة الأفاضل قال : في مرَّة اتَّصل بي أحد الإخوة، وقال لي : سأُحَوِّل بألفين ريال سُعُودي أعطِهَا الشيخ عبد الرحمن، وأخبرني أنَّها من فُلان قال : فاستلمتها، وذهبت بها إلى الشَّيخ، فقال لي ما هذا ؟ قُلتُ : هذهِ من فُلان قال : فتغيَّر وجه الشَّيخ وغَضِب، وقال لي : من قال لك تتصرَّف وتستلِمها لِمَ لا تُخبرني قبل،

فعاتَبَني -رحمه الله- على هذا، ثُمَّ قال لي : أَعِدها لهُ أعِدها لهُ، قال : فخرجتُ إلى محل الحوالات، وأرسلتها لصاحبها. . اهـ

فالَّذي يظهر لي والله أعلم أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- كان غير راضٍ عن سير هذا الأخ الَّذي حوَّلها، فلم يُرد الشَّيخ أن يكون لأحدٍ عليه مِنَّة.

وكذلك من نزاهة الشَّيخ -رحمه الله- وبَذلِهِ وعِفَّتِه ما حدَّثَني صهر الشَّيخ الأخ الفاضل عُمر الضَّالعي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- كان إذا خرج دعوة إلى الله بسيَّارَتِه، فإنَّهُ يدفع مصاريفه ومصاريف سيَّارتِه من مالِهِ الخاص، قال : وخرجنا مع الشَّيخ دعوة إلى صنعاء في اجتماع للمشايخ في جامع الخير، في ثلاث سيَّارات كلّ سيَّارة فيها مجموعة من الإخوة، فلمَّا كان وقت الغداء نزلنا في المطعم، ، فأصرَّ الشَّيخ إلَّا أن يُسلِّم نُقود الغداء منهُ، فلمَّا جاء عند المُحاسب قال الشَّيخ : كم حسابكم ؟ قال صاحب المطعم : عشرة آلاف، فقال الشَّيخ : تأكَّد يا أخي، نحنُ كثير، وقد طلبنا كثيراً، فدعا صاحب المطعم بالمُباشرين، وأكَّدوا أنَّها عشرة آلاف فقط، فحاسب الشَّيخ -رحمه الله-، فكأنَّ الشَّيخ -رحمه الله- خَشِيَ أن يكون صاحب المطعم أخطأ على نفسه، فأحبَّ الشَّيخ أن يتحرَّى -رحمه الله-.

وكان -رحمه الله- : يتنزَّه أن يذهب إلى أيِّ تاجر من التجَّار، ولا يكتب إليهم بأي طلب، ولو كان مسجداً، فعندما قام بعض التجَّار الخَيِّرين جزاهُ الله خيراً وبارك له في ماله وعافيته وذريَّتِه ببناء مسجد الفردوس بعدن مسجد معروف باتِّساعِه وكثرة

مرافقه ومُلحقاتِه، وكان في فترة تجهيزِه كل جماعة تُقدِّم ملفاً لباني المسجد أنَّ معهم إمام ومن صِفاتِه كذا وكذا، قال لي بعض الأفاضل، فقُلنا للشَّيخ : لو تذهب إلى التاجر فُلان لباني المسجد، وتكلِّمه يُسلِّمك المسجد من أجل صالح الدَّعوة ... فقال الشيخ -رحمه الله- : لن أذهب، فإن أراد الله أن يكون لنا؛ فسيكون، وما هي إلَّا أيَّام وإذا بالتَّاجر بن شعيلة -حفظه الله- يُوفَّق للصَّواب، ويُرسل إلى الشَّيخ أن يختار من عنده للمسجد إماماً.

فأرسل لهُ الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي حفظه الله ورعاه، وهكذا كم من مساجد في عدن، وفي غير عدن بناها التجَّار، ثُمَّ يأتون إلى دار الحديث بالفُيوش، ويُسلِّمون مفاتيحها إلى الشَّيخ -رحمه الله- ثقةً بدعوته، وحُبًّا لعلمه وعِفَّتِه ونزاهته عليه -رحمة الله تعالى-.

تقول زوجة الشيخ أُم محمد -حفظها الله تعالى- : لم يكُن الشَّيخ -رحمه الله- حول مال ولا دُنيا، وكان ينصحنا بعدم الانشغال بها، ويقول : كُلُّه زائل أقبلوا على ما ينفعكم، والخير سيأتي بإذن الله.

وقالت زوجة الشَّيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- :كان الشَّيخ -رحمه الله- : وَرِعاً زاهداً، وكان لا يُحِب الإسراف والتَّبذير، وكان ينصحنا بذلك، وكان يغضب غضباً شديداً إذا رأى أحداً من أهلِه أسرف، أو رمى شيئاً من الطَّعام ...اهـ

الشيخ ودقَّتِه في إيصال الحقوق إلى أهلها

لقد كان الشيخ غفر الله لهُ شديد الحرص على حُقوق الآخرين، وإيصال الحُقوق إلى أهلها عندما تَصِله، فعلى سبيل المثال أموال الزَّكوات لمساعدة الطُّلَّاب إذا وصلت في اللَّيل؛ عجَّل بها في الصُّبح إلى المندوبين ولا يُؤخِّرها عنده لتصل إلى أصحابها في أقرب وقت براءة للذِّمة -رحمه الله-، ومن المواقف في إيصاله الحقوق إلى أهلها ما حدَّثني به الأخ الفاضل عُمر المرزوقي -حفظه الله تعالى- قال : كُنتُ أدرِّس الطُّلَّاب في المركز، وزوجتي تُدرِّس في قسم النساء، وكان الشيخ -رحمه الله- يُعطينا مساعدة التَّدريس في كُلِّ شهر إذا اكتمل الشَّهر قال : وحصل أن جاءت فتنة الحرب؛ فخرجنا من المركز، وتوقَّفنا عن التَّدريس، وقد درَّسنا ثمانية أيَّام تقريباً، فلمَّا قُتِلَ الشيخ -رحمه الله-، وبعد فترة من قَتلِه وُجِدَ في بيتِه ظرف باسمي، وظرف باسم الأهل أم فُلان، قال : فجاءني به الأخ وجدان، وقال : وُجِدَ هذا عند الشَّيخ لك ولأهلك مُقابل تدريس الثمانية أيَّام الَّتي درَّستموها أيَّام الحرب، قال : فوجدناها بمقدار الأيَّام الَّتي درَّسناها بالتَّمام ولم نكُن والله حتَّى نُفكِّر بهذا أبداً، ولكنه حرص الشَّيخ وورعه وحرصه على حُقوق الآخرين.

موقف آخر في هذا

كانت إحدى المدرِّسات الفاضلات في المركز تُدرِّس الطالبات في المركز، وإذا أعطيت مقابل تدريسها ترفض المال، وتقول : لا أريد شيئاً وترجع المال، وبعد ثلاث سنين جاء وقت زواجها، فدعا الشيخ -رحمه الله- بعض أقاربها، وقال : أَعطِ هذا أم فلان، وكان يجمع لها كل المبالغ الشهرية الَّتي ترجعها ويحفظها لها إلى أن جاء الوقت الَّذي هي بأمس الحاجة إلى المال ـ فأعطاها إيَّاه، فكان هذا الموقف مؤثراً جداً في قلوب أهلها وأقاربها، وكل من سمع بهذه الأخلاق، وحرص الشيخ -رحمه الله- على حفظ الحقوق لأهلها.

الشيخ وتحفيز طلابه على الخير

كان الشَّيخ -رحمه الله- مُشجِّعاً لِطُلَّابِهِ وإخوانِهِ وزوَّارِه ليس عندهُ ترفُّع ولا تعاظُم على أحد، فمن ذلك أَنَّهُ كان ما بين حين وحين يدع درسه العام لتعليم وتشجيع الأولاد الصِّغار، فكان يُصلِّي الظُّهر، ثُمَّ يجلس كعادته لإلقاء الدَّرس، ويحمد الله ويُثني عليه، ويُصلِّي ويُسلِّم على رسول الله -ﷺ-، ثُمَّ يقول : أين الأولاد ؟ اليوم لهم، فيقومون إلَيه سِراعاً ابن الخامسة وابن السَّادسة والعاشرة، فيقرؤون قُرآناً، وأحياناً يقرؤون حديثاً، وأحياناً يُسمِّعون مُتُوناً، والشَّيخ جالس يدعو لهم، ويقول : ما شاء الله أحسنتَ بارك الله فيك؛ فكان هذا العمل منهُ -رحمه الله- لهُ فوائد عظيمة منها

التَّشجيع والحَثّ لهؤلاء الصِّغار رجال المُستقبل، ومنها التَّشجيع لآبائهم، فكم يفرح الأب وهو يسمع ولدهُ الصَّغير يقرأ أمام الجمع الكبير، ويدعو لهُ الشَّيخ الجليل، ومنها أنَّ فيه تشجيعاً وتنشيطاً للبقيَّة الَّذين يسمعون، وكم فيه من الأثر الَّذي يبقى في قلب الولد لا ينساهُ أبداً، ومنها تعليم الشجاعة في الإلقاء حتَّى إذا كبر أصبح واعِظاً وخطيباً.

وكان يجلس بنفسه لسماع كلمات الصِّغار في السِّن، ويَصبِر عليهم، فقد يتزاحمون عليه، وهو يُجلسهم بِهُدوء، وقد حصل موقف طريف أنَّ الشَّيخ كان جالساً يُعطي الطُّلَّاب الصِّغار المكرفون، ويُرتِّبهم لقراءة القُرآن، أو الحديث، أو المُتُون على حسب الترتيب، فجاء ولد من الأولاد مُسرعاً فخطف سمَّاعة المكرفون من يد الشَّيخ ليتكلَّم؛ فابتسم الشَّيخ -رحمه الله-، وقال مُداعباً : من عزَّ بزَّ، وتركهُ يتكلَّم.

ومن تشجيعه لإخوانه أنَّهُ -رحمه الله- إذا جاء الزَّائر إلى المركز من الإخوة في الله طلب منهُ الشَّيخ كلمة، وقال : تفضَّل يا أخانا فُلان، بارك الله فيك، فيقوم الأخ ويتكلَّم والشَّيخ جالس يستمع إلَيه، وقد يكون الأخ بادئاً في الطَّلب لكنَّهُ داعية في بلدته ليعود نشيطاً مُجتهداً. كان -رحمه الله- إذا عَلِمَ أنَّ أحد الإخوة، أو الدُّعاة جاء المركز، فإن عَلِمَ قبل المغرب قال لهُ : الكلمة عندك تُفيد إخوانك، فقد يرفض الأخ، ويقول جئنا نسمع منك يا شيخ، فإن أصرَّ تكلَّم الشَّيخ نصف الوقت في دَرسِه أو أقلّ، ثُمَّ يقول : في هذه اللَّيلة زارنا الأخ فُلان؛ فليتفضَّل.

ورُبَّما يكون الشَّيخ في دَرسِه، فتُرفع لهُ ورقة أنَّ أحد الإخوة المعروفين من طُلَّاب العلم في الحلقة، فيقول الشَّيخ : أين فُلان ؟ قُم يا أخي أفِد إخوانك، فكان غالب من يتكلَّم يقول : جزى الله شيخنا خيراً على تشجيعه لنا، وإحسان ظَنِّهِ بِنا.

وكان إذا خرج لمُحاضرة يُقيم أحد الإخوة ليتكلَّم قبله بما فتح الله عليه، ورُبَّما يتكلَّم معهُ أكثر من واحد من الإخوة لأمور منها التَّشجيع لهم، ومنها تعريف الناس بِطُلَّابِهِ وإخوانِهِ وإشهاراً لهم.

ومنها أنَّ تنوُّع المُلقين تنوُّع في المواضيع وفي الأساليب وأدعى للتأثير.

وهذا من التَّواضُع الَّذي رزقهُ الله الشَّيخ -رحمه الله-.

هذا وقد جعل الشَّيخ -رحمه الله- بدلاً من درس العصر كلّ خميس أن تكون موعظة في المركز، وفي كل مساجد البُلُكات في كُلِّ خميس يتكلَّم أحد الإخوة ممَّا فتح الله عليه، من ناحية تشجيعاً ورفعاً لمعنويات المُتكلِّمين، ومن ناحية أنَّ القلب يحتاج إلى ترقيقٍ وتذكيرٍ بالله، وآلائِهِ ولقائه، وكما أنَّ التخوُّل بالموعظة كان من هدي النَّبيِّ -عليه الصَّلاة والسَّلام-، فهذا أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يعِظ الناس، ويُذكِّرهم كل خميس قالوا : وددنا يا أبا عبد الرحمن، لو أنَّك ذكَّرتنا كل يوم قال : كان رسول الله -ﷺ- يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

ومن تشجيعه للطُلَّاب ما حدَّثني به الأخ إبراهيم الصالحي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشيخ -رحمه الله- قد يُعطي طُلَّاب المستوى السابع والفصول الكبار الكتب الَّتي يَدْرُسونها منه -رحمه الله- تشجيعا لهم وإعانة لأهلهم.

تواضُع الشَّيخ -رحمه الله-

دنــوت تواضــعاً وعلــوت عــزًا فشـــأناك ارتفـــاع واتِّضـــاع
كــذاك الشَّــمس تبعــد أن تــدانا ويــدنو الضــوء منهــا والشُّــعاع

أمَّا عن تواضُع الشَّيخ -رحمه الله-، وحُسن أخلاقِهِ، فماذا أكتُب ؟ وكيف أبدأ ؟ وهذه الصِّفات الحميدة يشهد لهُ بها كلّ من عرفه أو جالسهُ أنَّهُ متواضع لا يتَّصِف بالكِبر، فلا يعلو على أقرانِه، ولا يُعرض عن إخوانِه ممتثلاً قول ربِّ العالمين : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الشُّعراء : ٢١٥] اخفض جناحك : أي كُن هيِّناً ليِّناً رفيقاً بهم متواضِعاً لهم. ولذلك إذا تأمَّل المُتأمِّل عن الأسباب الَّتي تُؤدِّي إلى انفصام عُرى الأُخُوَّة بَين كثير من المُسلمين لوجد السَّبب حِدَّة في الطَّبع، وصُعُوبة في التَّعامُل، وخُشُونة في الألفاظ، وغِلظة وعِزَّة ورِفعة على المُسلمين عكس ما كان عليه سيِّد المُرسلين وصحبُهُ أجمعون أذلَّةً على المُؤمنين أعزَّةً على الكافرين.

دخلتُ مرَّة إلى الغُرفة الَّتي يجلس فيها الشَّيخ، فقال لي : تفضَّل يا أخي، قُلتُ لهُ: أُريدك على انفراد، فاستأذن من الجُلُوس، وجلس يسمع ما أقول بِكُلِّ احترام وتقدير، وهذا كان دأبُهُ مع الكثير.

يتقبَّل المُلاحظات ولا يُصِرّ على رأي رآهُ، يتنازل عن رأيِهِ لرأي بعض طُلَّابِهِ وإخوانِهِ لجمع القُلُوب، وحذراً من الاختلاف.

قبل مَوتِهِ بيسير كان لهُ -رحمه الله- رأي وهو أن تُكتب استمارة لِكُلِّ طالب في المركز من أصحاب العوائل والعُزَّاب فيها مستوى الطَّالب العلمي وكم يحفظ من القُرآن ؟ ماذا درس من دُرُوس ؟ ماذا يدرُس الآن ؟ وغيرها من المعلومات، وقال الشيخ : أُريد أن أعرف مستوى كلّ طالب عندنا، وكان الشَّيخ قد تكلَّم بهذا في دَرسِهِ العام، فكأنَّ بعض الإخوة رأوا أنَّ في هذا إحراجاً لبعض النَّاس، ولأُمُور أُخرى رأوها، فسمع الشَّيخ أنَّ هُناك من لا يرى بهذا الرَّأي؛ فجمع بعض الإخوة وسألهم، فكان رأي بعض الأفاضل خلاف رأي الشيخ، وذكروا لهُ بعض ما يرون، فترك الشَّيخ رأيه لرأيهم تواضُعاً وجمعاً للقُلُوب، وعدم انفراد بالرَّأي، وإلَّا فإنَّهُ شيخ المركز لهُ أن يفعل ما يراهُ، وقال في الدَّرس بعد الاجتماع كان رأي بعض الإخوة عدم وضع استمارات لأصحاب العوائل، فما رأيُكُم أيُّها العُزَّاب ؟ ثُمَّ ابتسم، وقال : أمَّا أنتم فلابُدّ ما في من يُدافع عنكم.

كان يرى الطِّفل الصَّغير مع أبيه؛ فيحملهُ ويُقبِّلهُ، ورُبَّما داعبه كما حدَّثني بذلك الأخ حُسام أنَّ الشَّيخ فعل هذا مِراراً مع بنيه.

كان إذا ذكر مسألة، أو أمراً حصل معه، فيقول قال لي: يا عبد الرحمن، ولا يذكر كلمة شيخ، وكان إذا أرسل أحداً في أمر إلى أحدِ الإخوة يقول قل لهُ يقول لك عبدالرحمن.

وقال : الله يقول : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فأنا أخوكم عبد الرحمن، وقال عن بعض المُخالفين تجرَّؤوا عليَّ لِضَعفي، وقِلَّةِ علمي، ولكنِّي استعنتُ عليهم بالله.

وكان -رحمه الله- رُبَّما يأتيه الشَّاب الَّذي بلغ الخامسة عشر والعشرين ويقول يا شيخ فائدة كذا أو قال بعض السَّلف كذا، فيقول الشيخ هاه ما شاء الله أحسنت فائدةٌ طيِّبة، ولعلَّ الشَّيخ عرفها قبل أن يولد هذا الأخ لكن من باب التواضُع، وجبر خواطر الآخرين.

وكان -رحمه الله- إذا جاء زائر إلى المركز قطع درسه أو اختصره، وقال تفضَّل يا أخانا فُلان، فيتكلَّم والشيخ جالس بَين يديه حتَّى يُكمل، ورُبَّما كان الشَّيخ مُتعَباً كما حصل في مرَّةٍ، وأنا أنظر، والشَّيخ في دَرسِه وهو مُتعَب إذ رُفِعَت لهُ ورقة نطلب كلمة من الأخ فُلان، فإنَّهُ موجود، فقال الشيخ أين فُلان ؟ إخوانك يطلبون منك نصيحة، فقام الأخ وتكلَّم وأطال الكلام والشَّيخ يستمع بِكُلِّ إنصات، وهو مُتعب بحاجة إلى الرَّاحة، ولكنَّهُ صبر حتَّى أكمل الأخ الكلام.

في مرَّة تكلَّم أخ بَين يَدَي الشَّيخ، وقال شيخنا العلَّامة الفقيه عبد الرحمن العدني، ثُمَّ تكلَّم بكلام آخر مُفيد، فلمَّا تكلَّم الشَّيخ قال جزى الله خيراً الأخ فُلان على كلِمَتِه المفيدة إلَّا أنِّي أعتِب عليه المدح والثَّناء، فأنا أخوكم عبد الرحمن ... إلخ.

تواضـــع لمـــا زادهُ الله رفعـــة فكـــلُّ رفيـــع عنـــدهُ متواضـــع

كان يتبع الجنازة ويعود المريض، ويتفقَّد إخوانه وطُلَّابه ويسأل عنهم.

حدَّثني الشَّيخ أنيس المُهندس -حفظه الله تعالى- أنَّهُ كان من أوائل من سكن في المركز هُو وبعض الإخوة قال : وفي يومٍ من الأيَّام مرضتُ، ولم أحضر المسجد؛ فسأل الشَّيخ عنِّي قيل لهُ إنّي مريض، فما شعرتُ إلَّا والباب يُطرَق بعد صلاة الفجر قُلتُ : من ؟ قال : أنا عبد الرحمن، فقُلتُ : من عبد الرحمن ؟! ففتحتُ الباب، وإذا بالشَّيخ -رحمه الله- يبتسم ويدعو لي، ويسألُ عن صِحَّتي وأعطاني شيئاً من المال للعلاج، وهذا من تواضُعه وتفَقُّدِه لإخوانِهِ -رحمه الله- ...اهـ

ولقد خرجنا في تشييع جنازة، فرأيتُ الشَّيخ جالساً على التُّراب بِثَوبِهِ الأبيض، وطُلَّابُه من حولِه، وهو ينظر إلى القُبُور، فقُلتُ لصاحِبٍ لي انظر إلى تواضُع الشَّيخ ما أجمله، وكم لهُ من أثر في التَّربية لِطُلَّابِه ومُحبِّيه.

وحدَّثني الشَّيخ صالح الغشامي -حفظه الله- أنَّهُ وجد الشَّيخ عبد الرحمن جالساً في حلقة الشيخ الوالد عبد المحسن العبَّاد -حفظه الله تعالى-، ومعهُ دفتر وقلم يكتُب الفوائد من جُملة الطُّلَّاب بِكُلِّ تواضُع وأدب، وهذا من تواضُعه في جُلُوسِه كواحد من الطُّلَّاب، ومن حِرصِه على العلم في حِلِّهِ وترحالِه عليه -رَحْمَةُ الله تعالى-.

حدَّثني الأخ أديب الفُيوشي مهندس المُكيِّفات أنَّهُ جاء إلى بَيت الشَّيخ عبدالرحمن، فنظر المُكيِّف في البيت، فكان لابُدَّ من إخراج المُكيِّف، قال : فأخذ الشَّيخ يُخرج المُكيِّف بنفسه، وحَمَلهُ على رأسِهِ إلى المكان الَّذي أُريد، وكُنتُ أُحاول أحمل معه، فأبى -رحمه الله-. نعم كان -رحمه الله- يقوم بِخِدمَة نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومن تواضُع الشيخ -رحمه الله- مع إخوانه و طُلَّابه ما حدَّثني به الأخ محمد بن هادي -وفَّقه الله تعالى- أنَّ الشيخ -رحمه الله- أراد أن يخرج دعوة إلى البيضاء، فقُلتُ يا شيخ، تذهب معي في سيَّارتي، فذهبت وأتيت بالسيَّارة وجئتُ وقد سبقني أحد الإخوة بسيَّارته، وألحَّ على الشَّيخ أن يركب معه في سيَّارته، قال : فجئتُ والشَّيخ مع هذا الأخ، فلمَّا رأى في وجهي شيئاً من الحُزن ناداني وأركبني في المقعد الأمامي، ورجع إلى الوسط في السيَّارة، وأبى عليَّ إلَّا الرُّكُوب، وقال لي : ما دام وقد رددنا سيارتك فاركب هنا، فركبتُ وأنا في غاية الحياء والإحراج كيف أركب في المقعد الأمامي والشيخ خلفي، ولكنَّهُ من تواضُع شيخنا وحرصِه على سلامة قُلُوب إخوانه -رحمه الله-.

ومن تواضُعه غفر الله لهُ أنَّهُ يُجيب الدَّعوة، ويحضر في أفراح إخوانه إلَّا أن يكون معذوراً وذلك جبراً لخواطرهم إذ أنَّهُ من الشَّرف الكبير للشَّخص أنَّ الشَّيخ يدخُل بيته، ويُشاركه في فرحه، ومن الطَّرائِف في هذا ما حدَّثني به ولد الشَّيخ الأخ إبراهيم -حفظه الله تعالى- قال في يوم من الأيَّام جاء رجُل إلى الشَّيخ ودعاهُ ليحضُر عنده الوليمة في وجبة الغداء؛ فوافق لهُ الشَّيخ ففرح الرَّجل وانصرف، وبعد لحظات جاء شخص آخر، وقال يا شيخ، اليوم أنت عندي للغداء قال لهُ الشَّيخ أنا عند فُلان، وقد وعدتُه. قال : لا يا شيخ، لابُدَّ لابُدَّ أن تأتي إلى بيتي، وظهر عليه الحُزن، فقال لهُ الشَّيخ طيِّب لا تحزن نأتي إن شاء الله لكن سأتأخَّر قليلاً قال الرَّجُل تأخَّر ما شئتَ المُهم أنَّك تأتيني، وخرج فرحاً مسروراً، وبعد وقت خروج هذا إذ جاء شخص ثالث فدعا

الشَّيخ لحُضور وليمته؛ فاعتذر لهُ الشَّيخ، فلم يقبل العُذر، وأخذ يُصِرُّ على الشَّيخ وقد علاهُ الكرب؛ فقال لهُ الشيخ : طيِّب سنأتي إن شاء الله لكن سأتأخَّر؛ فتهلل وجه الرَّجُل، وقال تأخر ما شئت وخرج مسروراً أن الشَّيخ استجاب دعوته، وسيُشرِّفه بالحضور إلى بيتِه، فلمَّا أكمل الشَّيخ درس الظُّهر أخذ معه بعض الإخوة، وقال لهم : كُلُوا قليلاً عند كلّ واحد، فستغدَّى عند ثلاثة، ثُمَّ طاف عليهم جميعاً يأكل قليلاً ثُمَّ يدعو لهم، ويذهب عند الآخر جبراً لخواطرهم ...اهـ

كرم الشيخ رحمه الله

إن زرت ساحته ترجو سماحته ... بلَّتك راحته بالجود والكرم

أخلاقه كرم وقوله نعم ... يقولها بفم بحبحت فاحتكم

ما ضرَّ زائره يرجو أناملَه ... إن كان ذا رحم أو غير ذا رحم

الجود غرَته والمجد غايته ... يقولها بفم قد لجَّ في نعم

لقد كان الشيخ -رحمه الله- كريماً سخيَّاً يُحب الكرم، ويجود بما في يديه ولو كان يسيراً، وهذا مشهور عنهُ ومشهود حدَّثني الشيخ أنيس اليافعي -حفظه الله تعالى- : أنَّ شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- كان من شدَّة كرَمِه في دمَّاج يدعو الإخوة من طُلَّاب العلم إلى بَيتِه للغداء أو للإفطار قال : وكان في دمَّاج مع قلة ذات اليد عند الشَّيخ -رحمه الله- إلَّا أنَّهُ كان كريماً جواداً إذا جاء شهر رمضان كان يدعو الكثير من طُلَّاب العلم إلى بيتِه للعشاء، وكان يدعو طُلَّاب العلم من عدن، فقد لا يدع أحداً منهم إلا وأكرمه في بيتِه، قال : وأنا ممَّن حضر في بيتِه في رمضان للعشاء، وغيري من الإخوة الكثير والكثير قال : وكان رُبَّما استدان لضُيوفِه -رحمه الله-. اهـ

وحدَّثني الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى- قال : كان الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- في غاية من الكرم، وخاصَّة مع قلة ذات اليد في دماج، وتعشَّينا عنده مرات عديدة، وقد نأتيه زيارة أحياناً أكثر من خمسة عشر شخصاً، فيأبى إلَّا أن نتعشَّى عنده، وهذا دأبُه دائماً -رحمه الله-.

وكذلك من كرم الشَّيخ -رحمه الله- وبَذلِهِ وعِفَّتِه ما حدَّثَني صهر الشَّيخ الأخ الفاضل عُمر الضَّالعي -حفظه الله تعالى- أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- كان إذا خرج دعوة إلى الله بسيَّارَتِه، فإنَّهُ يدفع مصاريفه ومصاريف سيَّارتِه من مالِهِ الخاص، قال : وخرجنا مع الشَّيخ دعوة إلى صنعاء في اجتماع للمشايخ في جامع الخير، في ثلاث سيَّارات كلّ سيَّارة فيها مجموعة من الإخوة، فلمَّا كان وقت الغداء نزلنا في المطعم، ، فأصرَّ الشَّيخ إلَّا أن يُسلِّم نُقود الغداء منهُ، فلمَّا جاء عند المُحاسب قال الشَّيخ : كم حسابكم ؟ قال صاحب المطعم : عشرة آلاف، فقال الشَّيخ : تأكَّد يا أخي، نحنُ كثير، وقد طلبنا كثيراً، فدعا صاحب المطعم بالمُباشرين، وأكَّدوا أنَّها عشرة آلاف فقط، فحاسب الشَّيخ -رحمه الله-، فكأنَّ الشَّيخ -رحمه الله- خَشِيَ أن يكون صاحب المطعم أخطأ على نفسه، فأحبَّ الشَّيخ ان يتحرَّى -رحمه الله-.

وقد حدَّثني الأخ محمد بن هادي الحدِّي -حفظه الله- أنَّهُ سافر مع الشَّيخ عدَّة أسفار؛ فكان الشَّيخ -رحمه الله- يُصِرُّ إلَّا أن تكون نفقة الطريق عليه، وكان يُكرمنا غاية الإكرام.

وقُلتُ لأحد الإخوة في أيَّام الشَّيخ، وكان على سفر ألا تدخل تُسلِّم على الشَّيخ، وتستأذنه بسفرك ؟ فقال لي : إني أستحيي أن أدخل عليه؛ فإنِّي كُلَّما أردتُّ السَّفر وسلَّمتُ عليه يأبى إلَّا أن يُعطيني ما يسَّر اللهُ لهُ من المال.

فضائل في حديث جمعها الله للشيخ

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه: قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ- : «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ». أخرجه ابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي، وحسَّنَهُ الألباني -رحمه الله-.

تأمَّل معي فقرات الحديث :

(عِلمًا نَشَرَهُ) ها هو دار الحديث بالفُيُوش فيه الأُلُوف من الطُّلَّاب والطَّالِبات كان السَّبب في تجمُّعِهِم للعلم في هذا الدَّار هو الشَّيخ رَحِمَهُ الله رحمةَ الأبرار.

دُرُوسُه المُمتِعة الشَّيِّقة المُفيدة، وترجيحاته الفِقهِيَّة صارت محل اطمئنان بَين طُلَّابِ العلم.

كان باحثاً قويًّا فقيهًا مُدقِّقًا جعل اللهُ لِفتاويه القَبول بَينَ المُسلمين كان يتَّصِل الواحد، ويقول أسأل لي عن حُكم كذا، فقد اختلفنا ؟ فنُعطيه الجواب من أحد الفُضلاء؛ فيُصِر أنَّهُ لا يُريد الجواب إلَّا من الشَّيخ، فإذا أفتى الشَّيخ عملوا بدون تردُّد، وذلك لما جعل الله لهُ مِنَ القبول في قُلُوب الناس.

الأُلُوف من طُلَّابِ العلم والطَّالِبات يتنعَّمون من علمِهِ، وما ورَّثَهُ من خَير.

وبِفَضلِ الله، فقد تمَّ تشكيل مجموعة من أفاضل طُلَّاب الشَّيخ ومُحبِّيه لتفريغ خُطبه ودُرُوسه وفتاويه في شتَّى الفُنُون، فقد درَّسَ في التفسير، وفي التَّوحيد، وفي الحديث والفِقه، والأُصُول، والمُصطلح، وكان يذاكرنا في المسائل النَّحوية، وفي الأنساب، والآداب وغيرها ممَّا سيُطبع بإذن الله، ويُدرَس ويُدرَّس، وكذا جميع فُصُول الطُّلَّاب في المركز، وما يدرسون من منهج على مستوياتِهِ أرادَهُ الشيخ وراجعه وأعدَّهُ مع إخوةٍ فُضلاء، فهذا يُعتبر علماً نشره.

(عِلمًا نَشرَهُ) حيث رُحِلَ إلَيه من كثير من بلاد العالم للتَّتَلمُذ بَين يديه، ورجع من رجع إلى بَلَدِه لينشر ما تعلَّمَهُ من الشَّيخ، فمن إندونيسيا ونيجيريا والصُّومال وفرنسا والجزائر وليبيا ومصر وكينيا وغيرها من الدَّول تعلَّموا من علم الشَّيخ؛ لينشُروه في بُلدانهم.

(عِلمًا نَشرَهُ) في الشَّبكات والجوَّالات والأشرطة والذَّاكرات، وفي هذه الأيَّام وبإشراف شيخنا عبد الله بن عمر بن مرعي -حفظه الله تعالى- تمَّ افتتاح موقع وإذاعة رسميَّة يوميَّة عبر الإف إم (FM) تنقل دُرُوس وعلم شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- ليستمعها الرِّجال والنِّساء في البُيُوت، وهذا من الخير الَّذي يسَّرهُ الله لنشر علم الشَّيخ بعد مَوتِهِ.

وقد كان الشَّيخ -رحمه الله- عازِماً على فتح هذه الإذاعة، فقد حدَّثَني الأخ آدم الإندونيسي أنَّ الشيخ عبد الرحمن قال سنفتح إذاعة تُبُثُّ الدُّرُوس والفوائد، فهل

أنت مستعد لتعمل فيها ؟ هذا وقد نفع الله بها نفعاً عظيماً، فلو ترى السَّيَّارات والدرَّاجات النَّاريَّة، والجوالات وفي البُيُوت، والمحلَّات في دار الحديث بالفُيُوش ونواحيها، وهم يستفيدون منها في كُلِّ أوقاتها لقلت هنيئاً للشيخ وغفر الله له.

وكذلك طُلَّابُه في شتَّى بِقاع الأرض في اليمن وخارج اليمن، تعلَّموا عند الشَّيخ، ثُمَّ عادوا إلى بُلدانِهم لنَشر علمه -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وفي هذه الأيَّام هناك إخوة فُضلاء تحت إشراف شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- يقومون بتفريغ دُرُوس الشَّيخ وخطبه -رَحِمَهُ اللَّهُ- لتُطبع في مُؤلَّفات؛ لنشر علم الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

((وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ)) لقد خلَّف الشَّيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- خمسة عشر من الأولاد الصَّالحين المُؤدَّبين ثلاث من بناتِه أكملن حفظ القُرآن الكريم، والبقيَّة في طريقهم لختم القُرآن بإذن الله جلَّ في عُلاهُ، والصِّغار سيتعلَّمون الخير والصَّلاح ما دام أنَّ أباهُم قد ورَّثَ دار الحديث بالفُيُوش لِيَنْهَلوا فيه العلم مع أبناء المُسلمين.

((وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ))

وكم من آلاف المصاحف الَّتي في مساجد المركز كان السَّبب فيها أو في كثيرٍ منها الشَّيخ، أو على معرفته -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وقد وُزعت مصاحف عبر الشَّيخ قبل مَوتِه بأيَّام، وأنا ممَّن أعطي لي منها مصحفاً.

((أوْ مَسجِداً بَنَاهُ))

لقد جعل الله -تعالى- بناء مساجد عديدة وكبيرة على يد الشَّيخ عبد الرحمن، فبسبب معرفته جاء من جاء من أهل الخَير ليبني المساجد، وبالأخص في دار الحديث بالفُيُوش ففيها إلى الآن اثنا عشر مسجداً عامرة بِالمُصلِّين، وبِطُلَّاب العلم الخَيِّرين، وعمرها الشَّيخ في حياتِه معنوياً بالعلم والتعليم وتحفيظ القُرآن الكريم، وكذا بعد موته استمرَّ السَّير، وكثر فيها الخير وهذه المساجد هي :

مسجد المركز (٦٠×٤٨)، ولهُ صرح خلفي يُصلِّي فيه النَّاس في أيَّام الحر (٣٠×٦٠)، وصرح غربي (٢٤×٩٠).

مسجد طيبة (٢٦×٢٤) مكوَّن من دورين. وفيه مصلى للنساء.

مسجد الرحمن (٢٤×٢٤).

مسجد بلك عشرة (١٥×١٧). مكوَّن من دورين. وفيه مصلى للنساء.

مسجد بلك اثناعشر (٢٤×٢٤).

مسجد بلك سبعة (٢٤×٥٨). مكوَّن من دورين. وفيه مصلى للنساء.

مسجد بلك ثلاثة (٢٤×٢٤). مكوَّن من دورين. وفيه مصلى للنساء.

مسجد بلك اثنين وعشرين (٢٠×٣٠). وفيه مصلى للنساء.

مسجد معاذ (٢٤×٢٤) مكوَّن من دورين. وفيه مصلى للنساء.

مسجد بلك العزاني (١٨×١٩).

مسجد بلك الجهوري (٨×١٠).

مسجد بلك البيضاني (١٤×٢٥).

((أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ))

جعل الشَّيخ -رحمه الله- في دار الحديث بالفُيُوش غُرفة الضِّيافة، وفيها كلّ ما يُريح ابن السَّبيل من المُكيِّفات والمراوح والحمَّامات، ولهم طعام يأتيهم إليها في أوقات الوجبات فبناها معنويًّا بكرمه وترحيبه بِكُلِّ الزَّائرين، فقد يأتي أحياناً في اليوم الواحد ثلاثمائة من المارِّين والزَّائرين؛ فيُكرِمهم بما استطاع من الطَّعام قال لي الأخ علوي اليافعي الَّذي كان مسئولاً عن استقبال الضُّيُوف وإكرامهم بالطَّعام : مرةً جاءنا ثلاثمائة زائر إلى غُرفة الضِّيافة من عِدَّة بُلدان، وكُنتُ قد سمعتُ بِقُدومِهم فأعددتُ لهم ما يلزم من الغداء، فكأنَّ الشيخ كان مُحرجاً أن ينقص عليهم شيء، فأكلوا حتى شَبِعوا، وفَضُلَ من الطَّعام؛ فوجدتُّ الشَّيخ وقد خرج من عندهم، فلمَّا رآني تبسَّم مسروراً وقال بيَّضت وجوهنا بيَّض الله وجهك. وهذا من كَرَمِه -رحمه الله-.

((أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ)) فكم من الآبار الَّتي أجراها الله -تعالى- على يدِ الشَّيخ -رحمه الله-.

ألم يأتِ الشَّيخ -رحمه الله- إلى الفُيُوش وهي أرض قفر يابسة لا ماء، فأصبحت الآن يسكُنها ألوف الناس يشربون ويغتسلون ويتوضَّأون في المساجد وفي البُيُوت.

أليس الشَّيخ جعله الله -تعالى- سبباً لتحيا الأرض اليابسة، فتُصبح حيَّة بالسُّكَّان وحيَّة بالعلم، وحيَّة بالدَّعوة والتعليم، بلى والله بلى لقد أنعم الله -تعالى- على طُلَّاب المركز بِما لم يُعطِه الكثير من الناس في كل مكان، ومنها نعمةُ الماء المُوفَّر إلى كُلِّ البُيُوت ليل نهار من غير انقطاع، ومن غير عدَّاد إنَّما يُسلِّم كلّ بيت ألف ريال في الشهر فقط ، وعن قُرب زيدت خمسمائة ريال (ألف وخمسمائة ريال يمني)، وتشرب ما تشاء، وتغتسل وتتنعَّم وما ذلك إلَّا بما أجرى الله -تعالى- على يد الشَّيخ من شَقِّ الآبار، وحُسن التَّرتيب، وجعل مكتباً خاصًّا بمشروع الماء، وتسليم المُقرَّر على المُشاركين، وجعل فيه عُمَّالاً لِكُلِّ عمله، فهذا في إصلاح القصاب، وهذا في إدارة المشروع، وهذا كُلُّه نعمةٌ كُبرى علينا من الله -تعالى- كلّ هذا تيسير لِطُلَّاب العلم، فلا يُشغلون بجلب الماء عن طلب العلم، وأجزم بأنَّ أكثر طُلَّاب العلم في المركز لا يدرون عن أماكن الآبار، وعدد الآبار، ومتى تخرب المضخَّات، ومن الَّذي يُصلحها، وفي كُلِّ كم يكون الخراب لا يعرفون إلَّا الماء في القصاب إلى كُلِّ بَيت نعمة من الله علينا، وكذلك ما منَّ الله بِه علينا من وجود حلَّايات للماء في عدة أماكن في دار الحديث بالفُيوش بسعر بسيط جدًّا أسأل الله -تعالى- أن يحفظها من الزَّوال، وأن يغفر لشيخنا، وكل من تسبَّب معه في شَقِّ الماء، وتسهيله لِطُلَّاب العلم. وأن يرزقنا شُكر هذهِ النِّعمة إنَّهُ أرحم الرَّاحمين.

((أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))

نعم لقد كان -رحمه الله- يحث على الصَّدقة، وإلى القيام بالأرامل والأيتام، وكان -رحمه الله- كافلاً لبعض الأسر الَّتي قُتِلَ في الحرب من يعولهم خاصَّة، وهُم من سُكَّان المركز، وأبقى لهم المُساعدة الشَّهرية.

وإنَّ أمر الصَّدقة من الأُمُور السِّريَّة الَّتي يَصعُب الاطِّلاع على تفاصيلها، ولكن معرفتنا بشيخنا -رحمه الله- أَنَّهُ عامل بِعِلمِه في جميع الجوانب، وقد قدَّم ما هو أعظم من ماله قدَّم نفسه في ذات الله جلَّ في عُلاه.

ذكاء الشيخ وفِطنَته

ما من طالب علم إلَّا وهو يحفظ آداب وشُرُوط الطّالب الَّتي ينبغي أن يسلُكها حتَّى يصل، وهيَ الَّتي نظمها الإمام الشافعي -رحمه الله- في بَيتين من الشِّعر، فقال :

أخـي لـن تنـال العلـم إلَّا بسـتَّةٍ ... سـأُنبيك عـن تفصـيلها ببيـان

ذكـاء وحـرص وافتقـار وغربـة ... وتلقـين أسـتاذ وطـول زمـان

فالخللُ في هذه الشُّرُوط يُورِثُ خللاً في التَّحصيل.

فإذا نفَّذها الطالب تنفيذاً حسناً؛ فإنَّ تحصيله يكون حسناً.

فأوَّلُ درجاتِ السُّلَّم الذَّكاء.

وقد رُزِقَ شيخُنا عبد الرحمن -رحمه الله- ذكاءً وزكاءً.

وهذا الذَّكاء أعانَهُ على التَّحصيل في سنٍّ باكر.

فقد حصل أنَّهُ -رحمه الله- حَفِظَ جُزءاً كاملاً، وهو آخر جزء بَقِيَ معهُ من إتمام القُرآن حَفِظَهُ في يومٍ واحد كما ذكر ذلك عنهُ أخوهُ الشيخ عبد الله -حفظه الله تعالى-.

فهذا الحفظ الَّذي رزَقَهُ الله إيَّاه وهو صغير انتفع بِهِ وهو كبير، ولهذا كُنتُ أتعجَّب من حِفظِهِ وذكائه وذاكرَتِه، وأقول سُبحان مُقسِّم الأرزاق، فهذا رزقٌ ساقه الله للشَّيخ، وأذكر من ذلك وهو مُلاحظ عند جميع طُلَّابِهِ أنَّهُ إذا درَّس في أيِّ علمٍ من العُلُوم، يذكر المسألة، ويذكر تفاصيلها والأقوال الَّتي قِيلت فيها، وترجيحات الفُقَهاء وأهل المذاهب، ومن انفرد بالأقوال، ثُمَّ يُرجِّح ما يراهُ وتطمَئِنُّ إِلَيه نفسُه.

وإن لم يطمئن إلى الرَّاجح ذكر الأقوال كما هي، واكتفى ويظلّ يتكلَّم في درسِهِ سرداً بدون تلعثُم أو تذكُّر، وكُنتُ في بداية مجيئي إلى دار الحديث بالفُيُوش أحضُر دُرُوس الشَّيخ، وأجلس في مكان بعيد عن الشَّيخ في وسط المسجد، وكُنتُ أسمع الدُّرُوس بالمكرفون، وفي قرارة نفسي أنَّ الشَّيخ يسرد المسائل من كتاب أو بالنَّظر في الأوراق، أو أقلّ شيء رؤوس أقلام، ولكنِّي تفاجأتُ لَمَّا اقتربتُ منهُ، وإذا بِهِ يسرُد من حِفظِهِ يقرأ المسألة من الكِتاب، ثُمَّ ينظر إلى الطُّلَّاب ويشرح بِكُلِّ إطناب.

وقد حدَّثني الشيخ الخضر البيضاني -حفظه الله- أنَّ الشيخ عبد الرحمن كان يحفظ كلّ مُتُون التوحيد حفظاً، ودرَّس كل مُتُون التَّوحيد في المسجد الأول في الفُيُوش من حِفظِه، وكان يضع الكتاب بَين يديه مُغلقاً، ويُسمِّع لبعض طُلَّابِهِ مُتُون التَّوحيد. قال ومن نظر إلى استدلالاته بالأحاديث عَلِمَ أنَّ الشيخ يحفظ بُلُوغ المرام، ورياض الصَّالحين، وكان يقول رياض الصَّالحين كنزٌ ثمين.

إنَّ الَّذي يتأَمَّل في ذكاء الشَّيخ وفِطنَتِه وفِراسَتِهِ وذكائِهِ ليتعجَّب، ويقول الرجُل قد وُفِّق بفضل الله عليه.

حدَّثني أحد الإخوة في الله : أنَّهُ كان يحضر عند الشَّيخ -رحمه الله- الدُّرُوس؛ فانقطع لفترة قال، فقال لي الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- أين أنت يا أخانا فُلان ؟ فقُلتُ لهُ : يا شيخ عليَّ دُيُون؛ فقرَّرتُ أن أجعل لي عملاً أقضي ديني، ثُمَّ أتفرَّغ لطلب العلم، فقال لي الشَّيخ إنَّ هذا من الشَّيطان يُريد أن يُبعدك عن حلقات العلم، ثُمَّ قال لي كم عليك

من الدُّيُون ؟ قُلتُ لهُ : ثلاثمائة ألف يا شيخ، فقال لي لعلَّك إن أَقبَلتَ على الدُّنيا أن تُصبح ثلاثة ملايين، وقال لي سأتعاون معك فيها؛ فأبيتُ ثُمَّ فتحتُ دُكَّاناً، وبعد مقتل الشَّيخ بفترة حصل عجز في العمل، وبِعتُ الدُّكَّان؛ فلمَّا حسبنا الدُّيُون إذا بها ثلاثة ملايين فضحِكتُ وكان من بجانبي يقولون على ما الضَّحِك، وقد طلعت عليك كلّ هذهِ الدُّيُون ؟! فأخبرتهم بكلام الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- ، وقُلتُ : يا لَيتني أخذتُ بكلامه من أَوَّل يوم واللهُ المُستعان.

بل قد ذكر شيخنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- : أنَّ الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- حفظ القُرآن، وحفظ رياض الصالحين، وحفظ بلوغ المرام، وحفظ اللؤلؤ والمرجان، وحفظ ألفية العراقي قال : وكنتُ أُسمِّعها لهُ، وكُنَّا نتذاكر العلم معاً في أول الطَّلب رحمه الله رحمةً واسعة. اهـ

وقال شيخُنا عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- : ((والله أقولها من دون مُبالغة ليس لأَنَّهُ أخي، والله شاهد أنِّي لم أرَ أحداً كان يجتهد في دراسة الفِقه بمعناه الَّذي ذكر مثل الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-؛ فكان يقرأ مسائل الفقه، ويجمع معها الدَّلائل، ويعتمد كثيراً على كتاب الحافظ بن حجر -رحمه الله- في التَّلخيص، وأظُنُّ أَنَّهُ قرأهُ ثلاث مرَّات، وعلَّقَ على كثيرٍ من أحاديث التَّلخيص لكثرة مروره على مسائل الفقه، فكُلَّما مرَّت عليه مسألة، وذكر العُلماء فيها حديثاً استفاد من شيخنا مقبل -رحمه الله- حتَّى كان شيخُنا مُقبل -رحمه الله- يستفيد منهُ، ويفرح بأسئِلَتِه، فيبحث في تلك الأحاديث، ويقول

والله إنَّك لَتُفيدني يا عبد الرحمن لكثرة ما يجد من المسائل العلميَّة؛ لأنَّها مسائل باحث ومُدرِّس، ومار على مسائل الفقه مسألةً مسألة فما يُكمل تدريس الدَّراري إلَّا وقد مرَّ على كُلِّ أحاديث الأحكام ((تقريباً))، حتَّى جاءتهُ الهِمَّة -رحمه الله- أن يُدرِّس في آياتِ الأحكام، وبدأ يُدرِّس في إحدى الدَّورات العلميَّة في مسجد النَّصر (بعدن) في سنواتٍ قديمة، ثُمَّ رأى أنَّ المشروع طويل، والموضوع أكبر، فبدأ يكتب فيه، وفيما أعلم أنَّ لهُ أوراقاً قد كتب فيها، ولا أدري أين هي تحتاج إلى بحث، وقد وجدتُّ لهُ كراريس كثيرة، ونحنُ إلى الآن بإذن الله وتوفيقه في مشروع تفريغ كُتُب الشَّيخ وإخراجها.

وقد وفَّقهُ الله على صغر سِنِّه حتَّى نال إعجاب القريب والبعيد، ونال ثقة القريب والبعيد، وأذكر أنَّنا في أوَّل حجَّة حججناها حجَّة الإسلام، وكانت بفضل الله -تعالى- في سنة (١٤١٠هـ)، فأرسل الشَّيخ مُقبل -رحمه الله- معنا رسالة للشيخ عبدالعزيز ابن باز؛ فسلَّمناها للشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، ثُمَّ جلسنا معهُ، وأكرمنا غاية الإكرام، وسأل عن أسمائِنا، فكان الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- عِندَهُ بعض الأسئلة، ومعلوم أنَّ أسئلة الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- أسئلة العالم ليس طالب العلم أسئلة تدلُّ على ذلك الغَوْر الَّذي عليه طلبة العلم في دمَّاج؛ فلمَّا سأل بعض تلك الأسئلة الحديثيَّة والفقهيَّة، والشيخ ابن باز يسمع ويُجيب في بعضها، ويقول تحتاج للبحث في بعضها الآخر، ثُمَّ قال الشيخ ابن باز : ما شاء الله ما شاء الله، والله إنِّي

لأفرح أن يوجد في العَالَمَ مثل هذا العلم، ثُمَّ أثنى على دمَّاج، وعلى الشَّيخ مقبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- ممَّا رأى من الخير الَّذي من أسبابه تلك الأسئلة النَّافعة الَّتي سأل بها الشَّيخ عبدالرحمن الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُمُ الله رحمةً واسعة، وفي مجلس آخر مع الشَّيخ ربيع -حفظه الله-، وختم لنا ولهُ بِحُسن الختام كُنَّا نجلس معه ونسأله بعض الأسئلة، وكانت أكثر أسئلة الشَّيخ عبد الرحمن مع الشَّيخ ربيع أكثرها حديثيَّة لتَخَصُّص الشَّيخ في هذا الفن، حتَّى قال الشَّيخ ربيع : والله بعض أسألتك أهابها يا عبد الرحمن، وكُنَّا في بعض اللَّيالي نأخذ السَّاعة والسَّاعتين والثَّلاث ونبحث مع الشَّيخ ربيع؛ فيقول : والله إني أستفيد من مُجالسَتكُم أكثر ممَّا تستفيدون مِنِّي، وكُنَّا نبحث معهُ في بعض الأحاديث، فيقول هاتوا كتاب كذا، أو هاتوا كتاب فُلان، وهاتوا الكتاب الآخر، وهذا قليل من كثير ممَّا يدلُّ على هِمَّة الشَّيخ العالية، وما كان عليه -رَحِمَهُ اللَّهُ- ومن استمع إلى دُرُوسِه، وإلى ما كان عليه علم ذلك. ومِمَّا تميَّز به -رَحِمَهُ اللَّهُ- رحمةً واسعة أنَّ العلم كان في صَدرِه لا تجد علمه علم كتاب، بل كان علمه علم صدر، فإن سألته في الفقه أو الحديث أو اللُّغة وغيرها تجِد عندَهُ خيراً كثيراً ..اهـ

هذا ولقد تبيَّن أكثر وأكثر بعد مَوتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ما كان عليه من فِطنَةٍ وذكاء وانتباه.

فمن ذلك أنَّهُ شيخ لمركز كبير، ومسئول أول عليه، وهذا المركز المُبارك كل يوم يتوسَّع أكثر فأكثر، حتَّى أصبح مدينة يسكُنها الألوف.

وكُلُّهُم يسيرون بشروط المركز بفضل الله -تعالى-، فخلافاتهم إلى الشَّيخ، وترتيب أُمُور مشروع الماء والكهرباء، ومشاكل السُّوق، وكل شيء يحدُث فالمسئول الأول هو الشَّيخ، فأصحاب الكهرباء إن تأخَّر التَّسليم طالبوا الشَّيخ، ومشروع الماء يُرفع إلى الشَّيخ، ومشاكل طُلَّاب المركز من المُتزوجين والعُزَّاب إلى الشَّيخ.

وترتيب الدُّرُوس وُمتابعة الطُّلَّاب والفتاوى، والجُلُوس مع الزّوار، والمشاكل الدَّعَويَّة بَين الإخوة في الله في اليمن، وفي خارج اليمن بالتَّواصُل مع الشَّيخ.

وقد أُرهِقَ الشَّيخ -رحمه الله- في آخرِ حياتِهِ، وكان لا ينام إلَّا ساعات يسيرة في وسط الليل، ثُمَّ يقوم ليُصلِّي لرَبِّهِ، ويدعو رَبَّهُ إلى أن يأتي وقت صلاة الفجر، وقد حدَّثني ولد الشَّيخ إبراهيم: أنَّ الشَّيخ لم يكُن ينام في ليلِهِ ونهارِهِ إلَّا ثلاث إلى أربع ساعات، ورُبَّما نام رُبع ساعة إلى عِشرين دقيقة إذا تَعِبَ في النَّهار، وفي آخِرِ أيَّام الشَّيخ حذَّرَهُ الطَّبيب، وكان صديقاً للشَّيخ وأخبرهُ بأنَّ جِسمَهُ لا يتحمَّل كل هذا العناء والتَّعب، وأنَّهُ لابُدَّ لهُ من نَوم أقل شيء ثمان ساعات في اللَّيل والنَّهار، وإلَّا فقد يُصاب بمرضٍ خطير.

وقد سمعتُ الشَّيخ مرَّةً في أحد دُرُوسِه يطلُب من إخوانِهِ التَّعاوُنَ معه في مهام المركز، وقال كلَّمَني الطَّبيب أنه لا بُدَّ لي من راحة، ونوم أقل شيء ثمان ساعات، ثُمَّ ابتسم -رحمه الله-، وقال قُلتُ له يا طبيب خفِّض خفِّض (يعني انقص من الثَّمان؛ فهو وقت كثير في النوم). ولكنَّهُ مع هذا كُلِّه ما زال قائماً بِكُلِّ هذه المهام، حتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ -

تعالى-، ولا شكَّ أنَّ بعض الإخوة -حفظهم الله- كان لهم تعاوُن كبير مع الشَّيخ -رحمه الله- في التَّدريس الخاص للطُّلَّاب، وبعض المهام، ولكنَّ المسئوليَّة الكُبرى كانت على كاهِله -رحمه الله-، وقد نفع الله بالمكتب الَّذي اختارهُ الشَّيخ لحل كثير من القضايا، وخفَّفَ عن الشَّيخ شيئاً من العناء.

هذا وإنَّ المُتأمِّل بعين الإنصاف في رجل هو المرجع لحل كثير من القضايا، وتغيير كثير من المُنكرات، ونشر العلم والدَّعوة في مجتمع لا يقل سُكَّانه عن ألفين أسرة في كل أسرة مجموعة أفراد وهُم سُكَّان دار الحديث بالفُيُوش حرسها الله فضلاً عمَّن يأتي من خارج الفُيُوش للاستفتاء، وحلِّ القضايا عند الشَّيخ إنَّ المُتأمِّل في هذا ليقول أن الشيخ -رحمه الله-كان أُمَّة في رجل.

إنَّ من العدل والإنصاف أن يُعطى الرَّجُل حقَّهُ من الذِّكر الحسن والثناء الجميل من العُلماء خاصَّة، ثُمَّ من طُلَّاب العلم المُنصِفين.(١)

وإنَّ من الظُّلم لهذا الجبل الأَشَمّ أن يُوصف، أو حتَّى يُظَنّ فيه شيء من عدم الفِطنة، وعدم معرفة الأُمور وتدبيرها. إذا كان الرَّجُل الذَّكي المُتعلِّم اليوم يحُس بِعناء وشيء من العجز في إدارة بَيته المُكوَّن من عشرة بنين وبنات وزوجة ورُبَّما أقل من هذا، فكل ولد لهُ مزاج ولهُ رأي، ولهُ مشاكل في بيته وخارج بيتِه، فترى مسؤول الأُسرة

---

(١) وقد فعلوا هذا وعرفوا لهُ قَدره جزاهم الله خيراً

يُكلِّم نفسه في الطُّرُقات ويسهو في بعض الصَّلوات، وإذا سُئِلَ قال مشقَّة الحياة، ومشاكل البنين والبنات.

فكيف بمن تولَّى مسئوليَّة الألوف من الطُّلَّاب والطَّالِبات، وفي كُلِّ يومٍ لهُ نصائح وتوجيهات، وحل الأمور المُعضلات، فينصح المُقصِّر والعاصي، ويُشرف على المنهج الدِّراسي، ويثبُت ثبات الجبال الرَّواسي.

إنَّ هذا العمل العظيم لتعجز عن القيام بِهِ معاهد وجامعات، والفضل في هذا كُلِّهُ لله الواحد القهَّار الرَّحيم الغفَّار إنَّما الشيخ سبب من الأسباب جعل الله هذا الخير على يديه، وعلى يدي من تعاون معه من الإخوة الفُضلاء، وطُلَّاب العلم النُّجَباء الَّذين يدرِّسون لوجه الله، وكذا لا ننسى أن نَخُصَّ بِالدُّعاء من تعاون وشارك في دعم هذا المركز المُبارك، وفَّقنا الله وإيَّاهُم لكل خير.

وفي أحد دُرُوس شيخنا -رحمه الله- في شرح صحيح مُسلم مرَّ الشَّيخ بفائدة، فسأل الإخوة عن الجواب، ثُمَّ قال أين الأخ محمد الخُدشي أتذكر ؟ سألتُ هذا السُّؤال ونحنُ في مجلس قبل عشرين عاماً فأجبت أنت بالجواب، فهل لا زلت تحفظ الجواب ؟

وأذكر من ذكائِهِ ونباهَتِه -رحمه الله- أنَّهُ كلَّم الأخ عبد الهادي أن يُكلِّم مجموعة من طُلَّاب العلم السَّاكنين بعوائلهم في المركز ليُشاورهم في أمر دعوي، وكُنتُ فيمن حضر في غُرفة الضِّيافة، ونحنُ أكثر من مائتين، والغُرفة مزدحمة، إذ جاء الشيخ

فجلس، فما إن نظر إلى الحُضُور نظرة، حتى قال لأحد الحاضرين أنت أخي هل أنت من السَّاكنين في المركز ؟ قال لا، فسكت الشَّيخ، فنادى هذا الأخ أحد الإخوة؛ فخرج.

وكذلك من ذكاء الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وانتباهه وفطنتِه ما حدَّثني به الأخ أوسان العدني -حَفِظهُ الله تعالى- قال : كانت أول معرفتي بالشيخ عبد الرحمن -رَحِمَهُ اللَّهُ- في جامع الخير في صنعاء جئت لخطبة الجمعة وسألتُهُ سُؤالاً، فقال لي : من أين أنت؟ قُلتُ : من عدن، فسألتُهُ سُؤالاً ؛ فأجابني، ثُمَّ لم ألتقِ به بعدها، وبعد عامين تقريباً من هذا السؤال التقيت بالشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في عدن ـ المنصورة في بيتِه؛ فلمَّا رآني قال لي : أنت الذي التقيتُ بك في جامع الخير في صنعاء قبل كذا وكذا؛ فبهرني الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ- باستحضارِه خاصَّة وأنَّهُ لم تكُن لهُ معرفة بي مسبقاً.

ذكاء وحرص

من أعظم ما يحرص عليه طالب العلم هو الوقت، فالوقت هو العُمر، وطالب العلم لا يعرف المجالس الَّتي تُضاع فيها الأوقات بغير فائدة، ولا يعرف الجدال العقيم؛ لأنَّهُ تضييع للوقت، وكان علماؤنا -رَحِمَهُم الله- من أحرص الناس على أوقاتهم، ومنهم شيخنا الجليل فضيلة الشَّيخ الفقيه عبد الرحمن بن مرعي العدني -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فقد كان مُحافظاً على وقته أشدّ المُحافظة، وكان يقول إذا رأيت من فتح الله عليه في العلم، فاعلم أنَّهُ كان مُحافظاً على وقتِه، وكان -رَحِمَهُ اللَّهُ- إذا صلَّى الفجر، وأكمل

الأذكار دخل إلى الغُرفة الأمامية للمسجد، وكان معه أخ من الغُرباء يُسمِّع له مراجعة القُرآن الكريم حفظاً.

فلمَّا سافر هذا الأخ كان يُسمِّع للشَّيخ الأخ وجدان الضَّالعي قال لي الأخ وجدان كان الشَّيخ قد جعل ساعة بعد الفجر يُسمِّع فيها القُرآن من حِفظِه، وكان الشَّيخ يُسمِّع بإتقان مع مُراعاة التَّجويد، وكان يُرتِّل ترتيلاً، ولا يقف لِمُدَّة ساعة إلَّا لضرورة.

وفي آخر أيَّامه كان قد بدأ يُسمِّع بعد القُرآن في المُتُون، ثُمَّ يَرجِع إلى بَيتِه، وينهمك في مُطالعة كُتُبِه وتحضير دُرُوسِه.

ولم يكُن ينام من بعد الفجر إلى الظُّهر أبداً إلَّا إن كان مُتعباً؛ فقد ينام ربع ساعة إلى عشرين دقيقة، ويقوم مُباشرة لِمُطالعة الكُتُب، وتحقيق المسائل.

قال شيخنا عبد الله بن مرعي العدني -حفظه الله تعالى- : كان الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- كثير القراءة قليل الراحة، أكثر وقته في قراءة الكُتب، ومن يقف على مكتبته لا يكاد يمسك دمعه إذ لا يكاد يرى كتاباً إلا وله فيه تعليق بخط يدِه رَحِمَهُ الله رحمةً واسعة، وقد حرص الإخوة وحرصت معهم على جمع تركة الشيخ العلمية من شروحه وفتح لي أبناؤُه -حفظهم الله تعالى- مكتبته؛ فتفقدت الكثير من الكتب، فما وجدتُ كتاباً إلَّا ولهُ فيه تعليق، وما وجدتُ رفًّا إلا وفيه كتاب ومذكرة وفيها كتابة بخط يدِهِ، ورأيتُ خزنة، فمن حرص أبناء الشيخ وأمانتهم جزاهم الله خيراً لم يفتحوها، فلمَّا فتحتُها فوجِئتُ بأنَّ فيها كراريس بخط يده في التفسير وفي الحديث وفي

الفقه رحمه الله رحمةً واسعة، فمن أعمر وقته بالحرص على العلم؛ فهذه ثمرتُه، ولذلك عرف قدره شيخنا مقبل -رحمه الله-، وحُق أن يُحيل لهُ في الفتوى والنوازل ... إلخ

ولم يكُن الشَّيخ -رحمه الله- يُفرِّط في وقتِه حتَّى في سَفَرِه، ومع ما في السَّفر من مشقَّة وعناء، فلم يكُن الشَّيخ ليترُك وقته هملاً حدَّثني الأخ عوض بن سالمين الحضرمي أنَّهُ سافر مع الشَّيخ عبد الرحمن من قصيعر إلى جزيرة سُقطرى دعوة إلى الله -تعالى- قال والسَّفر عبر البحر طويل جدًّا.

وكان الشَّيخ يقرأ القُرآن طوال الطَّريق إلَّا إذا تكلَّمنا في أمر، فقد يُكلِّمنا، ثُمَّ يرجع ليقرأ في مُصحفه -رحمه الله- إلى أن وصلنا إلى سُقطرى.

وحدَّثَني بعض الإخوة ممَّن كانوا يُسافرون مع الشَّيخ أنَّ الشَّيخ كان في سَفَرِه ـ يُحِب سماع المُتُون العلميَّة.

وحدَّثني الأخ عبد الرؤوف الرَّدفاني أنَّ الشَّيخ كان في سَفَرِه يُذاكرهم المسائل العلميَّة، فإذا أحسَّ منهم شيئاً من الملل ذكر لهم شيئاً من الألغاز والطرائف الَّتي لا تخلو من فائدة.

وقد يترك الشَّيخ الشَّيء المهم لديه إذا كان يستغرق وقتاً طويلاً، فقد حدَّثني الأخ أنيس اليزيدي، أنَّهُ كان مع الشَّيخ في السُّعُوديَّة، قال وتعرَّفت على رجُل يُعالج من داء كان عند الشَّيخ، وسبق أن تعالج عندَهُ أُناس فبرأوا بإذن الله، فذهبتُ إليه أنا والشَّيخ عبد الرحمن، فلمَّا وصف للشيخ أوقات العلاج، وما يحتاج إليه من وقت قال الشيخ :

سأستخير الله، ثُمَّ ترك هذا العلاج للمُحافظة على وقتِهِ -رحمه الله-؛ لأَنَّهُ كان سيستغرق وقتاً طويلاً، فرحم الله الشيخ وغفر الله له.

وقالت زوجة الشيخ أمُّ أحمد -حفظها الله تعالى- : كان الشَّيخ -رحمه الله- شديد الحِرص على وقتِه، ولا يضيِّع من وقتِه ولو يسيراً، وكان دائماً في جدٍّ واجتهاد، ومُذاكرة لدُرُوسِه بالرَّغم من كثرة مشاغِلِه بأُمُور المركز والطُّلَّاب إلَّا أَنَّهُ كان لا يَملّ ولا يفتُر عن طلب ومُذاكرة العلم، وكان لا يُحِب أن يشغله شيء عن طلب العلم، ومن المواقف في هذا أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- كان لدَيه داخل سور البَيت أشجار وفواكِه، وكان يُحِبُّ أحياناً أن يعتني بها؛ فيسقيها ويُحافظ عليها، وفي يومٍ من الأيَّام إذا بالشَّيخ يقطعها ويُبعِدها، فسألتُه عن سبب قطعها ؟ فقال : لقد أشغلتني عن طلب العلم. وذلك أَنَّهُ -رحمه الله- لا يُريد أن يُضيِّع من وقتِه ولو دقائِق قليلة، وهكذا كان رحمه الله ...اهـ

وقالت زوجة الشَّيخ أم عبد الله -حفظها الله تعالى- كان أكثر وقت الشَّيخ في مكتبَتِه في البحث والمُطالعة ...اهـ

محبته للعلماء ودفاعه عنهم وإجلاله لهم

إنَّ من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الَّتي يدرُسونها ويدرِّسُونها، ويعملون بها محبَّة العُلماء وتوقيرهم وإجلالهم إذ هم حملة الدِّين، وورثة المُرسَلين.

قال الطَّحاوي -رحمه الله- كما في العقيدة الطَّحاويَّة ((وعلماء السَّلف من السَّابقين ومن بعدهم أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنَّظر لا يُذكرون إلَّا بالجميل)).

وجاء عن الإمام أحمد أنَّهُ قال : ما بِتُّ منذ ثلاثين سنة إلَّا وأنا أدعو للشافعي واستغفر لهُ.

وإنَّ محبَّة العلماء والجُلُوس بَين أيديهم، وعدم مسابقتهم في جميع الأُمُور، والسَّير بتوجيهاتهم لهو من أعظم أسباب الثَّبات، فإنَّهُم القوم الَّذين لا يشقى بهم جليس جعلهم الله هُداةً مُهتدين، وجعل الخير في اتِّباعهم، والاقتفاء لآثارهم.

ومن أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم، فمن أحبَّ العُلماء حَشَرَهُ الله مع العُلماء، ومن حارب العُلماء حَشَرَهُ الله مع المُحاربين للعُلماء، وإنَّ الاستخفاف بالعُلماء والوقيعة فيهم بالسَّبِّ لهو من أعظم أسباب مَوت القلب.

وإنَّ الوقيعة فيهم لهو وقوع في الشَّرع الَّذي يحمِلُونه والدِّين الَّذي يعلِّمونه، ويا ويل من كان خَصمُهُ العلماء يوم القيامة يوم الحسرةِ والنَّدامة.

وإنَّنا في زمان إلى الله فيه المُشتكى أصبح الكلام في العُلماء فواكه المجالس، بل وصل الحال إلى ذِكرهم بالسَّبِّ والثَّلب في بُيُوت الأحد الصَّمَد، وخُطِب عليهم من

على المنابر، والله ﷻ يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ولَيس إلى ذكر الناس، فحسبُنا الله ونِعمَ الوكيل.

إذا عَـيَّرَ الطَّـائيَّ بالبُخـل مـا درٌ ... وعَـيَّرَ قِسَّـاً بالفهاهـة باقـل

وقـال السُّـها للشَّـمس أنـتِ كسـيفةٌ ... وقـال الـدُّجى للبـدر وجهُـك حائِـلُ

فيـا مَـوتُ زُر إنَّ الحيـاة ذميمـةٌ ... ويـا نفـسُ جـدِّي إنَّ دهـرَكِ هـازِلُ

أمَّا عن شَيخِنا -رحمه الله-، فلقد كان ممتَثِلاً لهذا المُعتقد السَّليم يُحِبُّ العلماء، ويدعو إلى محبَّتِهم، ويدعو لهم، ويُحذِّرُ من الوقوع فيهم حتَّى لَقِيَ الله على ذلك لم يُغَيِّر ولم يُبدِّل، وهذا تثبيت من الله جلَّ في عُلَاهُ.

وكان -رحمه الله- : إذا ذكر الشَّيخ مُقبلاً -رحمه الله- يَصِفُه بالإمام العالم الفاضل، وإذا ذكر الخير الَّذي انتشر في دار الحديث بالفُيُوش يقول هذا من ثِمار شيخِنا الإمام المُربِّي مقبل الوادعي -رحمه الله-، وكان يدعو لِشَيخِه الوادعي كثيراً، وإذا ذكر الرُّجُوع إلى العُلماء أو ذكر فضل العُلَماء غالباً يذكر الإمام الوادعي -رحمه الله-، وهذا من الإحسان، ومن ردِّ الجميل.

وكان -رحمه الله- مُحِبًّا للشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، ويَصِفهُ دائماً بالشَّيخ الوالد، وأذكر في مرَّةٍ من المرَّات تكلَّم بعضُ طُلَّابِ العلم هداهُ الله بكلمةٍ فيها تنقُّص للشيخ ربيع -حفظه الله تعالى-، وكان هذا في نِقاش مع بعض الإخوة، فبلغ الشَّيخ عبد الرحمن أنَّ فُلاناً قال كذا وكذا؛ فاستدعاهُ الشَّيخ -رحمه الله-، ووعَظَهُ

وذكَّرَهُ بالله، وذكَّرَهُ بفضل العلماء، فقال المُتكلِّم أتوب من هذا، فأمرهُ الشَّيخ أن يكتُب تراجُعَهُ خطيًّا، وأن يُقرأ التَّراجُع أمام كلّ الطُّلَّاب في مركز الشَّيخ -رحمه الله-؛ ليكون ردعاً لمن سوَّلَت لهُ نفسُهُ الكلام في الشَّيخ ربيع، أو في غيرِهِ من العُلماء، ففي ليلةِ الإثنين الحادي عشر من ربيع الأول لعام ١٤٣٥هـ، ونحنُ في الدَّرس إذ بالشَّيخ يقول لقد صدرت من الأخ فُلان، وسمَّاهُ باسمه كلمةٌ باتِّجاه الوالد العلَّامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، وقد كتب تراجُعَهُ خطيًّا عندنا .... إلخ.

وكان هذا الأخ الَّذي تكلَّم يخطُب في المركز أحياناً، ويتكلَّم في مساجد المركز، ومن حينها لم أرهُ يُؤذَن لهُ ولا بِكَلِمة.

ومن توقِيره للعلماء ما ذكر لي بعض الإخوة أنَّهُ كان في يومٍ عند الشَّيخ عبد الرحمن إذ جاء إلَيه أحدُ الطُّلَّاب كالمُغضب، وقال يا شيخ قال فيك الشيخ عُبيد كذا وكذا قال فقال لهُ الشيخ عبد الرحمن: إنَّ الشيخ عبيد مضى من عُمرِهِ ما يزيد على كذا وكذا، وهو يُدافع عن السُّنَّة، وكلامُهُ على حسب ما يَصِل إلَيه من بعض الَّذين يَثِق بهم.

فرحمةُ الله عليك يا شيخنا عبد الرحمن هذا هُوَ الخُلُق الكريم، والصَّدر السَّليم يحمل الأعذار لمن تكلَّم فيه لأنَّهُ قد دافع عن السُّنَّة فيما مضى من عُمرِه.

وكان إذا ذكر العُلماء الكبار في المملكة ذكر منهم الشَّيخ الجليل الصَّبُور محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، وكان يدعو لهُ، ويذكرهُ بالخير الكثير.

أمَّا عن إجلالِهِ لِكبار العلماء، وربط الناس بدعوتهم؛ فحدِّث ولا حرج فقد كان كثيراً إذا ذكرهم دعا لهم، ويقول علماء المملكة ليسوا علماء المملكة فحسب، بل هم علماء الإسلام اليوم. ومنهم على سبيل المثال الشيخ الوالد العلَّامة صالح بن فوزان الفوزان، ويحيل على فتاويه كثيراً.

والشيخ العلَّامة المُفتي عبد العزيز آل الشَّيخ.

والشَّيخ العلَّامة صالح اللَّحيدان -حفظه الله تعالى-.

والشَّيخ العلَّامة عبد المحسن العبَّاد، ويُسمِّيه شيخ مشايخنا، وقد التقى بِهِ في رِحلته إلى المدينة، وسلَّم عليه في المسجد، وصلَّى بِجانِبه، ثُمَّ مضى فلمَّا وصل الشَّيخ عبد المحسن إلى بَيتِه، وكلَّمَهُ بعض مرافِقيه أنَّ الَّذي سلَّمَ عليه هو الشيخ عبد الرحمن قال الشيخ وكنتُ في بَيت بعض الإخوة، وإذا بمن يتَّصِل ويقول الشيخ عبد المحسن يقول تأتي، فإنَّهُ لم يعرفك، فذهب إلَيه الشَّيخ؛ فأكرمهُ الشيخ عبد المحسن غاية الإكرام، وأدناهُ وأخذ يسألهُ عن أحواله. فسأله الشيخ عبد الرحمن بعض الأسئلة، ومنها سؤال وجِّهَ إلى الشيخ في درسِهِ لشرح الحائية، والسُّؤال عن التَّرتيب في الفضل بعد الأئمَّة الأربعة يعني الخُلفاء الرَّاشدين من بعدهم من العشرة يقدم في الفضل.

فقال الشيخ عبد الرحمن الله أعلم، فلمَّا التقى بالشَّيخ عبد المحسن سألهُ عن هذا السُّؤال فقال الشَّيخ عبد المُحسن اللهُ أعلم، وكان الشَّيخ يُثني على الشَّيخ عبد الرزاق

ابن الشيخ عبد المحسن، وعلى تعليقاتِهِ لبعض الكُتُب، بل ودرَّس الشَّيخ في مركزه بعض شروحات وتعليقات الشيخ عبد الرزاق البدر.

وكذا يُثني على العلَّامة صالح آل الشَّيخ -حفظه الله تعالى-.

وكان يُثني على علماء اللَّجنة الدَّائمة، وينقل من فتاويهم سواء الأحياء منهم أو الأموات.

وكان الشَّيخ يرى أنَّ الله نفع الإسلام والمسلمين في شتَّى بِقاع الأرض بالعُلماء الأجلَّاء منهم الشَّيخ ابن باز وَيَصِفهُ بسماحة الشيخ الوالد العلَّامة عبد العزيز ابن باز -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

والشَّيخ العلَّامة الجليل محمد بن صالح العُثَيمين-رَحِمَهُ اللَّهُ-.

والشَّيخ العلَّامة المُحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني-رَحِمَهُ اللَّهُ-.

فكان الشَّيخ كثيراً إذا ذكر الحديث يذكر الألباني والوادعي، وإذا ذكر الفتوى والفقه ذكر ابن باز والعُثَيمين.

ومن المشايخ الَّذين يذكرهم الشَّيخ ويدعو لهم الشَّيخ وصيّ الله عباس، والشَّيخ صالح السّحيمي والشَّيخ عبد الرحمن العجلان.

وغيرهم الكثير والكثير من العُلماء ممَّن ذكرنا، وممَّن لم نذكر، وليس هذا على سبيل الحصر، وإنَّما على سبيل المثال.

ومن كلامِهِ الماتع : يجب أن نُطهِّر قُلُوبنا لِعُلماء السُّنَّة أينما كانوا، وحيثُما حلُّوا، وألَّا نسمح في مجالِسنا بمن يطعن في العُلماء لا نسمح، وهذا الَّذي يُنجينا من الفِتن ... إلخ، وسيأتي كلامُهُ مُطوَّلاً في هذا.

الشيخ وعلماء اليمن

لقد كان الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- واحداً من أبرز علماء أهل السُّنَّة في اليمن، وزاد هذا تثبيتاً وصيَّة الإمام الوادعي -رحمه الله- بِالرُّجُوع إلى العُلماء عندَ الفِتن، وذكر منهم الشَّيخ عبد الرحمن العدني -رحمه الله-؛ فأقبلَت قُلُوب العُلماء، وقُلُوب طُلَّاب العلم على محبَّة هؤلاء العُلماء لأمورٍ

منها : أنَّ هذا مُعتقد وتديُّن يجب أن يُدان الله به.

ومنها : لما أجراهُ الله على أيديهم من نفعٍ عظيم قد لا يقدر قدره إلَّا من رأى بِعَينِه، أو من تصوَّرهُ بعين العدل والإنصاف، ففي كُلِّ مركز من مراكزهم المئات والأُلُوف من طُلَّاب العلم الشَّرعي يتخرَّج على أيديهم حُفَّاظ القُرآن وحافظات، بل وحُفَّاظ للأُمَّهات السِّت، وبعض المسانيد فضلاً عن عُلُوم الآلة، وإتقان المُتُون، ولو ترى سلاسل تُفتح إلى أن تُختم في التَّوحيد، وسلسلة في العقيدة، وفي النَّحو والصَّرف، والمصطلح ما يُفرِح القلب ويُسعِدُه والله وفي كُلِّ خميس وجُمعة يخرج الدُّعاة من المراكز يجولون في البلاد دعوةً إلى التَّوحيد، وتحذيراً من الشِّرك، ودعوةً إلى السُّنَّة، وتحذيراً من البِدَعِ والضَّلالات دعوةٌ سلفيَّة صافية نقيَّة، لا حزبيَّة ولا عصبيَّة يقودها عُلماء أجلَّاء، ومشايخ فُضلاء.

ولقد ضرب الشَّيخ عبد الرحمن أروع الأمثلة، في الأخلاق والآداب، والتواضُع مع عُلماء اليمن في الفِتَن الَّتي مرَّ بها في حياتِهِ مع خُصُومِه، وكان يقول قضيَّتنا بيد العُلماء، فالَّذي يَرَونَهُ مُناسِباً لِدعوَتِنا؛ فأنا معهم.

وقال أنا مُستعد أن أوقِّع للعُلماء في ورقةٍ بيضاء، فالَّذي يَرونَهُ يُمضُونه.

وقال والله لو رأى المشايخ أنَّ خروجي من هذا المكان فيه مصلحة للدَّعوة، وأمروني بالخُرُوج لخرجتُ.

وكان الشَّيخ في محبَّتِهِ لهم يستشيرهم في كثيرٍ من الأُمُور، وكان يَرُد على الَّذين يقولون لَيس في اليمن عُلَماء.

ويقول هؤلاء يُريدون إسقاط المرجعيَّة، وإذا سقط العُلماء من قُلُوب الناس، فإلى من يرجعون ؟!!

الشيخ عبد الرحمن والشَّيخ الوصابي

كان شيخُنا عبد الرحمن -رحمه الله- مُحبًّا ومُجِلًّا وداعياً للشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-، وكان يَصِفُهُ بالشَّيخ الوالد، ويقول شيخنا محمد بن عبد الوهاب الوصابي، وكان الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب المستشار الرَّسمي لشيخِنا عبد الرحمن، ولَّما مَرِض الشَّيخ الوصابي في أيَّام فتنة الرَّافِضة، وَصعُبَ على الشَّيخ الوصابي الكلام مع النَّاس في الهاتف خرج الشَّيخ عبد الرحمن في يوم الخميس مُتوكِّلاً على الله مُتَّجِهاً إلى الحُديدة مُخاطِراً بِنَفسِه فمرَّ بأكثر من ثلاثين نُقطة عسكريَّة للرَّافضة فسلَّمَهُ الله، ودخل على الشَّيخ الوصابي وجلس معهُ واستشاره في كثير من الأمور، وخطَبَ الجُمعة في مسجد الشَّيخ الوصابي، وودَّع الشَّيخ؛ فكان آخر لقاء ووداع، وعاد إلى مركِزِه بحفظ الله -تعالى-.

فَهذا المَوقِف وأمثالُه يُدلُّ على مَحبَّة الشَّيخ للشَّيخ الوصابي، ويَدُلُّ على شجاعة شيخِنا عبد الرحمن عليه رحمةُ المنَّان.

ولَّما مات الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي تأثَّر الناس لِموتِه ولِفَقْدِه، وكذا كان في شيخنا تأثُّر بليغ تكلَّم في المسجد بصَوتٍ حزين، وأتى بالكلمة التالية فقال -رحمه الله- : فنقول لأهل السُّنَّة أحسن الله عزاءكم، وجبر مُصيبَتَكُم، ونسأل الله -تعالى- أن يَغفِرَ لشَيخِنا العلَّامة فضيلة الشَّيخ أبي إبراهيم محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -

-رحمه الله- رحمةً واسعة، ورفع درجتَهُ في عِلِّيِّين، وألحَقَهُ بالنَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالِحين.

وحقيقةً ذهاب العُلماء تُعتبر مُصيبة، والمُصيبة ليست في فقد أشخاصِهِم، وإنَّما المُصيبة في فقد ما يحمِلُونَهُ من عِلمٍ نافعٍ، وعقيدة سلفيَّة صافية، ومنهجٍ سليم ودعوةٍ وإنتاجٍ وتدريس، ورِعاية لهذا الخَير، فمن هُنا تكمُن المصيبة على المُسلمين.

والنَّبِيُّ -ﷺ- هو القائل : «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

لا سِيَّما إذا كان المفقود من أمثال هؤلاء العُلماء الَّذين عُرِفوا بِصَحَّةِ المُعتقد، وسلامة المنهج، وهؤلاء العُلماء الَّذين يُعتبرون ملاذاً وملجأً لأهل السُّنَّة في الفِتَن والمِحَن، وحينما تتلاطمُ الأمواج، وتعظُم الشَّرور، فقد جعل الله -سبحانه وتعالى- أمثال هؤلاء العُلماء المرجع للأُمَّة في حل مشاكِلِها، وتوجِيهها إلى ما يُوصِلها إلى بَرِّ الأمان، فهكذا حقيقة إنَّا لنَحزن أشدّ الحُزن في فقد أمثال هؤلاء العُلماء، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يَخلُف في الأُمَّة من يقوم مقام هؤلاء العُلماء في تثبيتِ النَّاس على دينهم، وتعليمهم دين الله -سبحانه وتعالى-، فلقد كان شيخُنا المُبارك -رحمه الله- رأساً في هذا الأمر بما حَباهُ الله بتلك الأخلاق الفاضِلة، والخِلال الكريمة، والمحبَّة والنُّصح لإخوانِه من أهل السُّنَّة، ولِعُموم المُجتمع فلقد كان آيةً في ذلك على ما عرفتُهُ عن قُرب من هذا الشَّيخ المُبارك -رحمه الله- أنَّهُ كان مُحِبَّاً لأهل السُّنَّة، ومُحبًّا للعلم وأهله، وهكذا كان حريصاً على العقيدة الصَّافية

على المنهج القويم، وكان شاغِلاً وقته بالعلم والتعليم، فلا تجد القيل والقال في مجالِسِه، بل كانت عامرةً بالخَير والعلم والوعظ، والمُذاكرة والتعليم والإرشاد، وهكذا كانت لهُ المنزلة العالية والمقام الرَّفيع في نُفُوس أهل السُّنَّة في البلاد اليمنيَّة، وخارج البِلاد اليمنيَّة، فقد حباهُ الله -ﷻ-، وأنزله هذه المنزلة العالية، وهذهِ المكانة المرموقة في نُفُوس الكثير من أهل السُّنَّة والمُحبِّين لهَذِهِ الدعوة، فوالله إنَّ فقدَهُ ليُعتبر مُصيبة، ولكن الحمدُ لله ينبغي على طُلَّاب العلم، وعلى الدُّعاةِ إلى الله، وعلى عُموم أهل السُّنَّة أن يأخذوا الدُّروس النَّافعة والمُفيدة من أمثال هؤلاء العُلماء، فلقد كان جِدُّهم ونُصحهم وجِهادُهُم، وجُهدُهُم ودعوَتُهم وتعليمهم حُجَّة قائمة على من يتكاسل ويتقاعس من طُلَّاب العلم في المُضِيِّ في هذا الطَّريق، نعم إخواني في الله، فينبغي على أهل السُّنَّة أن يحرصوا على السَّير على ما سار عليه هؤلاء العلماء من غير تبديل ولا تغيير ثباتاً على القُرآن والسُّنَّة، وثباتاً على العقيدة السَّلفيَّة، وثباتاً على المنهج القويم لأهل السُّنَّة محبَّةً للسُّنَّةِ وأهلها، وبُغضاً لِلبِدَع وأهلها، وحرصاً على جمع كلمة أهل السُّنَّة، وحرصاً على البُعد عن الفِتَنِ والمنكرات والشُّرور...

فنحنُ يا إخواني نعيش خيراً في هذه البلاد اليمنيَّة، بالنِّسبة للدَّعوة السَّلفيَّة النَّقيَّة الصَّافية، فالله -ﷻ- حبانا بها في هذه البلاد اليمنيَّة علي يدي شَيخِنا الإمام المُبارك مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-، فلقد نشر الدَّعوة السَّلَفِيَّة السُّنِّيَّة العلميَّة في أرجاء البِلاد اليَمنيَّة.

وتخرَّج من ذلكم المركز الَّذي يُعتبر أُمُّ المراكز، وأُم دور الحديث في البلاد اليمنيَّة من دار الحديث بِدمَّاج تخرَّج العديد من هؤلاء الأجِلَّاء الَّذين نشروا العلم، ونشروا السُّنَّة في أرجاء البلاد اليمنيَّة، فهكذا ينبغي لأهل السُّنَّة أن يتعاونوا، وأن يتواصلوا، وأن يَثبُتوا على الحقِّ، وأن يسيروا على ما سار عليه هؤلاء العلماء الَّذين حفظ الله ﷻ بهم الدِّين، وأقام بهم الدَّعوة والمِلَّةِ والخير في هذه البِلاد، وفي غيرها، فهكذا ينبغي على الجميع أن يعرف ذلك، ولا نُقصِّر إخواني في الله في الدُّعاء لهذا العالم الجَليل ولإخوانِهِ من العُلماء الَّذين مضوا، والَّذين سيأتي أجلُهُم؛ فالمَوتُ حقٌّ، وهو سبيل كل حيّ من المخلوقات، كما قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[العنكبوت : من الآية ٥٧] مات الأنبياء، ومات الرُّسُل، ومات الصِّدِّيقون والصَّالِحون، وهكذا يَمُوتُ العُلماء؛ فندعوا لهم بالمغفرة، وأنَّ الله -تعالى- يرزقهم الجنَّة وأن يُعيذُهُم من النار، وأن يتقبَّل إحسانهم بالحسنات وسيِّئاتِهم بالعفو لا تنسَ أن تدعو لعُلمائِك، وأن تدعوا لمشايخِك، وأن تدعوا الله -تعالى- لهذهِ الدَّعوةِ بالحفظ والنُّصرة، وأن يجمع القُلُوب على الحقِّ نسأل الله -تعالى- أن يَغفِرَ لهُ وأن يَرحَمهُ، وأن يرفع درجتهُ في عِلِّيِّين، وأن يُسكِنَهُ الجنَّة، وأن يَخلِف أهل السُّنَّة بِرجالٍ صادِقِين، وحَمَلةٍ ناصِحين، وأن يجمعهم على الحقِّ إنَّهُ سميعُ الدُّعاء. اهـ

وبعد موت الشَّيخ الوصابي بأيَّامٍ، وفي الدَّرس العام ذكر الشَّيخ -رحمه الله- أنَّهُ لابُدَّ لِطُلَّاب الشَّيخ الوصابي، ومن جَالَسَهُ بِكَثرة أن يذكروا شيئاً من ترجَمَتِه، وحثَّ على

ذلك، وقال أين طُلَّاب الشَّيخ الوصابي من يذكُر لنا شيئاً من ترجمتِه وحياتِهِ؟ أين فُلان؟ لأحدِ الإخوة، فقام الأخ بعد أيَّامٍ، وذكر ما يسَّر اللهُ لهُ عن الشَّيخ الوصابي -رحمه الله-.

قال الشيخ علي القليصي -حفظه الله تعالى- : كان الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- يقول للشيخ الوصابي -رحمه الله- الَّذي تراهُ يا شيخ ما نُخالف (في بعض المسائل الَّتي يستشيره فيها).

وقال الشيخ أنيس اليافعي -حفظه الله تعالى- : في مَرَّةٍ من المرَّات كان هنا بعض من يؤذي الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- فذهب شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- إلى الحديدة إلى الشيخ الوصابي -رحمه الله- يستشيره في هذا فقال له الشيخ الوصابي: عليك بالدعاء وقل اللهم قرِّب منَّا الأخيار وأبعد عنَّا الأشرار. فكان الشيخ يدعو بهذا الدعاء فما هي إلا أيام فصرفهم الله تعالى.

كلمة نافعة مفيدة لشيخنا حول توقير العلماء

في ليلة السادس عشر من صفر لعام ١٤٣٦هـ تكلَّم الشَّيخ بِكَلِمةٍ نافِعة مُفيدة عن توقير العُلماء بدأ فيها بِقَولِه : ... أمَّا بعد، فما أحسن الأُخُوَّة. الأُخوَّة بَينَ الإخوة شأنُها عظيم التَّآخِي في الله، ومن أجل الله -ﷻ-، والتعاوُن على البِرِّ والتقوى، ومعرفة قدر العُلماء.

وأنا أُكرِّر لإخواني في المجالس وغيرها أنَّنا نعرف قدر العُلماء، وخُطُورة الطَّعن فيهم أو الانحياز إلى بعضِهِم، بل نُحِبُّهُم في الله، ونعرف لهم قَدْرَهُم وفَضْلَهُم، ومكانتهم، ونُحَبِّب عُلماء السُّنَّة إلى قُلُوب النَّاس لَيس عُلماء البِدَع والأهواء، ولا نرضى ولا نقبل بالطَّعن في عُلَماء أهل السُّنَّة سواء كانوا عُلماء المملكة وفيهم الآباء الكبار، فبلِّغوا عنِّي يا إخواني لا نسمح لمن يطعن في العُلماء سواء كانوا علماء المملكة عُلماء السُّنَّة المعروفين والمشهورين، أو كانوا عُلماء اليمن، أو كانوا عُلماء مصر، أو الجزائر، أو المغرب، أو أيِّ بلاد ممَّن لا نعرف فيهم العُلماء، واحذروا إخواني من الانحياز، لأنَّ هذه تُعتبر بِدعة وشيئاً جديداً على دعوة أهل السُّنَّة أنَّ الإنسان يُوالي البعض، ويُعادي البعض الآخر لا، لا نتعامل مع العُلماء مُعاملة الرَّافضة في علي بن أبي طالب رَضِيَ الله عنهُ وأرضاهُ، ولا مُعاملتهم مع الشَّيخين، كيف تعامل الرَّافضة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ جعلُوهُ إماماً معصوماً، بل بعضهم من ألَّهَهُ ورَفَعَهُ

فوق منزلته، وكيف تعاملوا مع الشَّيخين من الشَّيخان؟! أبو بكر الصِّديق وعُمَر بن الخطَّاب - رضي الله عنهما - وأرضاهُما كيف تعاملوا مع الشَّيخين؟ حطُّوا من قَدْرِهِم، وطعنوا فيهم وكفَّروهم، فانظروا إلى غُلُو وانحراف في الجانِبَين غُلُو وانحراف في جانب الخليفة الرَّاشد علي بن أبي طالبٍ حتَّى رفعُوهُ فوق منزِلَتِه الَّتي أنزَلَهُ الله ، ولهُ فضل ومناقب عظيمة، ولكن غلوا وحطُّوا من شأن الشَّيخَين حتَّى كفَّرُوهُما وهُما هُما - رضي الله عنهما -.

فيا إخواني، والله الَّذي يسلَم بِهِ المُسلم، ويلقى الله - رضي الله عنه - وهو راضٍ عَنهُ أن يَكُفَّ لِسَانَهُ، وأن يُزيل ما في قَلبِه ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

لا يجوز أن تحمل الغل والحقد والبُغض لآحاد المُسلمين إذا لم يكُن هُناك موجِب لهذا التَّحامُل، فكيف بِعُلماء الأُمَّة، كيف بالَّذين شرَّفَهُم الله -تعالى- بالدَّعوة إلى هذا الخير، والذَّبِّ عن هذا الخَير، ورِعاية هذا الخَير ؟!! والعُلماء ليسوا معصومين هُم بشر يعلمون ويجهلون، ويُصيبون ويُخطِئون انتبِه يا أخي أن تكون عندك ازدواجيَّة تظُن أن الحثّ على معرفة قدر العُلماء، والدَّعوةِ إلى مَحَبَّتِهِم أنَّ فيه دعوة إلى الغُلُو فيهم، أوِ اعتقاد ما لا يجوز اعتقادُهُ فيهم لا لا إفراط ولا تفريط لا غُلُو ولا جفاء هل نستطيع أن نسير على هذا أن تضع رأسك إذا جاء وقت النَّوم وقلبُكَ سليم، ولسانك نظيف،

وظهرك خفيف ؟! وإذا حمَّلت ظهرك من الأوزار والآثام، ومُحاربة أولياء الله - ﷻ -، والطَّعن فيهم والسَّعي الحثيث على فقد النَّاس الثِّقة بهم هل تسطيع يا أخي ؟!

كَتَبَ رجلٌ إِلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ: «إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنِ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَكْتُبَ بِهِ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ خَفِيفُ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، خَفِيفُ الْبَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافُّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، لَازِمًا لِجَمَاعَتِهِمْ فَافْعَلْ.

فتنبَّه أخي فأيَّام الفتن تطيش عُقُول، ويحصل تجاوُز، ويشتغل الشَّيطان الرَّجيم أعاذنا الله وإيَّاكُم من شَرِّهِ ـ شُغلاً كبيراً، فالدَّعوة هي الدَّعوة، والسَّير هو السَّير نَحنُ ما في تفرِقة عندنا العُلماء هُم العُلماء سواء كانوا في المملكة أو في اليمن .... فأنا أدعو نفسي وإخواني في هذه الدَّار إلى أن نَصُونَ ألسِنَتنا، وأن نحفظ قُلُوبنا، وأن نعمل بما أمر الله -ﷻ-، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هذا المنهج الَّذي سار عَلَيه السَّابقون واللَّاحِقون من العُلماء والحُفَّاظ، والفُقهاء والمُحبِّين، والسَّائِرين على هذا الخير، فاحرص على أن يتوفَّاك الله ﷻ وأنت على ذلك.

فبعضُهم قد يطعن في عُلماء المملكة، وهم ليسوا علماء المملكة هم عُلماء المُسلمين لهم من الجُهود، ولهم من التَّضحِيات، ولهم من النفع العظيم، والكثير الَّذي عَلِمَهُ

الخاص والعام، وعَلِمَهُ القريب والبعيد، فلا تسمحوا في مجالسكم بمن يطعن في عُلماء الأمَّة أول ما يبدأ بالطَّعن يُقال لهُ اتَّقِ الله؛ فإنَّ لُحُوم العُلماء مسمومة، فانتبه قد يأتي إنسان اشتدَّ غَضَبُه، أو جَهِلَ هذه الدَّعوة، أو إنسان مدسوس، فبعض المدسوسين في أيَّام الفِتن هذا يُشعلها هنا، وهذا في الطّرف الثاني بِغَرضِ الإساءة. هؤلاء الموتورون طريقتُهم غير محمودة سواء في هذا الجانب، أو هذا، وأنا -الصَّراحة- لا أعترف بوجود جانِبَين هي دعوة واحدة (أي دعوة عُلماء أهل السنة في المملكة، وعُلماء أهل السُّنَّة في اليمن) .... فالشَّيخ مُقبل -رحمه الله- كان يُحبِّب العلماء إلى نُفُوس الطُّلَّاب ، وإن ردَّ ردَّ ما يعتقدهُ باطلاً لكن لا يُمكن أن يسعى لإسقاط مكانة العُلماء في نُفُوس الحضور قد يشتد في ليلةٍ من اللَّيالي، ويتكلَّم ويأتي بعد خمس ليال أو سِت، ويذكر الشَّيخ ابن باز والألباني والعُثَيمين والشَّيخ ربيعا والشَّيخ الفوزان والعبَّاد يذكر هؤلاء الآباء الكبار القُدامى، فالحمدُ لله ما تخرّج من مجالس هؤلاء العُلماء النَّاصحين إلَّا بمحبَّة للعلماء، وإجلال للسُّنَّة، ومعرفةٍ لقدر الخير.

تُحِب إخوانك أهل السُّنَّة أينما كانوا، وحيثُما كانوا لِأنَّ هذا العالم سائر على طريقة العُلماء الَّذين سبقُوهُ يُحَبِّب السُّنَّة إلى نُفُوس الطُّلَّاب وعوامِّ أهل السُّنَّة، فهكذا إذا أحبَّ المسلم السُّنَّة، وأحبَّ العلم وأحبَّ أهل السُّنَّة، فإنَّهُ يُصبح في كُلِّ يومٍ يزدادُ محبَّةً لأهل السُّنَّة أينما كانوا وفي أيِّ مكانٍ كانوا وحلُّوا.

لا نظر إلى الألوان، ولا نظر إلى الأنساب، ولا نظر إلى الأموال؛ فهذه كلّها لا قيمة لها ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

نحنُ يأتينا الزُّوَّار من أماكِنَ شتَّى؛ فيفرَحُ الناس بمَجِيء من يأتيهم من أهل السُّنَّة، فكيف إذا جاءهم عالم من عُلماء السُّنَّة ؟! تزداد فرحَتُهُم، وكأنَّهُم في عيد. كُنَّا ونحنُ في دمَّاج إذا جاء بعض طُلَّاب العلم يُحاضر نشعر بِفَرحة، وإذا جاء من العُلماء سواء من داخل اليمن، أو من خارجها تنقلب دمَّاج إلى عيد كأنَّها عيد فرحة وبشاشة، ومُسابقة إلى الصُّفُوف الأولى، وإعلانات في شوارع صعدة، ومات الشَّيخ مُقبل -رحمه الله-، وهو على هذه الطَّريقة ربَّى أبناءهُ وطُلَّابَه وأهل السُّنَّة عُموماً على محبَّةِ السُّنَّة والتوحيد، وعلى محبَّةِ الدَّعوة، وعلى محبَّةِ العلم، وعلى إجلال واحترام أهل العلم أينما كانوا، وحيثُما كانوا وحلَّوا لا نشعر بفارق بين أسود وأبيض، وبين نسيب ووضيع.

إخواننا في دعوةٍ واحدة جمعتنا السُّنَّة، وأنا أدعو نفسي وإخواني على الاستمرار على هذا الطَّريق.

هذا الطَّريق الَّذي يسير عليه العُلماء لكنَّ المُشكلة في من يأتي حول العُلَماء، أو بعد العُلَماء قد يسلكون مسالك، والله يا إخواني، ليست من دين الله الانحياز والمُحاربة، والتحقير والتنقيب هذه أمورٌ دخيلة على دعوَتِنا أنا في هذه الدَّار واحد من إخواني أدعوا إخواني إلى أن نصون ألسِنَتنا، وأن نحفظ ألسِنَتنا، وأن نُطَهِّر قُلُوبنا من أي غِلٍّ أو تحامُل على عُلماء السُّنَّة أينما كانوا، وحيثُما حلَّوا، وأَلَّا نسمح في مجالِسنا بمن يطعن

في العُلماء بِحُجَّة الانتصار لِفُلان أو فُلان لا تطعن، ولا نسمح. هذا الَّذي يُنجِّينا من الفِتَن، ولكن لو طاشت عُقُولنا مع من يطيش عقله هذا يمدح جانباً، وهذا يمدح جانباً نعوذُ بالله هذهِ هِيَ العصبيَّة الجاهِلِيَّة الَّتي تبرَّأ منها النَّبي -ﷺ- لَمَّا اخْتَصَمَ أَنْصَارِيٌّ وُمَهَاجِرِيٌّ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، فَقَالَ النَّبي -ﷺ- : «أَفَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟! دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

وَيَقُولُ النَّبِيُّ -ﷺ- : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»، فانتبهوا يا إخواني، نتآخى من تمسَّك بالقُرآن والسُّنَّة؛ فهو أخونا، نُحِبُّهُ في الله، ونُقَدِّمُ لَهُ ما نستطيع أن نُقَدِّم من خدمةٍ نحفَظُ عِرضَه، وماله ولا نُؤذِيه، وهكذا قادة أهل السُّنَّة ورُمُوز أهل السُّنَّة، وهُم عُلماء السُّنَّة احذر يا أخي، من قول الله ﷻ في الحديث القُدُسي : «وَمَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»، ولا شكَّ أنَّ عُلماء السُّنَّة العاملون بعلمهم هم من رؤوس الأولياء. هل تستطيع أن تسير على هذا السَّير في بيتك في خواصك في مهاتفاتك، وفي حياتك حتَّى وإن تُكُلِّمَ فيك ؟ (فإنَّ الله يُدافِعُ عَنِ الَّذين آمنوا).

هل نستطيع أن نبقى على هذا السَّير حتَّى يتوفَّانا الله أن نُحَبِّب عُلماء السُّنَّة عند الناس عند طُلَّاب العلم، وعند العوام، ونذكر مآثرهم، ونذكر فضلهم، ولا نسمح بالطَّعن فيهم وإن حصل بينهم ما حصل ؟ فنسعى في التقريب لا في التَّباعُد نسعى في إطفاء النِّيران لا في إشعالها زيادة، والله يا إخوان من سار على هذا المنهج يسلم من

الفِتَن لكن الخُرُوج عن هذا يجرُّ العبد إلى شُرور أنا أُكرِّر أنا أبرأ إلى الله -ﷻ- ممَّن طعن في عُلماء السُّنَّة، و ممَّن يطعن في عُلماء السُّنَّة، فإن وُجِدَ هُنا، فأنا أطلب من إخواني أن يرفعوا باسمه إذا وُجِدَ من يطعن في العُلماء لا سيِّما الآباء. ثُمَّ عندنا التَّناصُح إلَّا إذا كان قد كتب شيئاً؛ فكل واحد يأخذ جزاءه ... فبِهَذِه الطَّريقة يا إخواني تُحفظ الدَّعوة، وتقوى أمَّا إذا دخلنا في تدابُر وتقاطُع وتناحُر وتعادي، فهذا الَّذي يفرح بِه الأعداء، وعلى رأسِهم عدُوُّنا اللَّدود الشَّيطان الرَّجيم الَّذي قال الله -تعالى- مُحذِّراً منهُ ومِن شَرِّهِ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء:٥٣]....

فأنا أدعوا إخواني، وأُكرِّر ليس عندنا دعوَتان، بل هي دعوةٌ واحدة، من أحبَّ أن يسير فيها، وأن يتعاون مع إخوانه على نُصرَتِها؛ فحيَّاهُ الله، ومن كان يعتقد أنَّ هُناك دعوتين ليست واحدة، فلا تُسبِّب لنا مشاكل يا أخي، أرض الله واسعة، فهذا المركز من مراكز أهل السُّنَّة في اليمن، وتحت إشراف عُلماء السُّنَّة، ومشايخ السُّنَّة مشايخ السُّنَّة يا إخواني، مثلاً في بعض القضايا يقولون فلان مهجور اتركُوهُ واهجُروه، ولا تحضروا لَهُ محاضرات، ولا تُجالِسُوه؛ فيأتي من إخواننا من يزعم أنَّهُ في الخير والدَّعوة، وبِكُلِّ جُرأةٍ يذهب يحضر. معْنى هذا أنَّهُ يدعو الآخرين إلى عدمِ المُبالاة بتوجيهات ونصائح عُلماء ومشايخ السُّنَّة في هذه البلاد اليمنيَّة، وبعضهم قد يزيد ويُشارك هذا المُحذَّر منهُ، وهذا يا إخواني خطأ ... إلخ.

ردُّ الشَّيخ على من تنقَّص علماء اليمن واحتقرهم

قال رحمه الله- : ومِمَّا أُنَبِّه عليه اللَّيلة، وقد تقدَّم الكلام عليها ضمن المقولة الَّتي يقولها بعض الإخوة هداهُم الله إنَّ عُلماء اليمن لا يصلُحُون للفتوى في النَّوازِل هذهِ مقولَةٌ قال بها بعض الإخوة، وأنا أعتبر هذه المقولة خطأ، وهذِهِ المقولة أرادوا تنزيلها على الأحداث الَّتي حصلت في اليمن من هذِهِ الحُرُوب، وهذِهِ الفِتَن لَمَّا أفتى عُلماء اليمن بما أفتوا بِهِ تجرَّأ بعضهم، وقال عُلماء اليمن لا يَصلُحون للفتوى في النَّوازِل ما هي النَّوازِل ؟ هذه الأحداث الَّتي حلَّت بِبلادِنا اليمنيَّة، وهذا خطأ.

وأنا أعتبر هذِهِ جُرأة من هؤلاء الطُّلَّاب هدانا اللهُ وإيَّاهُم؛ لأنَّ هذه العِبارة مطَّاطة، وهُم قد أفصحوا عن المُراد أنَّ عُلماء اليمن لا يَصلُحون للفتوى في النَّوازل يقصُدُون هذا الَّذي جرى في اليمن، وهذا أمرٌ لا يليق أنَّ طالب العلم يتسلَّط إلى هذه المرتبة الَّتي يحكُم فيها عَلى العُلماء، فالعالم هُوَ الَّذي يحكُم على الطَّالِب لا أنَّ الطَّالب هو الَّذي يحكم على العالم !! يقول الطالب أنت يا أيُّها العالم، لا تُفتِ في كذا، وتُفتي في كذا لو لم يَكُن عندنا إلَّا هذا الموقِف فقط، هل يليق بِطُلَّاب العلم أن يتحكَّموا على العلماء، وأن يُملُوا على العُلماء نحنُ نقول لهم أنتم تقولون هناك عُلماء في اليمن ؟ يقولون نعم نقول إنَّ هُناك عُلماء في اليمن، فإذا كان هؤلاء عُلماء ألا يَشمَلُهُم قول الله عزوجل: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي

ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : الآية ٨٣]. ألا يشمَلُهُم قول الله – ﷻ – : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل : الآية ٤٣].

يا إخواني الناس إذا لم يرجعوا إلى العُلماء تفسد أمورهم لكن إذا رجعوا إلى العُلَماء، وأحالوا الأُمُور إِلَيهم فإنَّهم في طريق السَّداد والخَير، وكم من فِتَن وأحداث حصلت في البِلاد اليَمنيَّة، ووفَّق الله –ﷻ– عُلماء أهل السنة في هذه البلاد بتوجيه الناس بِما يُخرجهم من الفِتَن.

والواقع أكبر شاهد العبرة بتمام النِّهايات لا بنقص البدايات، ومن علمائنا من قد جاوز السِّتِّين سنة كالشَّيخ الوصابي لهم مشايخهم، ولهم عُلماؤُهم، ولهم جهودهم في التأليف والدعوة والتعليم، والرعاية والعناية والتوجيه للمجتمع كانوا كالغيث في البلاد القفر.

نفع الله بهم العباد والبلاد، وحُفِظَت الدَّعوة بفضل الله –تبارك وتعالى–، فهل يا إخواني يليق بطالب العلم أن يُجاهر بهذا يقول لا يصلُح عُلماء اليمن للفتوى في النوازل ؟!! هل هذا يليق بطالب العلم ؟!! هذا معناهُ تجرئة للشَّباب على الافتئات على العُلماء إذن تحصُل مُشكلة في صنعاء في صعدة في عدن في لودر ما أكثر الفتن .....

الفِتَن الدَّاخليَّة والخارجيَّة يعني لا يرجع الشَّباب ويسترشدون إلى ما عند العُلماء، وعلى كلامهم أَنَّ العالم الَّذي هو من ورَّاث الأنبياء (العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء) كان الأنبياء يقومون بالتعليم والإرشاد والتوجيه والرِّعاية، والعُلماء هُم ورثَةُ الأنبياء على مقتضى

كلامهم أنَّ العالم من خلال مُعاشرته للمُجتمع، وما أعطاهُ الله من علمٍ وبصيرةٍ يرى الأحداث، ويرى الأُمُور تحصُل ويرى أنَّ السَّلامة للمُجتمع في الشَّيء الفُلاني، أو أنَّ الأنفع للمُجتمع في التَّوجيه للأمر الفُلاني على مقتضى كلام هؤلاء أنَّ العالم لا يجوز لهُ أن يتكلَّم؛ لأنَّهُ لا يصلُح للفتوى في النَّوازل، وإنَّما يُفتي بها الكبار من أهل العلم، ثُمَّ في الوقت نفسه قد يُفتي في هذه القضايا من هو أقلّ سِنًّا منهم، أومن بعضهم أمَّا من حيث العلم وحقيقته، فأنا أتحرَّج أن أعمل مُقارنة نعم الآباء الكبار هذا معروف لكن يأتي من خارج هذه البِلاد من يُفتي؛ فيُقال ما شاء الله، ومثل آبائنا في هذه البِلاد اليَمَنيَّة يحجر عليهم، ويُمنعون من الفتوى على مُقتضى كلامهم في الأُمُور النَّازلة.

يا إخواني، على هؤلاء الإخوة أن يتَّقوا الله -ﷻ- ليس هذا راجعاً إلى طُلَّاب العلم هذا بابٌ واسع حتَّى جرَّأ الشَّباب الآن إلى أن تُنقل لهم فتاوى أهل العلم من أهل اليمن، فإمَّا أن يُشير بِلِسانِه، أو يُشير بيدِهِ، أو يتكلَّم بِلِسانِه أنَّ هؤلاء لا يصلُحُون، فترجع المسألة إلى ما يُدندن به هذه الطَّائفة أنَّهُ لا عُلماء يتدخَّلون في هذه الأشياء إنَّما مجالسُهُم التعليم والإصلاح في بعض الأشياء أمَّا هذه الأشياء فوق مستواهُم قال -ﷺ- : «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

هل هذه الكلمة جاءت عن عجلة وتريُّث أم جاءت عن اقتناع بأنَّ هؤلاء العُلماء لا يَصلُحون للفتوى في النَّوازِل ؟ أيش النَّوازل ؟ هذه الأحداث في البلاد اليَمنيَّة .... أنا أُطالِبهم من الَّذي حكم بهذا الحُكم أنَّ عُلماء اليمن لا يصلُحون في الفتوى في

النَّوازِل ؟ من الَّذي حَكَمَ بهذا الحُكم على عُلَماء اليمن ؟ من الَّذي حكم ؟ هل هُم العُلماء ؟ إن كان اجتهاد عالم؛ فيُقابل باجتهادِ عالمٍ آخر، فإنَّ الطالب أعرف الناس بِهِ هُوَ شَيخُه إن كان شيخُهُ عندهُ الأهلية والكفاءة؛ فهم أولى الناس بتجريحِه أو بتعديلِه، فيتناسى هؤلاء أنَّ الشَّيخ مُقبلاً -رحمه الله- كتب وصيَّة، وأوصى أهل اليمن إذا نَزَلَتْ بهم نازلة أن يجتمع لها أهلُ الحلِّ والعقد، فالشَّيخ مُقبل إمام الدَّعوة في هذه البِلاد اليَمنيَّة، وشُهرَتُه على مستوى العالم يحيل على هؤلاء العُلماء، ويرى فيهم الكفاءة والقُدرة والأهليَّة على إصلاح الأمور، فأنت أيُّها الطَّالب عندما تقول لا يصلُح علماء اليمن للفتوى في النَّوازل، والله هذه تُعتبر جِنايةً على العُلماء وافتِئاتاً عليهم، واعتداءً عليهم، وتجريئاً للشَّباب على العُلماء، والواقع أكبر شاهد الآن هُناك نبرة، وهُناك طريقة يسير عليها بعضُ الشَّباب بهذه الطَّريقة أنَّهُم لا يُبالون بِالعُلماء الموجودين في هذِهِ البلاد اليَمنيَّة، وهذا خطأ وهذا يُعتبر إعتداءً أنا أعتبر أنَّ هؤلاء الشَّباب يحتاجون إلى توبة، أو إن كانوا مُصرِّين أنَّنا نجلس جلسة مُحاققة حتَّى يُحَقَّ الحق ويزهق الباطل، أمَّا أن يتجرَّأ الطَّالب ليحكُم على العُلماء بأنَّهُم لا يصلُحُون، فما استزلهم وما جرَّهُم إلى هذا إلَّا الشَّيطان، ومن كان منهم صالحاً؛ فهو أخطأ في هذا إذا لم تكُن هُناك نوايا سيِّئة وفاسدة؛ فقد استزلَّهم الشَّيطان، والَّذين وُفِّقوا للدراسة على أهل العلم، والله يعرفون قدرهم وفضلهم ومكانتهم ...

وبعض الإخوة لم يصبر على التَّحصيل على أيدي هؤلاء العُلَماء؛ فيُدحرِجون الكلمات الكبيرة الَّتي والله في يوم من الأيَّام إن أنصفوا مع أنفسهم؛ لخجلوا كُلَّ الخجل ولاستَحيَوا كُلَّ الاستحياء على إطلاقهم مثل هذه العبارات الكبيرة الفضفاضة الَّتي يستغلها كثير من المُغرِضين، وكثير من الشَّباب النَّاشئ المُبتدئ ليفصلوا المُجتمع عن العُلماء ما هو الضَّابط يا فضيلة الشَّيخ، يا أيُّها الشَّاب الَّذي بَين أظهُرِنا ما هو الضَّابط أعطنا ضابِطاً ؟ واعمل بحثاً ما هي الأُمُور الَّتي يتدخَّل فيها العُلماء ؟ وما هي الأُمُور الَّتي هُناك خط أحمر لا يتجاوزونها ؟!! معنى أنَّك مجتهد عالم مجتهد وصلت إلى مرتبة عالية صِرتَ تحكُم على العُلماء لا تُكلِّمنا على مسائل الكويت والشِّيشان وسوريا وو ... كلِّمنا على ما يتعلَّق بالأحداث في المُجتمع اليمني...

ما هو ضَابِط النَّازلة عندك حتَّى تقول هذه نازلة أنتم لا تصلُحُون وهذا الشَّيء لا بأس وهذا الشَّيء توقَّفوا فيه ؟!! حصلت قضيَّة في صنعاء، أو مواجهات في تعز، أو حصلت قضيَّة في عدن، وحصلت أُمُور هُنا أو هُناك فِتَن ومُظاهرات، وقتل وقِتال يقول للعُلماء أنتم لا تتدخَّلوا في هذه الأشياء ماذا عسى أن يقول هذا سيتخبَّطون تخبُّط الأطفال؛ لأنَّهُم دخلوا في شيء لا يُحسِنونَهُ ...

والله بلغت الجُرأة ببعض الشَّباب إلى أن لا يقبلوا شيئاً، ويتَّخِذوا موقفاً من مشايخ اليمن وعُلماء اليمن، بل ومن مراكز أهل السُّنَّة في اليمن، هذا من العُقوق هذا من مُقابلة الإحسان بالإساءة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عدم مُقابلة

الإحسان بالإحسان يُعتبر من العُدوان أنت تُعتبر مُعتدياً قفزت في شيء لا تُحسِنُه، وإذا جلسة للمُحاققة وللمُناقشة ما تستطيع أن تُعبِّر، ثُمّ تتجرَّأ تتكلَّم بملء الفم بهذهِ الكلمة الَّتي أكبر منك، والَّتي لا يتولَّاها إلَّا العُلماء، والعلماء الكبار الأجِلَّاء لا يتكلَّمون بهذا الشَّيء، ولو فرض أنَّ أحدهم قال هذا، فيُقابل اجتهاد هذا العالم بعالمٍ مثله، أو أقل درجة، أو أرفع درجة، وهو الشَّيخ مُقبل عرف طُلَّابه وعرف دعوته، وقال إذا حصلت الأحداث في البِلاد اليَمنيَّة؛ فاجتمعوا لها وحُلُّوا قضاياها هذا لو فرض أنَّ من العُلماء الكبار من طعن في أهليَّة عُلماء اليمن في النَّوازل، فكيف ونحنُ لا نعلم بمثل هذا الشَّيء يا إخواني، اتقوا الله مثل هذهِ الأقوال الشَّاذَّة وهذهِ الجُرأة نسأل الله -تعالى- أن يُوفّق لتركها والابتعاد عنها هذا الشُّذُوذ هو الَّذي يُسبِّب الفِتَن هو الَّذي يُدخل الناس في متاهات.

والله العظيم إنَّ هذهِ المقولة تحتاج إلى توبة ... ولا يجوز لهم الإصرار على هذا القول إذا طعنت في أفراد المُسلمين حرام، فكيف بالعُلماء حين تقول لا يصلُحُون للفتوى في النَّوازل -أي الأحداث الَّتي في اليمن-، والله جريمة واعتداء وجناية أنا أقول لهؤلاء هدانا الله وإيَّاهُم أن يتَّقوا الله في إخراج مثل هذه العبارات، وأن يتوبوا إلى الله -تعالى-، وإذا شاوروا أنفسهم، وأخرجوا اعتذاراً هذا هو المطلوب، وإلَّا سيبقى هذا محسوباً عليهم. يا أخي نحنُ في أيَّام الفِتَن أيام الفِتن ما تدري ماذا يحصل في ليلنا فضلاً عن الغد إن كان العُلماء قد كُتِّفوا لا تتدخَّلوا في نوازل اليمن أنتم لا

تصلُحُون لهذا الشَّيء من الَّذي يتدخَّل ؟ من الَّذي يوجِّه الشَّباب ؟ من الَّذي يجلس مع الزَّائرين ؟ من الَّذي يقطع دابر الفِتَن ؟ من الَّذي ينصح للعوام ؟ العُلماء لا يتدخَّلوا في هذه الأشياء يفتح لهُ كتاباً في الطَّهارة، ويدرس وإذا جاءوا إلَيه، وقالوا حصل وحصل يقول أنا لستُ أهلاً لهذهِ الأشياء يتَّصِلون عليه من القرية الفُلانية الآن ستحصُل مواجهة بَين أهل الشَّر، وأهل فُلان، أو بَين كذا وكذا، فيقول نحنُ ما نتدخَّل حصل ما حصل لا نتدخَّل أما يتَّقُون الله -ﷻ- تكونون عَوناً للشَّيطان على دعوتِكُم، وعلى إخوانكم، وعلى عُلمائكم، ينبغي أن نُؤلِّف القُلُوب تجاه العُلماء هذا شرف للمُسلم أن يقول للمجتمع أن يقول للرِّجال للنساء للشَّباب للصِّغار الزموا غرز العُلماء، والتفُّوا حول العُلماء، والعالم يا أخي، يعرف قدر نفسه الشَّيء الَّذي يُحسن التكلُّم فيه سيتكلَّم، والشَّيء الَّذي يُشكل عليه يرجع إلى من هُوَ فَوقه. لست أنت الَّذي تتحكَّم على العالم تكلَّم في هذا ولا تتكلَّم في هذا. هذا لا يجوز أن تتحكَّم على العالم، والعالم قد يرى أنَّ هذا واجب عليه أن ينصح للأُمَّة؛ لأنَّ الله سيسأله يوم القيامة عن عِلمه ماذا عَمِلَ فيه ؟ رأيت بعينك وسمعت بأذنك، وشَهِدت بنفسك أُموراً، وأنت تعلم أنَّ هذا الطَّريق يُؤدِّي إلى المهلكة، وأنَّ هذا الطَّريق يُؤدِّي إلى الخير والسَّلامة، فلماذا لم تنطِق بالحق ؟ لماذا لم توجِّه الأُمَّة، وهم يسألونك ؟ وهم يرجعون إلَيك يقولون لا لا تتكلَّم ؟ ... أنا أنصح إخواني أن يتلقَّوا هذه النَّصائح، وبدون

مُغالطة أسأل الله أن يجعلنا مفاتيح خير لا مفاتيح شر، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على نَبيِّنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.

وصيَّة الشيخ -رحمه الله- لأهل السُّنَّة

ممَّا ذكر شيخنا -رحمه الله- في وصيَّته هذه لأهل السُّنَّة أن قال : المحبَّة في الله يا إخواني، من أجلِّ النِّعم الَّتي ذكَّرنا الله -سبحانه وتعالى- بها في كتابه الكريم، فقال جل وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران : من الآية ١٠٣]، فأصبحتم يا معشر الصحابة، وأصبحتم يا من جاء بعدهم من أهل الإسلام أصبحتم بنعمته إخواناً المهاجري مع الأنصاري، والقرشي مع الثَّقفي، والثَّقفي مع الأنصاري، واليمني مع الحجازي، والشَّامي مع النَّجدي، وصاحب الشرق من أهل الإسلام مع صاحب الغرب، فأصبحتم بنعمته إخواناً، فنحمد الله -تبارك وتعالى- على هذه النعمة، ونسأل الله -تبارك وتعالى- أن يُديم علينا هذا الخير، وأن تكون الأُخُوَّة فيما بيننا لله وفيه -تبارك وتعالى- الَّذي جمعنا هو هذا الدِّين، والَّذي جمعنا هي هذه السُّنَّة، والَّذي جمعنا هي هذه الدَّعوة ليست عندنا ولاءات ولا براءات ضيِّقة، وإنَّما في الإسلام والسُّنَّة، فهذهِ نعمة عظيمة، وممَّا يذهب هذه الرَّابطة، ويُبيد هذه العلاقة القويَّة الإيمانيَّة البِدَع والأهواء والتَّحزُّبات سبحان الله تكون الجماعة الواحدة على قلب رجل واحد على

القُرآن والسُّنَّة، فإذا تحزَّب بعضهم تشرذموا وتقطَّعوا وتفرَّقوا وتمزَّقوا، وشمت بهم أعداؤُهم، فلنحذر جميعاً إخواني في الله أن نقع في هذا التحزُّب الَّذي يُعتبر مُبيداً للإخاء مبيداً للمحبَّة، مُبيداً للترابُط، والتواصل في الله، ومن أجل الله، فما دام أهل السُّنة على القُرآن والسُّنَّة، وحذروا على أنفسهم من المعاصي والذُّنُوب، فالله -ﷻ- يبقي لهم هذه النِّعمة، ويُديم عليهم هذه النِّعمة نِعمة الأُخُوَّة لكن إذا دبَّت المعاصي، فهي سبب رئيس في حُصُول التفرُّق والشَّحناء قال الله -ﷻ- في شأن النصارى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[المائدة : من الآية ١٤].

فأخبر -ﷻ- أن سبَّب حُصُول الشَّحناء والبغضاء في صُفُوف النَّصارى هو تركهم الشَّيء الَّذي أُمِرُوا بِهِ؛ فلمَّا فعلوا ذلك غاير الله، وباعد بين قلوبهم، وقال نبيُّنا محمد -ﷺ- في الحديث الَّذي يُقويّهِ بعض عُلمائنا المُعاصرين كالعلَّامة الألباني -رحمه الله- : «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي الله فيفرّق بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا» توادَّ من المودَّة، فالله الله إخواني في الله في المُحافظة على هذه الأُخُوَّة، ودعوة الناس إلى الدُّخُول في هذه الدَّعوة نحرص في أُسرنا وتعاملنا مع إخواننا، ومع الآخرين على الحفاظ على هذه النِّعمة، وعلى هذه الرَّابطة الَّتي تبقى وتدوم يوم القيامة يوم تنفصل العُرى، وتنقطع الصِّلات ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرف : ٦٧].

مع كثرة الفِتَن الَّتي تنزل بالمُسلمين، والله يا إخواني، إنَّ الأخ ليفرح بأخيه السُّنِّي الَّذي استقام على الكتاب والسُّنَّة، وإنَّ لهُ من المحبَّة والأُنس، والمحبَّة والفرح أصحاب اللُّحى كثير في المُجتمع اذهب إلى الحج، وإلى العُمرة تَجِد أُمَماً عندهُم اللّحى، والثِّياب والمسواك لكن تجِد هذا قبوري، وهذا تبليغي، وهذا حِزبي، وهذا على طرق من طُرُق الصُّوفيَّة، وهذا وهذا .... إلخ.

فوجود الأخ السُّنِّي الَّذي التزم بالقُرآن والسُّنَّة على منهج سلف الأُمَّة ليس بينك وبَينَهُ رابطة إلَّا رابطة الدِّين، والله هذه نعمة هذه نعمة سواء كان الأخ مصريًّا أو شاميًّا، أو تُركيًّا أو أعجميًّا، أو عربيًّا أو يمنيًّا، أو سودانيًّا أو صُوماليًّا، أو إفريقيًّا أو آسيوِيًّا طالما يدين بالقُرآن والسُّنَّة على منهج سلف الأُمَّة هذا يُعتبر كالذَّهب، فاحرصوا إخواني في الله على الحفاظ على إخوانكم وأبنائكم، وعلى تقوية هذه الرَّابطة، وعلى السَّعي بفعل أسباب الطَّاعة في دوام هذه النِّعمة، ((وَأَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ...)) هذا الخطاب لمن إنَّهُ للنَّبِيِّ -ﷺ- : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[الأنفال : ٦٢-٦٣]، وهكذا يمتَنُّ ربُّنا -تبارك وتعالى- على أصحاب نَبِيِّه -ﷺ- أنَّه -تعالى- هو الَّذي ألَّف بينهم، وهكذا يا إخواني، والله علينا أن نشعر من قرارة قُلُوبنا بعظيم هذه النِّعمة لا سيِّما في زمن الفتن ليس يعني يقول الواحد منَّا نحنُ هذه المجموعة نترابط ونتآخى ولا يدخُل معنا أحد

نحن مثلاً ألف يكفي لا يدخل أحد لا لا بل نُريد الألف يزيد ألفين، والألفَين يصيرون عشرة وعشرين ألفاً، وهذا يكون بالشَّفقَة والرَّحمة الَّذي هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة، ولهذا المشاكل الَّتي تحصُل بين أهل السُّنَّة والجماعة ممَّا يُدمي القلب يحصل من الألم والحسرة والوحشة والضِّيق ما اللهُ به عليم حينما يكون الاختلاف بين أهل المنهج الواحد العقيدة واحدة، والمنهج واحد، والسَّير واحد، والمرجعيَّة واحدة، والأُصُول والثَّوابت كُلُّها واحدة فلماذا يختلف أهل المنهج الواحد؟ من المُستَفيد بمثل هذا الخلاف؟ لابُدَّ يا إخواني أن نستَيقِظ، وأنا أُخبركم أنَّ هذا هو الَّذي عليه إخواني هُنا في الفُيُوش أنَّ كلّ من اختلف معنا، وكان على الكتاب والسُّنَّة وعلى منهج سلف الأُمَّة أنَّنا والله نفرح بأن نصطلح معه لكن الصُّلح لا يكون على حساب هدم شيء، أو التَّنازُل عن شيء لا يُمكن التنازُل عنهُ، لا بل يكون الصُّلح بالعدل منهج واحد ودعوة واحدة؛ فحرامٌ حرام أن يستمر هذا التمزُّق، وهذه الفُرقة يا أخي أيش الَّذي بَيننا ؟ لا بَيننا مال اختلفنا عليه، وهذا من فضل الله أحياناً المال يُفرِّق بَين الأشقَّاء فُرقة أبديَّة حتَّى الممات.

وليس بيننا وبينهم خلاف على دم إنَّما أشياء تراشُق بالتُّهَم وبغي هذا يبغي على هذا لكن حقيقة حتَّى وإن حصل تجاوُز من أحد الطَّرفين لابُدَّ من التَّنازُل، ولابُدَّ من المُسامحة نحنُ على منهج واحد لابُدَّ أن نُبادر إلى جمع الكلمة، ورأبِ الصَّدع، والتَّعاوُن على البِرِّ والتقوى، والمُجتمع في أشدّ اللَّهفة والانتظار لِدُعاة أهل السُّنَّة ليأخذوا بيديه

ويُوجِّهوه ويُعينوهُ، ويُعلِّمُوه ويُفقِّهُوه، فإذا استمرَّت الفُرقة بَين أهل السُّنَّة معناهُ أنَّ أوقاتنا وأنَّ جُهُودنا تُصبح لصالح الصِّراعات الدَّاخليَّة، والله يا إخواني، هذه من المصائب ... ما أحسن طالب العلم يُصبح من الصَّباح الباكر، وقد أخذ كتاب الله - تبارك وتعالى- يقرأ ما تيسَّر ويحفظ ما تيسَّر من القُرآن، ويحفظ ما تَيسَّر من أحاديث رسول الله -ﷺ-، يأتي وقت الإفطار فأفطر، ثُمَّ أقبل لِمُذاكرة العُلُوم، وتلقِّي العُلُوم الشَّرعية، ويرجع إلى كُتُبِه وإلى دُرُوسِه إلى اللَّيل، ويأتي اللَّيل وقلبه صافٍ قد حصَّل خيراً كثيراً من صباحِه إلى مسائِه لكن لو انشغل أهل السُّنَّة بعضهم ببعض معناهُ أنَّ أوقاتاً كثيرة تُقطع من أوقاتنا الثَّمينة في مُتابعة الأحداث، والرُّدود الجديدة، وهذه والله مُصيبة هذه مُصيبة، وأخشى أن تكون بسبب ذُنُوبنا؛ لأنَّ الله -تعالى- يقول : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشُّورى : الآية ٣٠].

حينما يكون طالب العلم من صباحه إلى مسائِهِ يكون منشغلاً بالعلم، ثُمَّ فجأة يقتطع جزءاً من وقته الثَّمين في مُتابعة هذه المشاكل، وهذه الرُّدود يا ليتها مع أهل البِدَع لكانت الأوقات في سبيل الله مُحتسبة لكن بين أهل السُّنَّة أهل المنهج الواحد هذه مُصيبة؛ فجزى الله خيراً من سعى في الصُّلح بين أهل السُّنَّة على الأُسس القويمة وبالعدل الَّذي بِهِ قامت السماوات والأرض، وبدون اشتراط أنا أصطلح معك بشرط أن تتبرَّأ من هذا الأخ إذا كان هذا الأخ سُنِّيًّا أنا لا يجوز أن أتبرَّأ منهُ لماذا أتبرَّأ منهُ للَونِه أو لِجنسِه أو لِبَلَدِه أو لِقَبيلَتِه، إن كان هناك ما يستوجب الولاء والبراء لهذا كان بها أمَّا

وهو على المنهج على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسوله -ﷺ-؛ فلا يُشترط لا أصطلح معك حتَّى تُفارِق فُلاناً، أو هؤلاء المجموعة، لا بل نكون جميعاً إخوة في الله -تعالى-، ولا تسأل يا أخي عن الخيرات الَّتي تحصُل بسبب الاجتماع تطيبُ النُّفُوس، ويَثِقُ النَّاس، وتنطلق الدَّعوة.

بدل ما نجلس نتصارع نهدأ ونصطلح، وننقُل خيراً إلى الآخرين الَّذين يأتون من المُدُن والبوادي، ومن رؤوس الجبال من الأماكن النَّائية يتمَّنون أن يزورهم طالب علم، ولو كان متوسِّطاً أو صغيراً، عندهم من الأسئلة والمشاكل، وعندهم من المُعاناة والصِّراعات، وعندهم وعندهم، يا أخي، من يأخذ على أيدي هؤلاء ؟ ومن يزور هؤلاء؟ ومن يُعلِّم هؤلاء ؟ ومن يُفقِّه هؤلاء، ومن يَشدُّ من عَضُد هؤلاء ؟ الَّذين أحبُّوا كتاب الله وسُنَّة رسوله -ﷺ-. وأهل الحق الخُلَّص من طُلَّاب العلم، ونقاوة المُجتمع ابتلوا بمحاربة بعضهم لبعض هذه من أعظم المصائب الَّتي أُصيبت بها دعوة أهل السُّنَّة شرقاً وغرباً والله المشاكل الدَّاخليَّة هذه تفتك بالدَّعوة أعظم من العدوِّ الخارجي.

... فأدعو نفسي وإخواني والدُّعاة إلى الله، والقادرين على السَّعي في جمع كلمة أهل السُّنَّة أنَّنا نبذل ما نستطيع من جُهود إلى جمع كلمة أهل السُّنَّة لا نفعل ذلك خوفاً ولا طمعاً، ولا رهبة ولا تزلُّفاً، ولكن نفعل ذلك ابتغاء ما عند الله -ﷻ- لا سيَّما إذا كانت الفِتَن في أوَّلها، فإن شاء الله يُرجى أن تجتمع الكلمة لكن لو قطعت شوطاً

طويلاً؛ فلا يبقى إلَّا القاعدة المعروفة عنزة ولو طارت اختلف اثنان رأوا شبحاً بعيداً قال أحدهما : هذا طير، وقال الآخر هذا عنز، فلمَّا قربوا إلى هذا الشَّبح طار قال الأول ألم أقُل لك إنَّ هذا طير ؟ فقال لهُ الثَّاني هذا عنز ولو طار، يعني مُصر على قوله يعني من العُنُوز ما يطير لا لكن هذا من الإصرار، فلو تأخرت الفتنة سنصير إلى وقت معناهُ كل واحد يُريد أن يخرج الثاني بأيِّ حجة كانت، فالله الله أنا أدعو نفسي وإخواني ممَّن يُحب هذه الدَّعوة أنَّنا نحرص على جمع الكلمة لكن ليس بطريق المُراوغة والمكر أو الكذب، أو التنازُلات عن أُمُور لا يجوز التَّنازُل عنها.

فيا أخي، كتاب الله وسُنَّة رسوله -ﷺ- المرجعيَّة، وعندنا عُلماء هُم المرجعيَّة يقول الله -تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[النساء : الآية ٥٩].

إذا مات الرَّسُول -ﷺ-، فلهُ ورثة، وهم حملة العلم، وأهل العلم الَّذين يحملون علم القُرآن والسُّنَّة، والَّذين تبصَّروا بالقُرآن والسُّنَّة ممكن أن ينظر إلى مجموعة من علماء السُّنَّة لينظروا الخلافات الَّتي دبَّت بين أهل السُّنَّة، ويُعالجوها بالطُّرُق الشَّرعيَّة، ويُكفى المُسلمون الشُّرُور العظيمة.

تُحال القضيَّة إلى علماء من علماء أهل السُّنَّة، وينظرون ولا يكون هناك تحييز كما نسمع من بعض طُلَّاب العلم من الخطأ أن تقول أنا مرجعيَّتي فلان وفلان، وأنا أقول فلان وفلان والطَّائفة الثانية تقول لا المرجعيَّة فُلان وفُلان.

يا أخي، مرجعيَّة أهل السُّنَّة عُلماء أهل السُّنَّة لا أنت تختار ولا أنا أختار، وكل واحد يذهب إلى من يميل إِلَيه، أو من لهُ بِهِ علاقة، عُلماء أهل السُّنَّة ينظرون في هذه القضايا ويحكمون فيها بما علَّمهم الله -ﷻ-، ونقطع دابر الفتنة، وتنطلق دعوتنا، ونتعاون على الخير على البِرِّ والتقوى، وأنا مُتأكِّد أنَّ أمل الجميع بدون استثناء أن تجتمع الكلمة على الحق، ولو كان المُناوئ عدداً قليلاً، وأقلّ من الكثرة لكن العبرة ليست بالكثرة، ولا نغتر أنَّ الكثرة في جانب، وأنَّ القِلَّة في جانب ليست هذه نظرة شرعيَّة، ولو كان واحداً أو اثنين من أهل السُّنَّة، وليس هُناك ما يُوجب التَّنازُع حرام التفرُّق والاختلاف، والتَّنازُع والتحيّز، والولاء والبراء الضَّيِّق.

رسالة نصَحَ الشيخ رحمه الله بالإطِّلاع عليها

قال شيخنا عبدالرحمن -رحمه الله- : (أقول - والحمد لله - ما تأتي فتنة إلا وييسِّر الله بمن يدفع ويكشف الحقائق ويبيِّن الأمور ، وأعجبتني ملزمة أخرجها أحد الأخوة هذه الأيام أو ورقة بعنوان (ميزان الاعتبار في قولهم : نحن مع العلماء الكبار)... كاتبها : عابر سبيل. (١)

حقيقة : ورقات طحنت أهل الفتن ورقات يسيرات وما شاء الله كلام طيب يدفع شبهات أهل الفتن

الذين كثيرا ما يردِّدون : كبِّر كبِّر ، كن مع الأكابر وهم ليسوا على الجادة في الفتن !!

فأنصح من لم يطَّلع عليها بالاطِّلاع عليها فهي : مفيدة ورصينة وحقيقة طحن فيها أهل الفتن والشغب والله طحنهم ما شاء الله بكلمات يسيرات في انتسابهم إلى منهج كبار العلماء ومنهجهم براء من مثل هذه التصرفات) انتهى كلام الشيخ رحمه الله وغفر له.

---

(١) وكاتب هذه الرِّسالة أحد طُلَّاب العلم المعروفين عند الشيخ رحمه الله تعالى.

وإليك الرسالة المذكورة بعنوان:

ميزان الاعتبار في قولهم(نحن مع العلماء الكبار)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من والاه.

أما بعد: فكم سمعنا قديمًا وحديثًا، عبارة يردِّدها بعض الشباب المتحمِّس، عند نشوب الفتن، وحصول الاختلاف، والتنازع، ليبرِّروا موقفهم، ويثبتوا لمن حولهم أنهم على الحق المبين، فيقولون: ((نحن مع العلماء الكبار)).

ولنا مع هذه العبارة عدَّة وقفات:

الأولى : أن هذه العبارة من الكلمات المجملة التي تحتمل الحق وتحتمل الباطل

قال شيخ الإسلام :

((وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال، يوقع في الجهل، والضلال، والفتن، والخبال، والقيل، والقال)). منهاج السنة .(2/217)

(قال الشيخ عبيد الجابري حفظه الله عن هذه العبارة بعينها: هذه عبارةٌ مُجملة.

كما في موقع ميراث الأنبياء، قسم العقيدة والمنهج، فتوى بعنوان: مقولة (نحن مع العلماء الكبار) عند بعض الشباب وأحوال القائلين لها).

الثانية : أن الذي يحتج به عند النزاع هو الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس الصحيح،واختلفوا في قول الصحابي، وغيره، ولم يذكروا أن من الحجج المختلف فيها قول كبار العلماء، فالإحتجاج به ولو عمليا، خروج عما قرره أهل العلم.(وقد ذكر الشيخ ربيع حفظه الله في تعليقه على بعض أعمال الحدادية (ص 17) : أن كبار العلماء غير معصومين وأن الشَرْع يرفض أخطاء كبار العلماء. وذكر في تعليقه على شرح السنة، للبربهاري أنه لا يحتج بقول العلماء، ولو كانوا من كبار العلماء، وذكر آثار السلف في هذا، والكتاب ليس بين يدي الآن حتى أذكر رقم الصفحة .)

الثالثة : أن تقسيم العلماء إلى كبار وصغار أمر نسبي، فمن قيل فيه إنه من الكبار، إذا قورن بأكبر منه يصبح من الصغار ،وهكذا بالعكس، ويمكن أن نضيف مرتبة ثالثة متوسطة بينهما،فهل يحتج بها أم لا محل خلاف! .(أي بين المردَّدين لهذه العبارة وعرفنا الخلاف من واقعهم العملي. قال الشيخ ربيع حفظه الله في رده على الكاتب المسمى بـ (يزن) في بيان أن وصف العالم أمر نسبي :(وقولي ليس بعالم هو أمر نسبي إذا قورن بكبار علماء الصحابة، والصحابة جميعا بما فيهم معاوية أعلم هذه الأمة وأفضلها وأعقلها) بل إن الشيخ عبيدا – حفظه الله – أنكر تقسيم العلماء، إلى كبار، وصغار أصلا،وعدَّه من التشكيك في علماء السنة والتزهيد فيهم وقال: فلا تلتفتوا لأمثال هذه

الكلمات، بل قولوا: علماء، طُلَّاب علم، حتى العلماء الكبار يقولون لأنفسهم طُلَّاب علم . انظر إتحاف البشر بشرح حديث حذيفة بن اليمان إنا كنا في جاهلية وشر. ص.18

وانظر لمزيد الفائدة مقال الشيخ محمد بازمول حفظه الله (هذا الشيخ ليس من العلماء الكبار!) ضمن كتابه عبارات موهمة ، بيَّن فيه أن أهل الباطل يرددون هذه العبارات لرد الحق الذي مع هؤلاء المشايخ ولصرف الناس عنهم والتزهيد فيهم ، وكان مما قال :أن كون القائل من العلماء الكبار لا يعني أن كل كلامه حق، وكذا كونه من المشايخ الذين لم يصلوا إلى درجة العلماء الكبار لا يعني أن كل كلامه باطل، وكما جاء عن الإمام مالك –رحمه الله–: "ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر"، فعاد الأمر إلى النظر في دليل هذا القائل ومدى موافقته للحق أو مخالفته. وقال أيضا :أن هذه الكلمة فيها تزهيد للناس في العلماء وتضييع لحقهم . وقال أيضا :ومنها : أن هذه الكلمة فيها إساءة أدب في حق العلماء. وقال أيضا : أن هذه الكلمة أصبحت من معاول الهدم . وقال أيضا : ومنها : أن الله عز وجل إنما أمر بالرجوع إلى أهل العلم بالكتاب والسنة (أهل الذكر) ولم يشترط أن يكونوا من المشهورين أو من العلماء الكبار، وبيَّن الشيخ أنهم غير صادقين في التعلُّق بالكبار ، بدليل ردهم لفتاوى كبار لم

توافق أهوائهم ويلتمسون في ردِّها المعاذير ، أقول : وهكذا ذكر الشيخ ربيع في تعليقه على بعض أعمال الحدادية (ص 17)، أن فالحا جعل كلام كبار العلماء صولجانا، يطارد به علماء السنة، ويخرجهم به من زمرة العلماء، فسبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة !.)

الرابعة : أنه يشم من هذه العبارة ريحة التعصب، الذي يخشى على أصحابه من التحزب.قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- :(ولقد زلَّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلُّوا عن سواء السبيل). الإعتصام (2/863) دار ابن عفان.

(والتعصب للأشخاص هو عين التحزُّب كما في نصيحة المشايخ عبيد والسحيمي لبعض العلماء وفق الله الجميع ص(. 4)

الخامسة : إذا انقسم الكبار فليس لدى الصغار على طريقتهم هذه إلا ثلاث طرق لا رابع لها إلا الحق : إما الميل لأحدهم، وترك الآخر، وهذا فيه إهمال للكبار، وإما ان يتركوا الجميع، وهذا أشنع، وإما أن يأخذوا بالجميع، وهذا من أعجب العجب!، وأترك الطريق الرابع لأهل الإنصاف.

دخولك في باب الهوى إن أردتَّه يسـير ولكنَّ الخروج عسـير!!

هذا من حيث التأصيل النظري، وأما من حيث النظر إلى واقع، وحال كثير من قائليها، فنلاحظ مايأتي:

أولا : نجدهم يطلقون لفظ العلماء الكبار، ويريدون به عالما،أوعالمين،أوثلاثة بالكثير.

فنقول لهم أولا: لقد حجَّرتم واسعًا. (قال الشيخ عبيد حفظه الله : الخامس (أي ممن يردد عبارة : نحن مع العلماء الكبار): عاميٌّ يريدُ بالعلماء صِنْفًا معيَّنًا من أهل زمانه هم على خير، لكن اختياره هذا خطأ، لأنه هضم من دونهم من أقرانهم وإخوانهم وأبنائهم مِمَّن يمكنه أن يَسْتَفْتِيَهم، وهم يصلحون للفتوى والتعليم، فهذا مُخْطِئ، مُخالفٌ هدْيَ السلف الصالح. انظر المرجع السابق في الوقفة الأولى.

بل إن الشيخ سلمه الله أنكر حصر وصف العلماء الكبار في الثلاثة الكبار (ابن باز والألباني والعثيمين) في فتوى نشرت في شبكة سحاب، فكيف بمن هم دونهم!.)

وثانيا : اطلاقهم هذا لا يخلو أن يكون دعوى لا يساعدها الواقع أو تجاهلا لقواعد العربية، أو جهلا عند بعضهم، أو لعل لهم عذرا لا نعلمه ، ف(أل) هنا تفيد العموم فتأمل! . يقولون أقوالاً ولا يثبتونها ..... وإن قيل هاتوا حقِّقوا لم يُحقِّقوا

ثالثا: إذا صَدَقوا في التعلّق بالكبار، فلماذا نراهم في أحيان ليست بالقليلة، وفي قضايا ليست باليسيرة، يغضُّون الطَّرف عن كلام من هو من الكبار بل ربما من كبار الكبار، بشهادة الكبار، فإذا أُحرجوا بكلامهم، قالو: لم يقرأ ، أو لبسَّوا عليه،أو لا يتابع الأحداث،أو ليس بمتخصِّص في الجرح، أو ...إلخ، من الأعذار، التي يصح أن يقال فيها: عذر أقبح من ذنب.

رابعا: نلاحظ عليهم الإنتقائية في كلام الكبار، الذين يتعلقون بهم، فضلا عن غيرهم، فربما أفتوا بوجوب الجهاد العيني، فلا يتحرك أكثرهم إلا كما قيل في المثل العسكري : مكانك سر، أو أفتوا بأنه لا يبقى عند فلان إلا مفتون، والقوم عن هذا غافلون أو متغافلون!! ولسان حالهم إنا هاهنا ماكثون، وبأي عذر معتذرون!!، فيا إخوتاه كونوا صادقين وإن كنتم مخطئين.

إذا لم توافق قولةٌ منك فعلةً ففي كل جزءٍ من حديثك تُفْضَحُ

أخيرًا : مازال في الجعبة المزيد، لكن هذا يكفي ويزيد، وكما يقول العالم الرباني، محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-: "طالب الحق يكفيه دليل وصاحب الهوى لايكفيه ألف دليل الجاهل يُعلَّم ... وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل".

فاللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه، واهدنا سواء السبيل .

الشيخ والدَّعوة إلى الله تعالى

إنَّ الدعوة إلى الله وظيفة الرُّسُل، وأجرها عظيم يقول النَّبي -ﷺ- لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في يومِ خَيبر : «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فيهِ، فَوَ اللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» متفق عليه .

أي خيرٌ لك من هذه الإبل العظيمة عند العرب.

ويكفي الدَّاعية إلى الله أنَّ لهُ مثل أجور من تَبِعَه لا ينقص ذلك من أُجُورهم شيئاً. قال النَّبي -ﷺ- : «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ؛ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواهُ مُسلم. وفي حديثٍ آخر في مُسلمٍ :

«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

والأدلَّة في هذا الباب العظيم كثيرة وكثيرة.

ولقد كان لِشَيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- الحظُّ الأوفر في هذا الباب العظيم، فلقد رزقه الله -تعالى- همَّة عظيمة في طلب العلم والعمل بِهِ، والدَّعوةِ إلَيه بداية من دار الحديث بِدمَّاج، فلقد كان الشَّيخ على ما بِهِ من أمراض يجول البلاد بالدَّعوة إلى الله -تعالى-، فكان يخرُج في قُرى صعدة، وفي المدينة نفسها، فقد كانت لهُ مُحاضرة في كُلِّ أسبوع في مدينة صعدة في مسجد جُمَيدة نفع الله بها نفعاً عظيماً، وأثَّرت في تلك

المُجتمعات، وكان يُشارك في المُحاضرة الأسبوعيَّة في جامع الخَير بصنعاء عندما يُطلب منهُ، وكان يُسافر إلى عمران وحجَّة والحُديدة، بل إلى كلّ محافظات اليمن والمُديريَّات، ولهُ فيها بصمة خير في باب الدَّعوة إلى الله -تعالى-، وكان إذا أُعلِنَت لهُ مُحاضرة في أيِّ مكان ترى الجُمُوع كالسَّيل الكبير لِحُضور مُحاضرات الشَّيخ، وفي بعض الأماكن تُعلن لهُ مُحاضرة في ساحة جانب المسجد، أو في مكانٍ واسع؛ لأنَّ المساجد رُبَّما لا تكفي لنصف الحُضُور، فإذا علم الناس أنَّ الشَّيخ سيأتي إلى بلَدِهِم أعدُّوا الأسئلة، وما يجري بينهم من نزاعات، وعندهم القناعة التَّامَّة بما أجابهم به الشيخ، أو حكم بينهم -رحمه الله-.

ومن دار الحديث بالفُيُوش مركز الشَّيخ -رحمه الله- في كُلِّ خميس ينطلق الطُّلَّاب دعوةً إلى الله -تعالى-؛ فتكون مُحاضرة في ليلة الجُمعة، ثُمَّ يخطبون الجُمُعة، ويرجعون إلى المركز، ورُبَّما كانت كذلك مُحاضرة في هذه اللَّيلة، وهُم في الطَّريق في رُجُوعهم إلى المركز؛ ليُصبحوا في يوم السَّبت على دُرُوسهم وحلقاتِهِم بِكُلِّ حيويَّة ونشاط، فقد يصل من يخرج دعوة من المركز في يومي الخميس والجُمعة إلى خمسمائة داعية وخطيب، وأحياناً أكثر أو أقل على حسب الأمور، لكن هذا في الغالب، وقد يسَّر الله بمن أعان طُلَّاب العلم في الدَّعوة إلى الله بِسيَّارات وبنفقة الطَّريق من بعض الخَيِّرين أسأل الله أن يُبارك لهم في أموالهم وأهليهِم، وأن يجزيهم بما يصنعون خير الجزاء، فلو ترى كم

حصل من الخير العظيم بهذه الدَّعوة المُباركة؛ فتجد صوت الدُّعاة في رؤوس الجبال، وفي بُطُون الأودية، وفي المُدُن والحارات.

وفي شتَّى بلاد اليمن دعوةٌ مُباركة تُؤتي أُكُلَها كل حين بإذن ربِّها، ومن أعظم أسباب الدَّعوة إلى الله -تعالى- إنشاء مراكز علميَّة سلفيَّة، وقد تسبَّب الشَّيخ في هذا المركز المُبارك، وجعل الله فيه الخير على يديه، فتبدأ الدُّرُوس بجدّ واجتهاد، وحلقات التَّحفيظ من بداية العام، ثُمَّ في منتصف العام جعل الشَّيخ -رحمه الله- إجازة من شهر إلى عشرين يوماً للطُّلَّاب وللمُدرِّسين، وليس في الإجازة الجُلُوس والفُسحة والرَّاحة كلا، بل إذا فرغتَ فانصَب، وإلى ربِّك فارغب ففي أوقات الإجازة هذه يخرج المشايخ والدُّعاة من طُلَّاب العلم فيتوزَّعون في المُدُن والقُرى دعوةً إلى الله -تعالى-، ورُبَّما فُتِحَت دورة علميَّة مُصغَّرة تُدرَّس فيها بعض المُتُون في التَّوحيد وغيره على حسب ما تقتَضيه الحاجة، ففي وقت قتل الشَّيخ -رحمه الله- في هذهِ الإجازة الدَّعَويَّة كان بعض طُلَّابه وكثير من المشايخ والدُّعاة خارج الدَّار دعوةً إلى الله -تعالى-، فبعضُهُم في المهرة، وبعضُهُم كان في حضرموت، وفي عِدَّة أماكن لنشر الدَّعوةِ إلى الله -تعالى- بتوجيه وإشراف الشَّيخ عبد الرحمن عليه -رحمةُ الله تعالى-، ثُمَّ بعد هذه الإجازة الدَّعَويَّة تستمر الدُّرُوس وحلقات الحفظ والتَّعليم إلى بدء شعبان، وأحياناً إلى نصفه، ثُمَّ يخرج الكثير من المشايخ والدُّعاة إلى شتَّى البلاد دعوةً إلى الله -تعالى- لِمُدَّة شعبان ورمضان، فالَّذين يخرجون في شعبان، هذا ليبدأوا تعليم النَّاس أحكام الصِّيام وما

يتعلَّق بِهِ، ويُرغِّبون النَّاس في الإقبال على الله في هذا الشهر العظيم المُبارك، ثُمَّ إذا دخل رمضان كانت الدعوة المُباركة أنشط بكثير، فيُصَلُّون بالنَّاس التَّراويح، ويجدُّون في العشر الأواخر، وفي القيام ولهم من المحبَّة العظيمة في قُلُوب الخواص والعوام، فإذا انتهى شهر رمضان، فبعض طُلَّاب العلم يعود إلى المركز، وقد أثَّر في المكان الَّذي جلس فيه، وأجرى الله الخير على يَدَيه، فقد يُودِّعهم الدَّاعية، وهُم يبكون ولبقائه يتمَّنون.

والصِّنف الآخر من طُلَّاب الشَّيخ من الدُّعاة قد يرى المصلحة أن يبقى في هذه القرية الَّتي جلس فيها إلى الأَضحى، فلا تسأل عن الخير في هذا البقاء المُبارك، فبَين العيدين تُعقد الدَّورات العلميَّة في كثيرٍ من المُحافظات والمُديريَّات، وقد تكون في بعض المُحافظات خمس دورات علميَّة يُدرَّس فيها العلم الشَّرعي، وكثير ممَّن يحضر في هذه الدَّورات العلميَّة بعد انتهائها ينتقلون إلى المراكز العلميَّة ليواصلوا الطَّلب، فلو ترى كم هدى الله بها من ضال، وكم تعلَّم فيها من جاهل، وكم حصل فيها من النَّفع العظيم، والشَّيخ عبد الرحمن شريك بإذن الله في هذا الأجر العظيم.

كان شيخنا -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُشجِّع طُلَّاب العلم على الاستمرار والصَّبر والثَّبات في الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في المساجد وخاصَّة الَّذي هو إمام مسجد أو لهُ نفعٌ عظيم في بلادِهِ في جانب الدَّعوة إلى الله -تعالى-، ونشر السُّنَّة والصُّلح بَين النَّاس، وفي يومٍ من الأيَّام كان الشَّيخ يُدرِّس، فرأى بعض الإخوة من أئمَّة المساجد والدُّعاة إلى الله من اتِّجاه

مُديريَّة لودر، وقد حصل في ذلك الوقت أنَّ الإخوة الدُّعاة من لودر وحواليها استغلُّوا وجود المركز، وتدريس الشَّيخ، فرحلوا إلَيه لطلب العلم الشَّرعي، فقال الشَّيخ -رحمه الله- ما لكم يا أهل لودر من يبقى للنَّاس يدعوهم ويُعلِّمُهُم ؟ فكان كثيراً ما ينصح بالاهتمام بجانب الدَّعوة إلى الله من غير إهمال لجانب العلم الشَّرعي، وكان يرى أنَّ من بركة العلم تبليغه وتعليمَهُ للنَّاس، وكان يقول أنفِق يُنفَق عليك هذا عامٌّ في المال، وفي العلم؛ فكُلَّما أنفقتَ من علمك، وعلَّمتَ بارك الله لك في عِلمِك. قال الشَّيخ محمود العدني -حفظه الله تعالى- قُلتُ للشيخ عِدَّة مرَّات سأترُك المسجد، وأطلب العلم العمر يَمُر يا شيخ، فكان -رحمه الله- يُصبِّرني، وفي كُلِّ فترة أرجع إلَيه لهذا الأمر، فيُصبِّرني، ثُمَّ قال لي ألم يقُل الله -تعالى- : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت : ٣٣]. قال فيزيدني نشاطاً في الدَّعوة إلى الله، وكان دائماً يقول لي : ادعُ إلى الله بدون تكلُّف لا تتكلَّف بل بما فتح الله عليك.اهـ

وبالفعل فقد كان الشَّيخ -رحمه الله- لا يتكلَّف في دعوتِه، فتجِدهُ يتكلَّم بما فتح الله عليه، فيجعل الله -تعالى- لكلامِه القبول والمحبَّة في قُلُوب العباد.

وكان يحرص في دعوته ودُرُوسه إلى إيصال الفائدة إلى جميع الحُضُور بجميع مستوياتهم قال الشَّيخ بشَّار العدني حفظه الله تعالى : قبل أن يُقتل الشَّيخ بأيَّام تشاورنا معه في أن يفتح درساً في كتاب فتح المجيد، وقُلتُ لهُ : يا شيخ، فيه فوائد جامعة لِعِدَّة مسائل؛ فأعجب وقال متى الوقت المُناسب ؟ قُلتُ لهُ : بين مغرب وعشاء، فقال لي

درس المغرب يحضُره كثير من العوام؛ فأحب أن يكون درساً قريباً إلى أذهان الجميع كشرح مسلم مثلاً.

إلى ماذا يدعو الشيخ

إنَّ الَّذي حضر للشَّيخ في دعوته إلى الله -تعالى- يجد أنَّ أكثر دعوة الشيخ إلى التوحيد، والحذر من الشرك، وإلى التَّمسُّك بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، والحذر من البِدَع والأهواء، وكان يُحذِّر في دعوتِه من الحزبيَّة والاختلاف أشدَّ التحذير، وكان في دعوته يرى أنَّهُ لابُدَّ من زرع الثِّقة في قُلُوب طُلَّاب العلم والعامَّة بِعُلمائهم، وأنَّ عُلماء أهل السُّنَّة هم المرجعيَّة لأهل السُّنَّة في كلِّ الاختلافات.

وكان يدعو إلى طلب العلم الشرعي والاجتهاد فيه، ويرى أنَّ الدَّعوة لا تكون إلَّا بعلم فيما يدعو إِلَيه.

وكان يرى أنَّ كثرة العلم ليس شرطاً في الدَّعوة إلى الله، ولكن ليُنفق ذو سعةٍ من سَعَتِه.

وكان في دعوتِه يدعو إلى الاجتماع، ونبذ الفُرقة والاختلاف خاصَّة بين أهل السُّنَّة الجماعة.

وكان يُذكِّر الناس بِنِعَم الله وآلائِه، ويُحذِّرهم من كُفران النِّعَم، وكان يُكثر في دعوته من التَّحذير من انتشار المُنكرات، وأنَّها سبب العُقُوبة، وهلاك الدِّيار.

وكان في دعوتِه يدعو إلى ما تقتضيه الحاجة والزَّمان والمكان، وكان في دعوتِهِ حكيماً يضع الأمور في مواضعها.

وكان رحيماً بمن يدعُوهُ، وكان يستخدم أطيب الكلام، وأعذب الألفاظ، وإن حذَّر من بعض المُخطِئين يقول هدانا الله وإيَّاه، وأذكر أنِّي كُنتُ مرَّةً في درسه فرُفِعَت لهُ ورقة فيها أنَّ فُلاناً من السَّاكِنين في المركز خرج مخزِّناً[1] أمام النَّاس؛ فتغيَّر وجه الشَّيخ، وقال إنَّا لله وإنَّا إلَيه راجعون، كيف وصل ببعض النَّاس حتَّى يُجاهر .... ثُمَّ تكلَّم بكلامٍ حول المعاصي، وقال في آخر الكلمة والله لأن عاد لمثلها (في هذه اللَّحظة قُلتُ سيدعو عليه، أو يقول لأطرُدنَّهُ من بين أظهُرِنا لكن تفاجأنا بقولِهِ : لَإِن عاد لأذهبنَّ لهُ زيارةً إلى بَيتِهِ ولأنصحنَّهُ، فإن عاد كرَّرنَا لهُ الزِّيارة والنَّصيحة ...). فكلَّمني بعض الإخوة أنَّ الخبر وصل إلى هذا الرَّجُل فقال لا يأتي إِلَيَّ الشَّيخ، ووالله لن أعود لمثلها، وذلك لِمَا جُعِلَ للشَّيخ من هَيبةٍ في قُلُوب النَّاس.

وكان -رحمه الله- يَحُثُّ طُلَّابَهُ على الدَّعوة إلى الله، ويقول العوام كالورقة البيضاء لمن سبق إلَيهم.

---

(١) أي يأكل شجرة القات

الشيخ والاستشارة

الاستشارة : هي استخراج الرَّأي من الآخرين قال الله -جلَّ وعلا- : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران : ١٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (لا غِنى لوليِّ الأمر عن المشاورة، فإنَّ الله -تعالى- أمر بِها نَبِيَّهُ -صلى الله عليه وسلم- فقال : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾، وقد قيل إنَّ الله أمر بها نبيَّهُ لتأليف قُلُوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج منهم الرَّأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحُرُوب والأُمُور الجُزئيَّة. مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٨٦)

وقال النَّووي -رحمه الله- : ((إذا أمر الله بها نَبِيَّهُ -صلى الله عليه وسلم- مع أنَّهُ أكمل الخلق فما الظَّن بِغَيرِه ؟)). الأذكار للنووي ط ابن حزم (ص: ٥١٨)

وقد مدح الله -تعالى- من عمل بها في جميع أُمُورِهِ، فقال -تعالى- : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى : ٣٨].

وقد أُثِرَ عنِ الحسن أنَّهُ قال : والله ما استشار قَومٌ قط إلَّا هُدُوا لأفضل ما بِحَضرَتِهم، ثُمَّ تلا : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾.

وقال بعض الحُكماء : نصف رأيك مع أخيك، فشاورهُ يكمُل لك الرَّأي.

ولهذا كان شيخنا -رحمه الله- لا يكاد يعزِم على أمر سواء كان دينيًّا أم دُنيَويًّا أم دعويًّا إلَّا استشار فيه، ومن تواضُعِه وأدبِهِ -رحمه الله- أنَّهُ رُبَّما طرح الأمر في الدَّرس العام، ثُمَّ يقول ما رأيكم يا إخوة ؟ من كان عندَهُ رأيٌ فليُفِدنا بِهِ، وخاصَّة في الأمور العامَّة، فرُبَّما عزم على أمر، فرأى غيرهُ من إخوانِه وطُلَّابِه عكس ما يُريد؛ فيتنازل عن قرارِه ورغبَتِه، ويرجع لقول إخوانِه، وقد ذكرتُ من ذلك أنَّهُ تكلَّم في الدَّرس، واستشار الإخوة بأنَّهُ عازمٌ على وضع استمارات لكل طالب علم في المركز، كم درس ؟ وماذا يدرس ؟ وماذا يحفظ ؟ ليعلم مستواهُ العلمي، فكان رأي بعض الإخوة أنَّ في هذا شيئاً من الإحراج خاصَّة الإخوة الكبار؛ فترك الشَّيخ هذا الأمر.

وعندما أراد بعض الناس (هداهُم الله) بناء مسجد ومركز قريباً جدًّا من مركز الشَّيخ -رحمه الله- دعا الشَّيخ الآباء العُقلاء، والإخوة الفُضلاء وشاورهم في هذا الأمر، وكان الاجتماع في غُرفة الضِّيافة، وكُنتُ موجوداً، فقال الشيخ ما رأيُكم يا إخوة في هذا ؟ فأنا واحدٌ منكم، فكان رأي الشَّيخ أن قال ناصِحوهم، وأمر بالهُدوء ولين الكلام، وعدم إحداث أيِّ فتنة، وقال مستعدون نتحاكم معهم إلى العُلماء حيثُما أرادوا في اليمن، أو خارج اليمن ... إلخ.

وهكذا عندما أراد -رحمه الله- أن يفتح مركزاً علميًّا وهو في دمَّاج أخذ يستشير إخوانَهُ من طُلَّاب العلم، ثُمَّ أرسل الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي، والأخ الفاضل أبا

علي البيضاني لاستشارة العُلماء؛ فذهبا إلى الحُديدة إلى الشَّيخ الوصابي -رحمه الله-، ثُمَّ إلى معبر إلى الشَّيخ الإمام -حفظه الله تعالى-.

وكانت الإشارة أنَّ المراكز غذاء، فليفتح على بركة الله -تعالى-، وكان يستشير الوالد العلَّامة ربيعا المدخلي -حفظه الله تعالى- في كثيرٍ من الأمور إذا التقى به، عندما يذهب للحج أو للعُمرة فكُنَّا نسمعهُ يقول سألتُ في هذا الشَّيخ ربيعاً، أو قد استشرتُ الشَّيخ ربيعاً في هذا.

وفي يومٍ من الأيَّام أشار بعض الإخوة على الشَّيخ أن يجعل شهائد لطُلَّاب المركز خاصَّة بالمركز وتشجيعاً للطُّلَّاب وترتيباً للفُصُول (كما حدَّثني بذلك الأخ إبراهيم الصَّالحي أحد المُشرفين على الطُّلَّاب).

قال فقال الشيخ ننظر في الأمر ونتشاور مع الإخوة قال وبعد أيَّام جمع الشَّيخ بعض الإخوة الأفاضل، وكانت جلسة اختلفت فيها الآراء، فقال الشيخ قوموا، وترك هذا الأمر حتَّى سافر للحجِّ، فلمَّا رجع قال لهم دخلتُ على الشَّيخ ربيع -حفظه الله-، واستشرتُهُ هل نجعل شهادات للطُّلَّاب ؟ فقال الشيخ ربيع : أخشى عليهم من النِّيَّة لكن أنتم أعلم بأموركم. وكان الشَّيخ عبد الرحمن سافر إلى الحُديدة إلى الشَّيخ الوصابي ليسأله ويستشيره عن هذا الأمر، وذلك قبل أن يسأل الشيخ ربيع، فقال لهُ الشيخ الوصابي لا بأس بهذا.

فالشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- مع أَنَّهُ العالم الفقيه بتزكية العُلماء لهُ لكنَّهُ لم يكُن ينفرد بِالرَّأي، بل يجعل لهُ قدوة وأسوة من العُلماء ليقوِّي جانب رؤيته، وهذا يدلُّ على كمال عقلِه وأدبِه وتواضُعِه عليه رحمةُ الله تعالى.

أخلاق الشيخ رحمه الله

قال القُرطبي -رحمه الله- في المفهم : الأخلاق أوصاف الإنسان الَّتي يُعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسِك، فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل : العفو، والحلم، والجود، والصَّبر، والرحمة، والشَّفقة، والتَّوادُد، ولين الجانب ونحو ذلك.

والمذموم منها ضد ذلك (أي ضد الأخلاق المحمودة) : كالكذب، والغَش، والقسوة ونحوها من الأخلاق الرَّديئة.

وموضوع الأخلاق موضوع منهجي يتعلَّق بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، بل هو من صلب المنهج السَّلفي، والَّذي ينظر إلى منهج السَّلف، وما كتبوهُ في أُصُول أهل السُّنَّة والجماعة كالطَّحاويَّة والواسطيَّة وغير ذلك يرى ارتباط الأخلاق الحسنة بهذا المنهج السَّلفي النَّقي، ومن أمثلة ذلك ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية عند ذكر معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، قال : ثُمَّ هم مع هذه الأُصُول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما تُوجِبه الشَّريعة، ويرون إقامة الحجّ والجهاد، والجُمَع والأعياد مع الأُمراء أبراراً كانوا، أو فُجَّاراً، ويُحافظون على الجماعات، ويدينون بالنَّصيحة للأُمَّة، ويعتقدون معنى قوله -ﷺ- : «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وقوله -ﷺ- : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ،

وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ».

ويأمرون بالصَّبر عند البلاء، والشَّكر عند الرَّخاء، والرِّضى بِمُرِّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قولِهِ -ﷺ- : «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقَاً» ... إلى قَولِهِ : وينهَون عن الفخر والخُيَلاء، والبغي والاستطالة على الخلق بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهَون عن سفاسِفِها...اهـ

إذن هذا هو المنهج السَّلفي عند السَّلف الصَّالح أهل السُّنَّة والجماعة بجانِبَيه العَقَدي والأخلاقي، والأدلَّة في هذا من الكتاب والسُّنَّة كثيرة جدًّا معلومة معروفة.

ويا سبحان الله، كم من عالم، أو طالب علم يُضرب به المثل في أخلاقِهِ وبشاشَتِهِ وطيبِ كلامِه، فإذا بدأ ينحرف عن هذا المُعتقد السَّلفي عُوقِبَ بحرمان أخلاقِهِ؛ فتجد الشَّراسة في مُعاملاتِهِ والبذاءة في كلامِه، وينطفئ نور البشاشة من وجهه وإن تكلَّفها.

وجوههم من سود الكبر عابسةٌ ... كأنَّما أُورِدوا غصباً إلى النار

هانوا على الله فاستاءت مناظرهم ... يا ويحهم من مناكيد وفجَّار

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً ... أهدوك من نورهم ما يُتحِفُ السَّاري

تروى وتشبع من سيماءِ طلعتهم ... بذكرهم ذكَّروك الواحد الباري

هذا وقد كان لشيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- أوفر الحظِّ والنَّصيب في جانب الأخلاق والآداب، وإنِّي وأنا أكتُب عن أخلاق الشَّيخ أعترف بأنَّني مهما كتبتُ عن أخلاقِه، فلن أستطيع أن أُعطيه إلَّا اليَسير.

لقد شهد لهُ العُلماء قبل طُلَّاب العلم، وشَهِدَ لهُ الخُصُوم فضلاً عن الأقربين.

يا من لهُ في الناس ذكر سائر ... كالشَّمس يُشرِقُ ذكرها وتجول
ملأت لطائف برهِ أوقاته ... فزمانُهُ عن غيره مشغول
هذا هو الشَّرفُ الَّذي لا يُدَّعى ... هيهات ما كُلّ الرِّجال فُحُولُ
أيَّامُهُ كستِ الزَّمان محاسناً ... فكأنَّها غُررٌ لهُ وحُجول

لقد كان -رحمه الله- نِعمَ الجليس لَمن جالَسَهُ، رفيقٌ بمن سآءله يستعمل الأخلاق الجميلة، ويتجافى عن الأخلاق الدَّنيئة.

إذا سُئِلَ عن مسألة لا يعجل في الجواب يُفكِّر مليًّا، ثُمَّ يُجيب هذا في غالب أحواله، فإن كان عندَهُ إجابة أجاب، ويكون أصل جوابه الدَّليل من كتاب الله، وسنَّة رسوله -ﷺ-، أو إجماع، فإذا وردت عليه مسألة فيها خِلاف ذكر قول العُلماء فيها، وقد يرجِّح ما يراهُ الصَّواب، وكان لا يأنف أن يقول الله أعلم، لا أدري بالجواب، اسألوا عن هذا الشَّيخ فُلاناً، ورُبَّما قال في بعض الأحيان ماذا عندكم يا إخوة في هذه المسألة ؟ أفيدوا إخوانكم أين فُلان ؟ وأين فُلان ؟ لبعض طُلَّابِه، فقد يُجيب أحدهم؛ فيستحسِنُ الشَّيخ الجواب، وقد يُناقشه في الجواب بكل أدبٍ وأخلاق، وكان من

أخلاقِهِ إذا سأل في درسه بعض طُلَّابِه بسؤال فلم يُجب رأيتُ الشَّيخ يُعينُه في الجواب، ويحمل لهُ الأعذار كُنَّا مرَّة في درس الشَّيخ العام في شرح صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- فقُدِّم للشَّيخ سُؤال، فقال الشَّيخ -رحمه الله- هذا السُّؤال عند الأخ فُلان يُجيب عليه، فتكلَّم الأخ وأخطأ بالجواب، وكنتُ قريباً من الشَّيخ؛ فرأيتُهُ قد ظهر عليه الخجل، ورأى أنَّهُ أحرج الأخ حيثُ باغته بالسُّؤال، فقال الشَّيخ أنا قد أسأل أخاً، وهو ما شاء الله على خير، ولكن عندما يأتي السُّؤال مُفاجئاً قد لا يأتي الجواب، ثُمَّ قال وأنا بالنِّسبة لي لو جاءني مائة سؤال كذا بغتة فالله أعلم بماذا أُجيب لعلي لا أُجيب إلَّا على اليسير، وهذا من تواضُعِه وطيب خُلُقِه -رحمه الله-، وإلَّا فهو لها، وهو العالم الفقيه، فكم ترِد عليه أسئلة، وهو في الدَّرس أو في الطَّريق، أو بعد الدَّرس، فيُفصِّل المسألة تفصيلاً، ويذكر لِكُلِّ قول دليلاً، ومن طريف أخلاقِه حمله الأعذار لإخوانِه، فقد كُنَّا مرَّةً في الدَّرس العام بَينَ مغربٍ وعشاء، وكان بعض الناس قد وضع جوَّالهُ يشحن في مكان قريب من الشَّيخ، والشَّيخ في الدَّرس، وفجأةً وإذا بِالجوَّال يرنُّ، وكانت فيه نغمة مُزعِجة؛ فأخذ الطُّلَّاب ينظرون من صاحب هذا الجوَّال الَّذي فعل هذا؛ فلم يقُم لهُ صاحب الجوَّال خجلاً من الشَّيخ و الطُّلَّاب ، فقام أحد الإخوة وأغلقه، فقال الشيخ -رحمه الله- وهو يُريد أن يحمل لأخيه أحسن المحامل قال يا إخوة، لا أحد يتسرَّع في الحُكم على الشَّخص بمجرَّد سماعِه لمثل هذا، ثُمَّ قال الشَّيخ -رحمه الله- أذكر أنَّني في مرَّةٍ من المرَّات وضعتُ جوَّالي فجاء الأولاد يلعبون بِهِ، فلا أدري كيف فعلوا حتَّى تغيَّرت

نغمة الجوَّال بهذه النَّغمات الَّتي فيه، فذهبتُ إلى المسجد، وبينما أنا أُصلِّي إذ بي أسمع نغمة مُزعِجة قريباً منِّي، فكُنت أقول في نفسي الله يصلح صاحب الجوَّال لِمَ لم يُسكِته؟ والناس ينظرون إليَّ، وأنا لا أدري أنَّه جوَّالي؛ لأنَّها غير رنَّة جوَّالي المعروفة، وبعد ذلك لمستُ جيبي فإذا بِهِ جوَّالي فصمَّتُه، وقد خجلتُ لهذا الموقف (بمعنى كلامه غفر الله لهُ).

ومن طريف أخلاقِه -رحمه الله- أنَّهُ قد يُصحِّح الخطأ عند الطّالب بأسلوب ممتع وعجيب من ذلك ما حدَّثني الأخ إبراهيم الصَّالحي، وهو من المُشرفين على بعض فُصُول الطُّلَّاب قال قُلتُ للشَّيخ يا شيخ نُريدُ مُدرِّسين أكِفَّاء، فابتسم الشَّيخ وقال لي يا أخ إبراهيم، حفظك الله إذا رَضِيَ المُدرِّسون؛ فلن يرضى الطُّلَّاب قال فتعجَّبتُ ولم أكُن تنبَّهتُ للفظ الكلمة، فلمَّا رأى تعجُّبي ابتسم، وقال قل أكفْاء؛ لأنَّ أكفَّاء جمع كفيف وهو الأعمى.

كان -رحمه الله- بشوشاً في وجوه الناس صبوراً حليماً.

قالت زوجة الشَّيخ أم أحمد -حفظها الله تعالى- : كان الشَّيخ -رحمه الله- رحيماً حليماً مُتواضعاً كريماً عادلاً مُنصفاً بشوشاً كُلَّما نظرت إليه أراهُ مُبتسماً مع الكبير والصَّغير في بيته، وخارج بيتِه رحمه الله ...اهـ

كان مرَّة جالساً في المسجد بعد الصَّلاة، وحَولهُ طُلَّاب العلم إذ جاء شاب كان مريضاً عقليًّا شفاهُ الله وعافاه، والشَّيخ لا يعرفه، فسلَّم على الشَّيخ، وقال للشيخ أنت

عبد الرحمن السُّديس ؟ فقال الشيخ لا أنا عبد الرحمن العدني، فقال الشَّاب بلى أنت عبد الرحمن السُّديس؛ ففطِنَ الشَّيخ أَنَّهُ لا يفهم، فابتسم وقال : عبد الرحمن السُّديس إمام الحرم، وأنا هُنا في الفُيُوش.

ومن كريم أخلاقِه -رحمه الله- أَنَّهُ كان لا يُقاطع المُتكلِّم؛ فيدعهُ يتكلَّم ويشرح قضيَّته أو سُؤاله، والشَّيخ يستمع إلَيه بِكُلِّ تقدير واحترام، ورُبَّما جاءه بعض الإخوة بفائدة، والشَّيخ قد ذكرها قبل عشرين عاماً في أحد دُرُوسه؛ فيأتيه أحد الإخوة وينقلها للشَّيخ، والشيخ يقول لهُ ما شاء الله أحسنت فائدة طيِّبة. قال لي أحد الإخوة، ثُمَّ تبيَّن لي بعد أن الشيخ قد ذكرها وعلَّمها قبل سنين لبعض طُلَّابِه القُدماء، فخجلت وقُلت جزاهُ اللهُ خيراً كيف أوهمني أَنَّهُ أوَّل مرَّة يسمعها.

ومن أخلاقه -رحمه الله- قُربه من طُلَّابِه بشتَّى مستوياتهم، فيُشجِّع هذا، ويصبر على قِلَّة فهم هذا، أو فيما وقع عند هذا من إشكال، وفي هذه المسألة رزقه الله تحمُّلاً كبيراً حدَّثني الشيخ أحمد بن عمر البركاني -حفظه الله تعالى- : قال ابتُلي أحد الإخوة في دمَّاج بالوسواس أَنَّهُ طلَّق زوجته، وأَنَّهُ وأَنَّهُ من أعمال الموسوسين دون أن يتلفَّظ بطلاق، فكان يسأل هذا وهذا حتَّى ملَّ طُلَّاب العلم والمشايخ منهُ، فلم يعد يجلس لهُ أحد. قال وكان الشَّيخ عبد الرحمن يجلس معهُ الوقت الطَّويل، حتَّى يُقنِعهُ، وبعد فترة يعود، وفي يوم جاء الموسوس بورقة قد كتب فيها، ولم يدع فراغ إلَّا ما يُقارب سطراً

واحداً في رأسها فأعطاها الشيخ، فكتب الشَّيخ في هذا السَّطر لا يقع الطَّلاق لا يقع الطَّلاق لا يقع الطلاق.

وكان عظيم الصبركثير التحمل للطُّلَّاب البادئين والمُشاغبين. حدَّثني أحد الإخوة المُشرفين على بعض فُصُول الطُّلَّاب، وهو الأخ إبراهيم الصَّالحي قال في مرَّة حصل أنَّ بعض الطُّلَّاب أخذوا يزعجوننا بأساليبِهم، فتارةً يقولون لا نُريد المُدرِّس فُلاناً، وتارةً يقولون لا نُريد المكان الفلاني، وهكذا، وفي كُلِّ مرَّةٍ نرفع بهم إلى الشَّيخ، والشَّيخ يصبِر عليهم، ويعطيهم ما طلبوا، ثُمَّ إنِّي اعتذرتُ للشَّيخ من الإشراف عليهم، وكذا اعتذر غير واحد من الإخوة عن الإشراف عليهم؛ ففكَّر الشَّيخ ثُمَّ قال لي خيراً إن شاء الله، سأُشرف عليهم أنا، فأشرف عليهم الشَّيخ وتابعهم في دُرُوسهم، حتَّى إنَّهُ الآن أصبح بعضهم من المُدرِّسين معنا في الدَّار، وكان الشَّيخ قال لي إن لم نصبِر عليهم مع ما عندهم سيخرجون إلى الشارع، وسيجِدون رُفقاء سوء فيضيعون.

ومن أخلاقِهِ -رحمه الله- أنَّهُ كان يُؤدِّب جُلساءه بأحسن ما يكون من الأدب، فلا يرضى في مجلسه بالكلام في أعراض النَّاس، ورُبَّما قال لهُ بعضهم عن أحد الناس كلاماً؛ فيتغيَّر الشيخ، ويقول أنت متثبِّت من هذا، وكان يُشدِّد في قضيَّة الاتِّهام لأي واحدٍ من الناس، ففي يومٍ من الأيَّام جاء أحدُ الزُّوَّار للشيخ، فطلب منهُ الشيخ كلمة، فلمَّا أكملها جاء أحد الإخوة إلَيه، وقال يا شيخ كيف فُلان للمُتكلِّم، فقال الشَّيخ ما علمتُ عنه إلَّا خيراً، فقال الأخ لا يا شيخ، هذا الرَّجُل عندَهُ وعِندَهُ، وقال وقال، فلمَّا

سَمِع الشَّيخ هذا الكلام قال للأخ المُتكلِّم سأدعو الأخ فُلاناً الآن، وتكلَّم بكل هذا في وجهه، فإن أقرَّ كان لنا كلام، وإن أنكر فمصيبة عليك، ثُمَّ جاء المُتكلِّم، فلمَّا كلَّمَهُ الأخ قال أنا قد تراجعت، وهذا صدر منِّي قديماً.

ومن أخلاقِهِ -رحمه الله- أَنَّهُ كان إذا أخطأ أحدُ طُلَّاب العلم لم يُباشِرهُ الشَّيخ بالملامة والتَّعنيف، على جهة التَّبكيت لهُ، بل يقول لا يحسُن مثل هذا الفعل بأهل العلم، والأدب وينبغي لطالب العلم أن يكون كذا وكذا، فيكون الفاعل لهذا الشَّيء قد علم أَنَّهُ المُراد بِهِ؛ فيُبادر إلى الصَّواب.

من أخلاقِهِ -رحمه الله- : أَنَّهُ كان لا يُجادل ولا يُماري، ولا يُغالِب بالعلم رُبَّما تكلَّم في بعض دُرُوسِه عن مسألة؛ فيُناقشه بعضُ الطُّلَّاب الفُضلاء، فيُبَيِّن لَه الشَّيخ الخطأ في اعتقادِهِ في هذه المسألة، ويُريه الصَّواب بأسلوب وأدب وهُدوء، فإذا عَجِزَ الأخ عن الجواب قال الشيخ بِكُلِّ أدبٍ نحن نُناقِش هذه المسائل للفائدة، وليس من أجل أنَّ فُلاناً أعلم من فُلان، أو غلب فُلاناً كُلُّنا طُلَّاب علم يستفيد بعضُنا من بعض.

ورُبَّما غالب من يستحق أن يغلِبهُ بالعلم الشَّافي كَردِّهِ على كثيرٍ من شُبَهِ المُبطلين ليدفع بذلك باطل من خالف الحقّ؛ فتكون غلبَتُه على أهل الزَّيغ تعود بركة على المُسلمين.

من أخلاقِه -رحمه الله- : أَنَّهُ لا يُؤاخذ بالعثرات فكم أعرف، وكم سَمِعتُ عن أُناسٍ وقعوا في الشَّيخ وجاهروهُ بالعداء، ورُبَّما افتروا عَلَيه الافتراءات، فإذا جاءوا إلَيه

يعتذرون، ورُبَّما برسالة إلَيه يُرسِلون، أو عبر الهاتف يتَّصِلون؛ فيعفو عنهم، ويدعو لهم بالخيرات.

من أخلاقِهِ -رحمه الله- : أَنَّهُ كان لا يُشيع الذُّنُوب عن غَيرِه، ولا يشمَت بمن آذاه، ولا يفشي سر من عاداهُ، فإذا وصلهُ خبر عن خطأ كبير وقع فيه بعض خُصُومِه ترى على وجهه الحُزن، ويقول نسأل الله الثَّبات نسأل الله الثَّبات.

وفي مرَّةٍ وصلَهُ كلامٌ شديد من الحجوري هداهُ الله، فقال الشَّيخ الله المستعان الحجوري رزقه الله نعمة، فما شكرها كان يتكلَّم بالكلمة؛ فيستقبلها أهل السُّنَّة في كل مكان، فلمَّا سلَّط لسانَهُ على أهل السُّنَّة حُرِمَ هذه النِّعمة.

ومن أخلاقِهِ -رحمه الله- : أَنَّهُ يتنزَّه عن الكلام السَّفيه سواء كان في هدوئِه أو في غَضَبِه ينتقي أجمل الألفاظ، وأحسن العبارات، حتَّى في رَدِّهِ على المُبطِلين، وهذه دُرُوسه وخُطَبه ومُحاضراته مُسجَّلة ومحفوظة في كُلِّ مكان لن تجد فيها الكلام السَّفيه ولا القبيح لم يقُل لأحدٍ من النَّاس ثور، ولا بقرة، ولا هذا حِمار، ولا هذا شيطان، ولا اضربوا فُلاناً، ولا اتفلوا في وجه فُلان، ولا فُلان أعمى، أو الخبيث أو غيرها من الألفاظ الَّتي يتحاشى عن قولها العوام فضلاً عن طُلَّاب العلم والعُلماء.

جُلُّ ألفاظِهِ لِخُصُومِه : هداهُم الله أصلحنا الله وإيَّاهُم، ما ينبغي لهم مثل هذا الكلام، هذا لا يصلُح منهم، الله المُستعان ماذا صنعتُ بهم ؟ !! ، إنَّا لله وإنَّا إلَيه

راجعون، لا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله، نحنُ ضُعفاء نستمد قُوَّتنا من الله، وأقوى كلمة سمعناها منهُ بَيني وبَينَهُم وقفة بينَ يديِّ الله ﷻ.

وكان إذا أراد أن يُحذِّر من شخصٍ بِعَينِه، وخاصَّة ممَّن زلَّ من أهل السُّنَّة، أو وقع في خطأ يغتر بِهِ أُناس، ولا ينبغي السُّكُوت عن مثل هذا الأمر ردَّ الشَّيخ، وحذَّر من هذا الشَّيء وهو كالمُضطر، وسمعتُه يقول عليهِ رَحمةُ الله -تعالى- :

والله يا إخواني، أحياناً تحصُل أحداث وأُمُور أجلس مع نفسي وأستخير الله، وأُكرِّر الاستخارة.

والله يا إخواني، ما أُريد أن ألقى الله -ﷻ- بِمظلَمة، ولو كانت يسيرة.

أما في جانب أهل البِدَع والحزبِيَّات؛ فكان يُحذِّر منهم، ومن شرِّهِم، ويُسمِّيهم بأسمائِهم في دُرُوسِه وخُطَبِه ومُحاضراتِه ومجالِسِه، بل إنَّهُ قد خطب تسع جُمَعٍ متتابِعة على الرَّافضة، وبَين ما هُم فيه من ضلال، وذلك أيَّام فتنة حصار دمَّاج.

ومن أخلاقِهِ -رحمه الله- : أنَّهُ يُقابل السَّفيه بالصَّمت عنهُ، والعالم بالقبول منه، والمحن الَّتي مرَّت به في حياتِه أكبر شاهد على هذا.

صُــمُوت في المجــالس غــير عــيٍّ جــدير حــين ينطــق بالصَّــواب

كان -رحمه الله- سهلاً ليِّن الجانب قريباً من الكبير والصَّغير لهُ أوقات مُخصَّصة للجُلوس للنَّاس ليُجيب عن أسئلَتِهم، وينظر في مشاكِلِهم لم يكُن ينفرد بِه أحدٌ عن أحد، ولا طُلَّاب العلم عن العوام قد يحتاج لهُ المُحتاج؛ فيطرُق عليه الباب، فيخرج

عليه من البَيت، وهو منبَسِط منشرح البال. حدَّثني الأخ محمد بن عيسى المهري أَنَّهُ جاء مع بعض الإخوة، وبعضهم لا يعرف الشَّيخ، وهم على سفر إلى دار الحديث بمعبر، قال فأحببنا أن نُسلِّم على الشَّيخ، وكان الوقت قبل الظُّهر، فقال لنا الحارس : الشيخ الآن مشغول بتحضير درس الظُّهر لكن انتظروا إلى بعد الظُّهر. قُلنا لهُ : نحنُ على سفر، فذهبنا وطرقنا بَيت الشَّيخ؛ فأجاب ولد الشَّيخ قال الشيخ مشغول، فإذا بالشَّيخ يقول : من ؟ قُلنا نحنُ من المهرة، فخرج إلَينا وبشَّ في وجوهنا، وأصرَّ علينا أن نجلس معه لوجبة الغداء؛ فاعتذرنا بعد شدَّة، فمشينا من عِندِه، والإخوة في غاية التَّأثُّر من أخلاقِه وتواضُعِه عليه رحمةُ الله -تعالى-.

وحدَّثني الأخ عارف درعان أَنَّهُ في مرَّةٍ جاء رجل عامِّي يُريد الشَّيخ قُلنا لهُ ليس الآن، فكان العامِّي يرفع صَوتَه، ويأتي بالكلام الشَّديد، ويقول ضروري أُريد الشَّيخ معنا مُشكلة وو ... فلمَّا التقى بالشَّيخ وجلس معه وجدتُهُ عند خُرُوجِه، فقُلت لهُ كيف ؟ فقال بِكُلِّ تأثُّر انظروا لي أرضيَّتَين لأَسكُن عندكم.

فيا سُبحان الله، دخل الفُيُوش بِكُلِّ قسوة وشِدَّة ومجرَّد جلسة مع الشَّيخ أراد السَّكن في هذه البلاد.

أمور حصلت من الشيخ -رحمه الله- قبل موته كالتوطئة لموته

إنَّ أعظم مُصيبة وقعت على المُسلمين هي موت نبيِّنا الكريم محمد بن عبد الله -ﷺ-.

قال -عليه الصَّلاة والسلام- : «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ» (رواه بن سعد وحسَّنه الألباني) ((الصَّحيحة)) (١١٠٦).

وكان أشدَّ الناس وقعت عليهم المصيبة بموته -ﷺ- هُم أصحابه -رضي الله عنهم- الَّذين عاشوا معه وجالسوهُ، وجاهدوا معه -عليه الصَّلاة والسَّلام-، ولهذا كانت إشاعة مقتل النَّبي -ﷺ- يوم أُحُد كالتَّوطئة لتلقِّي الصَّدمة الكُبرى بِمَوتِه -ﷺ- حين يقع والله -تعالى- يعلم أنَّهُ سيقع وبِأيِّ وقت سيكون؛ فبيَّن القُرآن لهم أنَّ الصِلة تكون بالله -تعالى- لا بِغَيره، وأنزل قوله -تعالى- : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤٤].

قال ابن القيم -رحمه الله- في الزَّاد : وَمِنْهَا: أَنَّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدِّمَةً وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَثَبَّتَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى انْقِلَابِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ إنْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قُتِلَ، بَلِ الْوَاجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا عَلَى

دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَيَمُوتُوا عَلَيْهِ أَوْ يُقْتَلُوا، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ رَبَّ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَلَوْ مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَمَا جَاءَ بِهِ، فَكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَمَا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخَلَّدَ لَا هُوَ وَلَا هُمْ، بَلْ لِيَمُوتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ. اهـ زاد المعاد (٣/ ٢٠١)

ولقد حصلت من الشَّيخ -رحمه الله- أمورٌ قبل مَوتِهِ كالتَّوطِئة لِمَوتِه -رحمه الله-، ذكر الشَّيخ أبو حاتم الضَّالعي -حفظه الله تعالى- شيئاً منها في كلمةِ العزاء عند مَوتِ الشَّيخ فمنها : أنَّ الشَّيخ ابتعد عن المركز لِمُدَّةٍ طويلة عندما سافر إلى المملكة العربية السُّعوديَّة ليُخفِّف الله عن النَّاس شيئاً من الوَحشة، وليعلموا أنَّ الدَّار قائمة بإذن الله وحدَهُ لا شريك له، والشَّيخ -رحمه الله- سبب في ذلك.

ومنها : أنَّ الشَّيخ حجَّ في ذلك العام بأهلِهِ جميعاً.

ومنها : أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- أوكل كثيراً من مهام التَّدريس إلى بعضِ طُلَّابِه الفُضلاء النُجباء الَّذين كانوا يَسيرون بالمركز خير مسار.

ومنها أنَّ الشَّيخ دعا إلى اجتماع خاص قبل مَوتِهِ بأيَّام بالآباء العُقلاء من أصحاب العوائل، وناقش قضيَّة المُحافظة على المركز، وأنَّ ذلك بأمور ذكر منها : مُحاربة انتشار المعاصي، وشدَّد في قضية الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر حتَّى يحفظ الله هذه الدَّار ...اهـ

ومنها : أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- قرَّر أن تكون هُناك استمارات يُكتب فيها اسم كُلّ طالب، وكم يحفظ من القُرآن، وما هي الدُّرُوس الَّتي يدرس، وقال حتى نعرف مستوى كلّ طالب عندنا، وحتَّى أعرف طُلَّابي، وما عند كل واحدٍ من خير.

ومنها : أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- قبل مَوتِه دعا الإخوة الأفاضل في المركز مشايخ الدَّار، وألحَّ عليهم أن يُجعل لكل واحدٍ منهم ساعة بعد العشاء يجلس للنَّاس في الغُرفة الأماميَّة ليُجيب عن الأسئلة قال الشيخ الخضر البيضاني قال لي الشيخ نُريد منكم التَّعاوُن معي في هذا الأمر بالإجابة عن الأسئلة، وقال نُريد أن يعلم الناس أنَّ معنا في المركز كوادر.

ومنها : أنَّ الشَّيخ تكلَّم في الدَّرس العام كالمُوصي للإخوة الفُضلاء والمشايخ في الدَّار، وقال لهم : نُحِبّ من إخواننا الأفاضل أن يجلسوا للإخوة من الزَّائرين والضُّيُوف في غُرفة الضِّيافة، ويُجيبوا عن أسئلَتِهم واستشكالاتهم.

ومنها : أنَّ الشَّيخ -رحمه الله- في أيَّامِهِ الأخيرة أكثر من الاعتناء بأولادِه وأهلِهِ جميعاً، ففتح لهم درساً في عُمدة الأحكام، وكان يُسمِّع لهم ما حفظوا من القُرآن، ويُتابعهم في دُرُوسهم، وفي أيَّامِهِ الأخيرة توقَّف عن التَّسميع مع الأخ وجدان الضَّالعي -حفظه الله-، وكان يذهب ليُسمِّع القُرآن مع أهله وأبنائِه.

وكانت هذه الطَّريقة نافعة، فقد قال بعدها -رحمه الله- في الدَّرس العام أنا أنصح إخواني بطريقة نافعة، وقد جرَّبتها الَّذي يجلس يُراجع القُرآن بعيداً عن أبنائِهِ وأهله،

فقد لا يجتهدوا ذلك الاجتهاد المطلوب فيكسل هذا، ويغفل هذا، وينام هذا بعكس ما إذا كان موجوداً بجانِبهم؛ فإنَّهُم يَجِدُّون ويجتهِدون.

ومنها : ما حدَّثني به ولد الشَّيخ -رحمه الله- الأخ إبراهيم -حفظه الله تعالى- أنَّ الشَّيخ قبل موتِه بأيَّام دعا أقارِبَهُ لعزومة غداء إلى بَيتِه دعا أباهُ وأُمَّهُ وأخوَاتِهِ وخالَاتِهِ، وبعض أزواجِهِنَّ وأولادِهِنَّ؛ فأكرمهم في بَيتِه، وجالَسَهُم، وأحسن إلَيهم -رحمه الله-، ولم تكُن هُناك مُناسبة رسميَّة للاجتماع بِهِم، ولكن لعلَّه شُعور وأحاسيس عند الشَّيخ -رحمه الله-.

ومنها ما حدَّثني بِه كذلك إبراهيم ولد الشَّيخ عبد الرحمن أنَّ والِدَهُ الشَّيخ عبدالرحمن قبل مَوتِهِ بأيَّام قال لِوَلَدِهِ الكبير عبد الله أنت ربُّ الأُسرة قال : وقال لنا -رحمه الله- : اسمعوا لكلام أخيكم الكبير.اهـ

ومنها أنَّ الشَّيخ قدَّم سُؤالاً في آخر أيَّامِهِ في درس المغرب، فقال: من يذكر من العُلماء الَّذين ماتوا ولم يُعمَّروا ؟

ثم ذكرهم، فقال :

١) الإمام الشافعي -رحمه الله- (٥٤).

٢) الإمام النووي -رحمه الله- (٤٥).

٣) سيبويه -رحمه الله- (٣٩ أو ٤٠).

٤) ابن عبد الهادي -رحمه الله- (٣٩).

٥) الحازمي -رحمه الله-. (٣٩).

٦) عبد السلام برجس -رحمه الله-. (٣٨).

٧) حافظ حكمي -رحمه الله-. (٣٥).

٨) عبد الله الدويش -رحمه الله-. (٣٠).

وما هي إلَّا أيَّام ويُقتل الشيخ -رحمه الله- عن (٤٦ عاماً) حينها تذكَّرتُ هذا السُّؤال، وكأَنَّ الشَّيخ يُعزِّينا في نفسه، ويقول لإن مِتُّ ولم أُعمَّر؛ فإنَّ هؤلاء العُلماء ماتوا ولم يعمَّروا كثيراً، ولكنَّ ذكرهم وعلمهم في أوساطنا على مَرِّ السِّنين بفضل الله وحده، ثُمَّ بنشر طُلَّابِهم لعلمهم وكُتُبهم في أوساط الناس.

ومنها قول الشَّيخ -رحمه الله- في آخر حجَّة حجَّها هذِهِ حجَّة الوداع.

قالت زوجة الشَّيخ أُمّ أحمد -حفظها الله تعالى- :

لَمَّا حجَّ الشَّيخ -رحمه الله- آخر حجَّة لهُ قبل أن يُقتل بِشُهور، وكُنَّا معهُ في الحَجِّ، فقال الشَّيخ : هذِهِ حجَّةُ الوداع، وقال : ودِّعُوا السُّعُوديَّة؛ فهذِهِ حجَّة الوداع ...اهـ؛ فكانت كما قال -رحمه الله- وغفر لهُ

الأيَّام الأخيرة من حياة الشيخ -رحمه الله-

إنَّ الَّذي عرف الشَّيخ -رحمه الله-، وحضر في دُرُوسِهِ الماتعة العلميَّة المُفيدة لن ينسى ذلك العالم الجليل، فلهُ في كُلِّ قلبِ طالب علمٍ أثرٌ عظيم، ولهُ ذكريات في كُلِّ المجالات، ولكنَّ الحديث عن آخر أيَّامِهِ لهو الأمر الَّذي ازداد بِهِ جمالاً إلى جمالِهِ، وأخلاقاً إلى أخلاقِه، وابتسامةً تعلو ابتسامته، وإنَّ الَّذي حضر في دُرُوس الشَّيخ -رحمه الله- ليرى السَّعادة الَّتي تغمُر الحُضُور، فما إن يجلس للدَّرس حتى يسود الأُلُوف من الطُّلَّاب الهُدُوء التَّام، فإذا نثر الفوائد والدُّرر ترى الأقلام تكتب بكلِّ جِدٍّ واهتمام، فإذا أكمل الدَّرس شَعَرَ الطُّلَّاب، ومن حضر أنَّ الدَّرس مُختصر؛ وذلك لحلاوة دُرُوسه وقُوَّة أُسلوبِه في الإلقاء، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء.

وفي الأيَّامِ الأخيرة من حياتِهِ -رحمه الله-، وفي الدَّرس بين مغرب وعشاء كان يُذاكرنا فوائد من صحيح الإمام مُسلم -رحمه الله- تُشَدُّ لها الرِّحال، ثُمَّ يترك شيئاً من الوقت للإجابة عن الأسئلة، ثُمَّ كان على غير عادَتِه سابقاً يذكر أبياتاً من الشِّعر، ويسأل عن المراد بها، ورُبَّما ذكر شِعراً، وقال من القائل لهذه الأبيات ؟ وقد يسأل فيقول : من يذكر مِن أحسن ما قيل من الشِّعر في كذا ؟ وكان في هذه الأيَّام الأخيرة كثير الابتسامة في دَرسِه هذا، وأذكر أنَّهُ في هذه الأيَّام سَألَ عن معنى قول الشَّاعر :

ومـن جعـل الغُـراب لـهُ دلـيلاً يَمُـرُّ بِـهِ عـلى جِيَـفِ الكِـلابِ

ثُمَّ قال هذا يُقال في وضع الثِّقة في غير موضعها.

وتكلَّم في ليلةٍ عن خفَّةِ العُقُول في آخر الزَّمان.

ثُمَّ قال -رحمه الله- من يذكُر من أجمل الأبيات التي قيلت في خِفَّة العقل، فسألني فقُلتُ : قول الشاعر :

عـــــدوٌّ ســـــوءٍ عاقِـــــلٍ ولا صـــــديقٍ جَاهِـــــلِ

قال في آخر من يذكُره، فقام أحدُ الإخوة فقال :

لا بَـأَسَ بِـالقَومِ مِـن طُـولٍ ومِـن قصـر جسـم البِغـالِ وأَحـلامُ العصـافيرِ

فابتسم الشَّيخ، ثُمَّ قال : هذا حسن، ثُمَّ قال الشَّيخ -رحمه الله- يُنظر في نسبَتِهِ إلى حسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه.

ثُمَّ قال الشَّيخ :

لـــو أنَّ خِفَّـــة عَقلِـــهِ في رِجلِـــهِ سَـــبَقَ الغَـــزالَ ولم يَفُتْـــهُ الأَرْنـــبُ

وتكلَّم عن خِفَّة العُقُول.

وكذلك في أيَّامِهِ الأخيرة ذكر أبيات :

بقـــرت شـــويهتي وفجعـــت قلبـــي وأنـــت لشـــاتنا ابـــن ربيـــب

غُـــذِيتَ بِـــدُرِّها ونشـــأت معهـــا فمـــن أخـــبرك أنَّ أبـــاك ذيـــب

إذا كـــان الطِّبـــاعُ طِبـــاع ســـوءٍ فـــلا أدب يُفيـــد ولا أديـــب

وقال جاءنا إلى دمَّاج الشَّيخ عبد العزيز البُرَعي -حفظه الله تعالى-، وألقى هذه الأبيات، فأعجبت شيخنا الوادعي -رحمه الله-، وكان يَحُثُّ على حفظِها.

وفي هذه اللَّيالي كذلك تمثل -رحمه الله- بأبيات :

ظلمتني كذئبِ السَّوءِ إذ قال مرَّةً ... لِسَخلٍ رأى والذِّئبُ غرثان مُرمل

أأنت الَّذي في غير جُرمٍ شَتمتَني ... قال متى ذا ؟ قال ذا في عام أوَّل

قال ولدتُ العام بل رمت غدرَّتي ... فكُلنِي لا هنيا لك مأكل

ومعنى الأبيات أنَّ الذَّئب الظَّالم تعرَّض في طريقٍ لسخلٍ صغير بريء لم يُحدِث جُرماً، فقال لهُ الذِّئب : أنت الَّذي شتمتني ؟ قال : متى ؟ قال في العام الأوَّل، فقال السَّخل أنا وُلِدْتُ في هذا العام؛ فلا تتعذَّر بهذا العُذر الكاذب، ولكنَّك رُمت غدرَتي أنت ناوٍ لِغَدرِي، ولو لم أُحدِث ذنباً، ولكنَّك تتعذَّر؛ فكُلنِي فلا حيلة لي لا هنيئاً لك مأكلي.

فرحم الله شيخنا المغدور بِهِ وعند الله تجتمعُ الخُصُوم.

وفي هذهِ اللَّيالي كذلك قال الشَّيخ -رحمه الله- إلى من تُنسَب هذه الأبيات؟

اصبر على كيدِ الحَسودِ ... فإنَّ صبرَكَ قاتِلُه

كالنَّار تأكُلُ بعضها ... إن لم تجِد ما تأكُلُه

ثم قال منسوب إلى عبد الله بن المُعتز وُلِيَ الخلافة لمدة يوم أو يومين، فقُتِل، ومن شعرِه :

خلِّ الذُّنُوبَ صغيرها ... وكبيرها ذاك التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرضِ ... الشَّوكِ يحذَرُ ما يَرى

لا تَحقِرَنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبال من الحصى

وَمِمَّا ذكر شيخنا -رَحِمَهُ اللَّهُ- في دُرُوسه الأخيرة قِصَّة الوجيه الأعمى أبي بكر المُبارك بن سعيد بن الدَّهَّان النَّحوي الواسطي المُلقَّب بالوجيه وُلِدَ بواسط، وقَدِمَ بغداد؛ فاشتغل بعلم العربيَّة، فأتقن ذلك، وحفظ شيئاً كثيراً من أشعار العرب، وسمع الحديث، وكان حنبليًّا، ثُمَّ انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثُمَّ صار شافِعيًّا، ووُلِيَ تدريس النَّحو بالنِّظاميَّة، وفيه يقول الشَّاعر :

فمن مُبْلِغٍ عَنِّي الوجيه رسالة ... وإن كان لا تُجدي إلَيه الرَّسائِلُ

تمذهبْتَ للنُّعمان بعد ابن حنبلٍ ... وذلك لَمَّا أعوزتْكَ المآكِلُ

وما أخذتَ برأي الشَّافِعِيِّ ديانَةً ... ولكِنَّما تهوى الَّذي هو حاصل

وعَمَّا قَليلٍ أنتَ لا شكَّ صائرٌ ... إلى مالكٍ فانظر إلى ما أنتَ قائِلُ

ثُمَّ ابتسم الشَّيخ، وذكر أنَّ بعض النَّاس يبحث عن مصلحةِ أكلِه، لا عن دينه، ثُمَّ يبحث عن الأعذار ... الخ.

وفي هذه اللَّيالي الأخيرة من حياة الشَّيخ وقبل أن يُقتل بعشرة أيَّامٍ أو أقل تسلَّل مُتسلِّل إلى بَيتِ الشَّيخ في وقتِ الأذان الأوَّل، وحرَّك باب غُرفة الشَّيخ، وكانت مُغلقة جيِّداً، وحاول كسر المغلاق، فلم يستطع وخرج مُسرعاً، وفي وقتِ الصَّلاة خرج الشَّيخ للصَّلاة كالمُعتاد، وبعدها بأيَّامٍ كذلك جرت حادثة تسلُّل إلى بَيتِهِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في الثُّلث الأخير من اللَّيل، فحرَّك مغلاق الباب ليفتح باب الغُرفة، والشيخ حينها كان

يُصلِّي؛ فأكمل الشَّيخ صلاته، وأخذ بيدِهِ مسدَّساً كان معه، فأسرع المُتسلِّل بالخروج من بيت الشَّيخ -رحمه الله-.

اشتاق إلى ربه

عزفت عن الدُّنيا الدَّنيَّة نفسه وهي الَّتي عدد الحصى خطابها

إنَّ الَّذي يتأمَّل في أيَّام الشَّيخ الأخيرة، وفي تصرُّفاتِه وأعماله -رحمه الله- ليقول الرَّجُل اشتاق إلى ربِّهِ، ولم يَعُد يُفكِّر في الحياة أبداً، ولا يزال يَرِنُّ في مسمعي صَوتُهُ العذب في إحدى دُرُوسِه، وهو يذكر ما في البُخاري أنَّ عُمَر بن عبد العزيز -رحمه الله- كتب إلى عَدِيِّ بن عدِيّ أنَّ الإيمان فرائض وشرائع، وحُدوداً وسُنَناً فمن استكملها استكمل الإيمان، فإن أعِش فسأُبيِّنها لكم حتَّى تعملوا بها، وإن أمُت فما أنا على صُحبَتِكُم بِحَريص.

ولقد كان للشَّيخ -رحمه الله- مجموعة من الإخوة يقومون بحراسَتِه في دُخُولِه وخُرُوجِه، وطريقه.

وفي أيَّامِهِ الأخيرة اجتمع بالحراسة، وخفَّفهُم، ولم يجعل معهُ إلَّا حارساً واحداً فقط كالبوَّاب لمن يدخُل، ليسأل الشَّيخ، أو لِأيِّ أمر رَحمةُ الله عليه، ولم يُخبر بحادثة التَّسلُّل إلى بَيتِه إلَّا بعض المُقرَّبين، ومع هذا فلم يأمر بحراسته، وإلَّا والله لو أمر بحراسته لتسارع طُلَّابُهُ لِحراسَتِه بِكُلِّ جِدٍّ ونشاط، ولكن الَّذي يظهر للمُتأمِّل في هذا ليرى أنَّ الرَّجُلَ بالفعل اشتاق للقاء ربِّه جلَّ في عُلَاهُ.

وإنَّ هذا يُذكِّرنا بما ذكر الحافظ في «الفتح» (٣٤٦/ ١١) عند ذكر الحديث الَّذي في البُخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال رسول الله -ﷺ- : «إِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» إِلَى قَوْلِهِ : « وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». صحيح البخاري (٦٥٠٢).

قال : قال الكلاباذي : وقد يحدث الله في قلب عبده من الرَّغبة فيما عنده، والشَّوق إلَيه، والمحبَّة للقائِه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنهُ، فأخبر أَنَّهُ يكره الموت ويسؤوهُ، ويكره الله مساءته؛ فيُزيل عنهُ كراهيَّة الموت لما يُوردهُ عليه من الأحوال، فيأتيه الموت، وهو له مؤثر وإلَيه مُشتاق. اهـ

الشيخ قبل أن يقتل بثلاثة أيَّام

وقبل أن يُقتل -رحمه الله- بثلاثة أيَّام، وفي يوم الخميس قدَّم الشَّيخ دعوة لجميع أقاربه من والدين وإخوة وأخوات وأصهار، وكل من لهُ صلة بأُسرة الشَّيخ؛ فحضروا في بيتِه وأكرمهم بوجبة الغداء، ولاطفهم بكلامه قالت زوجة الشَّيخ أم أحمد -حفظها الله- حتَّى إنَّ بعض أقاربه شدَّ انتباهه لهذه الدَّعوة، وقال : هل حصل شيء ؟ وما هي المُناسبة لدعوتنا جميعاً للغداء ؟ وكانت تلك الدَّعوةُ لجميع أقاربه إلى بيتِه هي توديعاً لأهله وأقاربه رحمه الله رحمةً واسعة.

موقف محزن وعجيب

هذا الموقف كأنّهُ إلهام من الله جلَّ في عُلاه لشيخنا -رحمه الله-، وهو عبارة عن كلمة قالها الشَّيخ قبل أن يُقتل بأيَّام يسيرة، وقالها في يوم مقتله -رحمه الله- تروي لنا هذِهِ القِصَّة زوجة الشَّيخ أُمّ أحمد -حفظها الله تعالى- فتقول : كان الشَّيخ -رحمه الله- في الأيَّامِ الأخيرة من حياتِه يبدو عليه التَّعب والإرهاق حتَّى إِنَّهُ كان لا ينام إلَّا ساعات قليلة، وكُنَّا نقول لهُ : إنَّك مُتعب جدًّا؛ فقال لنا الشَّيخ : إن شاء الله أيَّام قليلة وسأرتاح.

وقال -رحمه الله- : سأكمل الدَّرس يوم الأحد، وسأرتاح إن شاء الله -تعالى-...اهـ

فشاء الله عز وجل أن يرتاح بالكُلِّيَّة من نصب الدُّنيا ومشقَّتها في يوم الأحد الَّذي قال -رحمه الله- سأرتاح بإذن الله.

نسأل الله -تعالى- لشيخنا راحةً في قبرِه، وراحةً في حَشرِهِ، وراحة يوم يلقى ربّه.

الشيخ قبل أن يقتل بيومين

وفي ضُحى يوم الجُمعة خرج الشَّيخ بِنفسِه مع بعض إخوانِهِ من الطُّلَّاب والمُحبِّين، واتَّجَهَ إلى ملعب الشَّباب للكُرة؛ لأَنَّهُ بلغَهُ أنَّهُم يلعبون حتَّى يُؤذَّن لصلاة المغرب، فيتَّجِهون إلى المسجد، وقد تفوتهم الرَّكعة الأولى، أو صلاة الجماعة الأولى؛ فنصَحَهُم بعض الإخوة، ولم يجد منهم تلك الاستجابة، فما شعروا إلَّا بالشَّيخ قد نزل في ملعبهم؛ فأوقفوا اللَّعِب، وجاءوا إلَيه بِكُلِّ أدبٍ وحياءٍ فنصحهم ووجَّهَهُم، وحذَّرهم من عُقُوبة تأخير الصَّلاة، وذكَّرهم بِأهمِّيَّةِ الوقت، ومِمَّا قال إن الأُمَّة تنتظر من أبناء الفُيُوش علماء لا لاعِبي كُرة ... فأثَّرت هذه النَّصيحة فيهم تأثيراً عظيماً، ووعدوا الشَّيخ خيراً، فدعا لهم ثُمَّ عاد إلى مسجدِه، وبعد صلاة المغرب في الدَّرس العام أخبر أَنَّهُ التقى بالشَّباب في الملعب، ووجد منهم استجابةً، ونصح أهليهم، ودعا لهم بخير.

وفي هذ اليوم بعد صلاة العصر خرج الشَّيخ للصُّلح بَين أُناسٍ في فتنة كادت أن تكون بينهم؛ فخرج بنفسه مع بعض إخوانِهِ في الله إلى مدينة إنماء (بعدن)، فما خرج من المجلس إلَّا وقد تمَّ إنهاء الخلاف بين الأطراف.

الشَّيخ قبل أن يقتل بيوم وآخر الدُّروس التي ألقاها في حياته

كان آخر يوم بالنسبة لدُرُوس الشَّيخ -رحمه الله- هو السَّبت الثامن عشر من شهر جمادى الأولى لعام ألفٍ وأربع مائةٍ وسبع وثلاثين من الهجرة. وكان آخر درس بعد الظهر في كتاب تيسير الكريم الرَّحمن لابن سعدي -رحمه الله- حيث وصل فيه إلى قَولِهِ -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾[النساء : ٤٩-٥٠]، فذكر -رحمه الله- فوائد عظيمة يطول ذكرها هُنا، وممَّا قال -رحمه الله- في هذه الآية ذمُ تزكية الإنسان لنفسه أن يقول أنا تقي أنا عالم أنا كريم ... الخ.

وفي درس العصر كان آخر درس لهُ في كتاب الأُصُول من علم الأُصُول شرح كلام المُؤلِّف عن التقليد.

وأمَّا عن آخر درسٍ سَمِعناهُ في حياتِهِ، فبعد صلاة المغرب كالمُعتاد كان الدَّرس من صحيح الإمام مسلم، ولكنَّهُ في هذه اللَّيلة قد بدأ في كتاب القسامة والمُحاربين، والقصاص والدِّيات، وذكر صورة القسامة أن يوجد القتيل ولا يُعرف قاتِله، وليس عند أولياء الدَّم بيِّنة على قاتِلِه، ولكن عندهم قرينة على أنَّ فُلاناً أو الجماعة الفُلانيَّة هي الَّتي قتلتْهُ، وذكر فوائد كثيرة في هذا -رحمه الله-، ثُمَّ أجاب عن الأسئلة بِكُلِّ تفصيل، وانتهى آخر درس من حياة الشَّيخ -رحمه الله- وغفر لهُ.

وإنَّ الَّذي يتأمَّل في هذه الدُّرُوس الأخيرة، بل آخر دُرُوس للشَّيخ في حياتِهِ في آخر يوم يُدرِّس فيه على ظهر الأرض، كأنَّهُ يختم حياتهُ بردود على خُصُومِه في هذه الحياة الَّذين ظلمُوهُ وآذَوهُ، وافتروا عَلَيه شتَّى الافتراءات، ففي درس الظُّهر فسَّر قوله -تعالى- : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾، فما من خصمٍ من خُصُوم الشَّيخ إلَّا وهو يُزكِّي نفسه، فأحدهم يقول كما هو مُسجَّل بِصَوتِه أنا عالمٌ وربِّي عالم، وطالب علم ولله الحمد، وإذا ردَّ على الشَّيخ عبد الرحمن قال فارغ ما عندَهُ علم، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العزيز الحكيم، وفي درس العصر كان عن التَّقليد وذمِّ التقليد، وهكذا لا تجد خُصُوم الشَّيخ إلَّا مُقلِّدَة ليس لهم دليل يرجعون إِلَيه، وإلَّا فقد قال لهم الشَّيخ -رحمه الله- معنا عُلماء، ولله الحمد، وأنا مستعد نجلس معهم، وبَيننا حُكم العُلماء، ولكن أنَّى للمُقلِّد الَّذي وضع القِلادة على عُنُقِه، وأعطى الخِطام لِغَيرِه أن ينقاد إلَّا لمن قلَّدَهُ، وفي آخر درسٍ في حياة الشَّيخ درس المغرب في كتاب القسامة والمُحاربين والقصاص والدِّيات كأنَّهُ يقول بيننا وبينكم يومَ يقتصُّ المظلوم مِمَّن ظلَمَه، فلتُحاربوا في الدُّنيا، ولتقولوا ما شِئتُم، فبينَنا اللِّقاء عِندَ ربِّ الأرض والسَّماء، وهو أحكم الحاكمين.

آخر درس للشيخ في بيته

قالت زوجة الشيخ أم عبد الله -حفظها الله تعالى- :

كان الشَّيخ -رحمه الله- يجمع زوجاته، ويُدرِّسنا جميعاً، ثُمَّ إنَّهُ في الآونة الأخيرة، وبعد رُجُوعنا من بلاد الحرمين كان يُدرِّس كُلَّ واحدة من زوجاته درساً في بيتها، وكان يُدرِّسني قبل أن يُقتل بيوم من كتاب تنبيه الأفهام شرح عُمدة الأحكام.

وقد وصلنا إلى حديث عائشة -رضي الله عنها- : قَالَتْ : لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- المَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ : «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» إلى أن وصل الشيخ -رحمه الله- إلى قولها رفع يَدهُ أو أُصبَعه، ثُمَّ قال : «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»، فأخذ الشيخ يُكرِّر ذلك فكأنَّما هو لديه شُعُور -رحمه الله- بالموت، ثُمَّ مات -رحمه الله- بعدَهُ بيوم. وحسبُنا الله ونِعمَ الوكيل.

آخر ليلة من حياة الشَّيخ في بيته

قالت زوجة الشيخ أُم محمد -حفظها الله تعالى- : تلك اللَّيلة رجع -رحمه الله- من المسجد بعد العشاء، وكان -رحمه الله- مُرهقاً مُتعباً، وجلس مع أهله، وهو يتكلَّم ويضحك كعادته وتعشَّى، وجاء وقت النَّوم؛ فنام الجميع، ثُمَّ إنَّهُ أيقظ أهله لصلاة الوتر، وجعل ينصح بالحفاظ على صلاة الوتر، وبالمُحافظة على النَّوافل، وعلى قراءة القُرآن، وجعل يتكلَّم ويَعِظ، وهذا كُلُّه في الثُّلث الأخير من اللَّيل، وجعل يدعو لنفسه وأهله بخير كثير، ثُمَّ قام فصلَّى الوتر، ثُمَّ ذهب لصلاة الفجر. اهـ

الشَّيخ في صلاة الفجر

وفي اليوم الَّذي قُتِلَ فيه -رحمه الله- دخل كالمُعتاد لِصلاة الفجر؛ فأُقيمَت الصَّلاة، فتقدَّم كأنِّي أنظر إلَيه الآن، وكانت آخر نظرات بالنِّسبة لي إلَيه -رحمه الله-، فسوَّى الصُّفُوف، وعليه آثار التَّعب والإرهاق.

وقرأ بِصَوتِهِ الشَّجِيِّ الخاشع سورة الفاتحة ثُمَّ قرأ سورة القيامة. وفي الركعة الثانية قرأ سورة الفاتحة، ثُمَّ سورة اللَّيل.

لتكون آخر آية قرأها إماماً في حياتِه : ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [اللَّيل: ٢٠ - ٢١]، وهذا والله هو الرَّجاء لشَيخِنا أنَّهُ كان يقوم بأعماله ابتغاء وجه ربِّهِ الأعلى ـ فَرَضِيَ اللهُ لهُ أن يموت متوضِّئاً وإلى بيت الله مُتَّجِهاً، وفي يَدِهِ كتاب التَّفسير لكلام الله -جلَّ في عُلاهُ- ((تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان)).

الشَّيخ بعد صلاة الفجر في بيته آخر يوم في حياتِه

قالت زوجة الشَّيخ أُمّ محمد -حفظها الله تعالى- :

ثمَّ لما رجع سمَّع شيئاً من القرآن، ثُمَّ قال إنَّهُ يُريد أن ينام لأنَّهُ مرهق؛ ولم ينم تلك اللَّيلة، وسألناهُ عن سبب ذلك، فقال إنَّهُ رأى كابوساً كلَّما استيقظ استعاذ بالله ، وذكر الله -تعالى-، ثُمَّ يعود لِنَومِه؛ فيراهُ مرَّةً أخرى، فسألناهُ ما هو؟ فرفض أن يتكلَّم بشيء، وقال : لا تخافوا لا يَخُص أحداً منكم، ثُمَّ حاول أن ينام فلم يستطِع النوم، ثُمَّ قام

فأردنا أن نُقدِّم لهُ الإفطار؛ فأبى، فلمَّا ألححنا عليه قال : أريد رغيفاً واحداً وعسلاً فقدَّمناه لهُ، فأكل نصف رغيف مع عسل، ثُمَّ جلس يقرأ ويُحضِّر لدرس التَّفسير إلى وقت الظُّهر، وكان مدعوًّا إلى الغداء عند أحد أصهارِه مع أهلِهِ، فلمَّا جاء وقت الصَّلاة قال لِأهلِه اذهبوا اسبقوني إلى مكان الغداء، وأنا سآتي مع الأولاد جميعاً بإذن الله بعد الدَّرس؛ فخرج لصلاة الظُّهر مع أبنائِهِ محمد وعُمر وأخذ بِرأس كل واحد منهُما يُعوِّذهُ وخرجوا سويًّا؛ فكان ما قدَّرهُ الله جلَّ في عُلاه...اهـ

حادثة الوفاة

وفي يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الأولى لعام ألف وأربعمائة وسبع وثلاثين من الهجرة أذَّن المُؤذِّن لصلاة الظُّهر؛ فاتَّجه الناس كالمُعتاد إلى بَيت الواحد الأحد؛ ليُؤدُّوا فريضة الله في بيت الله آمنين مُطمَئِنِّين، وأقبل طُلَّابُ العلم يتنافسون على مُقدِّمة المسجد ليدنوا من الشَّيخ في درسه.

الصَّف الأول مزدحم من قبل الأذان؛ فهذا يقرأ القُرآن بسكينة واطمئنان، وهذا يُراجع في كتاب التفسير الَّذي كان شيخنا يُلقيه بعد الصَّلاة، ويستخرج منهُ الحِكَم والعِظات، وهذا يُسمِّع المحفوظات، وهذا مشغول بالصَّلاة، وآخر رافعٌ يديه بالدُّعاء لِرَبِّ الأرضِ والسَّماء، وهذا راكع، وهذا ساجد، وهذا يكتب الفوائد

يسود المسجد هُدوء تام؛ فلا تسمع إلَّا صوتاً شجيًّا كدويِّ النَّحل هو صَوت تلاوة القُرآن بسكينةٍ واطمئنان في بيت الواحد المنان ولَمَّا أن حان الوقت لإقامة الصَّلاة كان الكُل ينتظر المُقيم ونحنُ في الأمام ننتظر حركة الباب الأمامي للمسجد الَّذي يدخل منهُ الشَّيخ.

أمَّا عن الشَّيخ -رحمه الله- فقد توضَّأ في بيتِه، وصلَّى النَّافلة القبلية وخرج من بَيتِه قائلاً : بسم الله توكَّلتُ على الله، وفي صُحبته ولدهُ عُمَر الَّذي كان في السَّابعة من عُمرِه، وولده محمد الَّذي كان في العاشرة من عُمرِه، واتَّجه مع صَغِيرَيه اتَّجه إلى مسجد

الله إلى بيت الحيِّ القَيُّوم اتَّجه إلى مجلس علم وعبادة إلى مجلس ذكر وتسبيح وعلم وتعليم.

خرج إلى طُلَّابِهِ وأبنائِه وأحبابه مُعلِّماً وناصحاً ومُوجِّهاً.

وكانت الفاجعة الكُبرى : قبل أن يدخُل الشَّيخ -رحمه الله- إلى المسجد جاء القتلة المُجرمون في سيَّارة برادو (دم الغزال معكَّسة) الشَّيخ يذكر الله، وهُم يُريدون أن يُطفئوا نور الله بقتل هذا العالم الجليل الوقور جاءوا بقلوبٍ مُلئت غيظاً وحِقداً وحسداً وبغياً وظُلماً جاءوا في سُرعةٍ بالسَّيَّارة، وأوقفوها قريباً من الشَّيخ، والشَّيخ يمشي نادَوهُ يا شيخ يا شيخ، التفت الشَّيخ على الصَّوت لعلَّهُ سائل جاء يسأل عن دينه كالمُعتاد، أو لعلَّهُ صاحب حاجة ليقضيها لهُ لعلَّهُ ولعلَّهُ ...

لم يكُن الشَّيخ يتوقَّع أن يلتفت على وجوه ظالمة آثمة غاشمة قاتلة.

دعتــهُ المنايــا فاســتجاب لصــوتها فللــهِ مــن داعٍ دعــا ومُجيــبُ

ما إن التفت إلَيهم الشَّيخ، إلَّا واليد الظَّالمة قد صوَّبت إلَيه السِّلاح؛ فكأني بالشيخ وهويقول لهُ : اتَّقِ الله اتَّقِ الله، ولكن أنَّى لمن باع دينَهُ بثَمَنٍ بخس أن يتَّقِي الله اتَّقِ الله اتَّقِ الله، ولكن أنَّى لمن أرسلهم أن يتَّقِي الله أنَّى لمن شارك وخطَّط وأعان أن يتَّقِيَ الله اتَّقِ الله، ولكنَّهُ أطلق عليه الرَّصاص رصاص الغدر والخيانة على الجسد الطَّاهر المُتوضِّئ؛ اتَّقِ الله اتَّقِ الله لكن لم يرحموا عِلماً لم يرحموا حلماً لم يرحموا شيخاً، لم يرحمُوه، وكتاب الله في صدره، وبين يَدَيه ولداه الصَّغيران ينظُران إلى مصرع أبيهِما الأب الحنون

لكل النَّاس حتَّى لِخُصُومِه، فكيف بأبنائِه دخلت الرَّصاصات في جسدِهِ الذَّاكر المُسبِّح وفي وقت إقامة الصَّلاة؛ فلمَّا أحسَّ بألم الطلقات أسرع خطوات، ورمى بجسده في بيت خالقه ومولاه فأتبعه الجُناة ليزيدوا في جسدِه رصاصات.

جبل هوى لو خرَّ في البحر اغتدى ... من وقْعِهِ مُتتابع الأزبادِ

سقط في الغرفة الأماميَّة للمسجد وانتقلت رُوحه إلى بارئها في أحسن خاتمة نرجوها له، وأفضل وقتٍ، وأجمل عملٍ، وأحسن مكان.

شيخي لو نفسٌ فدت نفس ميِّتٍ ... فديتُكَ مسروراً بِنَفسي ومالِيا

وقد كُنتُ أرجو أن تعيش وأن أمُت ... فحال رجاء الله دون رجائيا

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[المنافقون : ١١].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾[القمر : ٤٩-٥٠].

سبحان الله العظيم!

كلمحٍ بالبصرمن سكينةٍ وسعادة وهدوء إلى خوفٍ وقلق وذُعر، وبُكاء، ولله الحكمةُ البالغة انتهى الوقت المُحدَّد الَّذي كتبه الله لهُ.

خاتمةٌ حسنة كيف لا، والنَّبيُّ -ﷺ- يقول: «خِصَالٌ سِتٌّ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي وَاحِدَةٍ مِنهُنَّ إِلَّا كَانَ ضَامِناً على الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّة» ... وذَكَرَ فِيهِ: «وَرَجُلٌ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوء، ثُمَ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لِصَلَاتِهِ؛ فَإِنْ مَاتَ فِي وَجْهِهِ كَانَ ضَامِناً عَلَى الله». خرجه الطَّبراني وحسَّنهُ الألباني عن أُمِّ المُؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

وَفِي حَديثِ مُعاذٍ رضي الله عنه قال : عَهِدَ إِلَينا رسول الله -ﷺ- في خمسٍ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِناً عَلَى اللهِ، فذكر الحديث المُتقدم.

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ : «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ» ... الحديث، وَفِيهِ : «وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ؛ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ».

ولـئن بقيـت ومـا هلكـت فـإنَّ لي ... أجـلاً وإن لم أُحصِـهِ معـدوداً

لا مـوت لي إلا إذا الأجـل انقضـى ... فهنـاك لا أتجـاوز المحـدودا

كُنَّا بانتظار الصَّلاة، فسمعنا صوت إطلاق النار بشكل مُتتابع، الصَّوت من ناحية المسجد الأماميَّة الشَّرقيَّة من الخارج من مكان خروج الشَّيخ من بَيتِه تغيَّر السُّكُون في المسجد إلى حركات وأصوات الكل في حالةٍ يُرثى لها خَوفاً على شَيخِهِم الجَليل بدأ الطُّلَّاب يتزاحمون بِشِدَّة على باب الغُرفة الأماميَّة للمسجد الَّتي سقط فيها الشَّيخ -رحمه الله- هرب القتلة بِسُرعة جُنُونيَّة بسيَّارتهم المشؤومة هربوا وقد نفَّذوا ما خطَّط لهم إبليس الرَّجيم وأعوانه من شياطين الإنس، وهُنا تتجلَّى روح الشَّجاعة في طُلَّاب الشَّيخ ومُحبِّيه، وحتَّى عوام النَّاس في المركز.

انتفض الأغلبيَّة وأخذوا يركضون في كُلِّ مكان بحثاً عن القتلة تحرَّكت السَّيارات والدرَّاجات، والبعض يجري على الأقدام البعض في يدِهِ السِّلاح قد رفعهُ في يديه، والبعض يمشي بلا سلاح لم تَعُد مُبالاة بالنَّفس، فقد رخُصت النُّفُوس أمام مقتل الشَّيخ، ولسان حالهم يقول :

لـو كُنـتَ تُفـدى لافتـدتك سراتنـا بنفـــــائس الأرواح والأمـــــوال
أو كـان يـدفع عنـك بـأس أقبلـت صرعـاً تكـرس بالقنـا العسـال.

أخذ أحدُ الإخوة يُنادي في مكرفون المسجد (سيَّارة حمراء برادو عليها لائحة صفراء لا تدعوها تخرُج) ولكن جاء النِّداء، وقد خرجوا من إطار المركز.

وإذا المنيَّـــةُ أقبلـــت لم يُثنِهـــا حِـرصُ الحـريص وحيلـة المُحتـال

أمَّا عن الشَّيخ -رحمه الله- فقد أخذَهُ إخوة أفاضل في سيارة ليُسعِفوه للمُستشفى لعلَّها إصابات لعلَّها جراحات لعلَّ ... لعلَّ، يُصارعهم الأمل والألم.

ولكن صدق الله.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[المنافقون : ١١].

كُنتُ فيمن بَقِيَ في المسجد حان وقت الصَّلاة تقدَّم المُؤذِّن ليُقيم الصَّلاة، ولكنَّها إقامة ليست كالإقامات تكبيرات تخنُقها عبرات، وتقطعها دمعات تقدَّم الإمام ليُسوِّي الصُّفوف بِقلبٍ مرهوف. قال : استووا؛ فانفجر الكُلُّ بالبُكاء، وما لنا لا نستوي لربِّ الأرض والسَّماء.

كبَّر تكبيرة الإحرام، وانخرط بالبُكاء، وتتابع الناس يبكُون. يبكون على شيخ دار وعالم من الأخيار، يبكون على شيخ فقدُوهُ ولا يدرون عن الخبر الَّذي سيأتيهم عن قريب أخذ الكُلّ يدعون الله لِشَيخِهم، ويدعون على من اعتدى عليه دعواتٍ

مصحوبةٍ بِدَمعاتٍ وأنَّات، أكملنا الصَّلاة، وبعدها بأوقات جاء الخبر الحزين أنَّ الشَّيخ قد مات.

الشيخ مات خبر نزل على القُلُوب كصاعقةٍ من السَّماء.

الشَّـــيخُ مـــات عبـــارةٌ مـــا خِلتُهـــا ... إلَّا كصـــــاعقةٍ عـــــلى الوِجـــــدانِ
الشـــيخ مـــات أمـــا لـــديك عبـــارة ... أُخـــرى تُعيـــد بِهـــا اتِّـــزان جنـــاني
الشـــيخُ مـــات صـــدقت إنِّي مُـــؤمِنٌ ... بِـــــالله مَجبـــــولٌ عـــــلى الإذعـــــان
الشَّـــيخُ لا بَـــل قلعـــةُ العلـــم الَّتـــي ... ملئـــــت بِـــــرأي صـــــائِبٍ وبيـــــان

انقسم الناس عند الخبر أقسام :

أمَّا عن البادِئين والعوام فقد علت منهم الأصوات والأنَّات، وصار البعض يبكي بكاء الطِّفل الفجيع.

والقسم الثاني من النَّاس لم يدخل في قُلُوبهم اليأس، وكأنَّ الشيخ سيعود والخبر مكذوب.

والقسم الثالث من العُقلاء لم ينسوا الدُّعاء، فأخذوا يُردِّدُون وهم للعَبَراتِ يُكابِدون اللَّهُمَّ أجُرنا في مُصيبتنا هذه واخْلف لنا خيراً منها، والكُلُّ في فِعلِهِ معذُور، وبِإذنِ اللهِ مَأجور.

ولكنَّهُ فِراق المحبوب جعل الفُؤاد يذوب، وأيُّ قلبٍ قاسي يرى أو يسمع هذه المآسي، ولا يبكي ولا يلين إلَّا الحاقدين الحاسدين؛ فيفرحون بِمَوتِ العُلماء، وبِقَتلِ الصُّلحاء، وهُم في الوِزر شُركاء، وما الله بِغافلٍ عمَّا يعمل الظَّالمون.

تـــأبى القُلُـــوب المُســـتكنَّةُ للأســـى مـــن أن تكـــون حجـــارةً وحديـــدا

حينها سمعنا من يتكلَّم في المكرفون، فتقدَّم الجميع، وهُم مُتلهِّفون لعلَّ خبراً جديداً ينقص الأوجاع ولا يزيد.

فإذا بالمُتكلِّم الشَّيخ محمد بن أحمد الخُدشي حفظه الله يقول:

الخبر أكيد، فلا مفرَّ منهُ ولا محيد، ثُمَّ صبَّرنا بكلامٍ سديد، وتلا على مسامعنا أحاديث وآيات، وأنَّ مصير الكُلّ الممات، فالله الله الثَّبات الثَّبات.

وقال : لا تستعجلوا في القضيَّة، فهُناك أيادي خفيَّة؛ فحافظوا على اللِّسان، ولا ترموا أحداً بالاتِّهام.

وذكر لنا أنَّهُ في وقت القتلة، أخذته من النَّوم غفلة، فرأى شيخَهُ الكريم يبتسم ابتسام الحنون الرَّحيم، وهو يقول : أنا سأقيم الدُّروس أنا سأقيم الدُّروس.

خبر القتلة

أمَّا عن خبر القتلة، فقد وصلنا الخبر أنَّ الله أمكن منهم، وتمَّ القبض عليهم.

مرُّوا مذعورين يمشون بسرعة كالمجانين باتِّجاه لحج، فسلَّط الله عليهم من يتبعهم ليوقفهم فأبوا الوقوف ومضوا هاربين؛ فأسرعوا في مطاردتهم، ولا يدرون أنَّ هؤلاء قتلوا الشَّيخ عبد الرحمن رموا سيَّارتهم بالرَّصاص في عجلاتها؛ فانقلبت بهم السَّيارة في مكان قريب من مدينة لحج في قرية جلاجل.

أخذ المُطاردون القتلة إلى مستوصف صبر لإسعافهم، ولا يعلمون بجريمتهم، ولكنَّ الله سلَّطهم عليهم.

وعندما سمع الإخوة الخبر تحرَّكوا من كلِّ حدبٍ وصَوب، ثُمَّ جاءت قوَّة من الجيش، وتم تسليم الجُناة إليهم، وتم تسليمهم للقوَّات المُختصَّة بالنِّقاط للتَّحقيق معهم، وإلى الآن لم يأتِ خبر عن القتلة ومصيرهم.

أمَّا عن الشَّيخ -رحمه الله-، فقد تم إسعافه إلى مستشفى الوالي في عدن، ولكن الحمد لله على كل حال ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾.

إنَّ الطبيبَ بِطِبِّهِ ودوائِهِ ... لا يستطيع رد مكروهٍ أتى

لحظاتٍ يسيرة، وطار الخبر في كُلِّ مكان عبر الجوَّالات والإذاعات والصُّحُف، وأعلنت به بعض القنوات.

مُصابٌ ليس يشبهُهُ مُصاب ... لذي الألباب إذ فُقِدَ الشِّهاب

إمـــامٌ قـــد حـــوى مـــن كُـــلِّ علـــمٍ كُنُـــوزاً نحوهـــا يســـعى الرِّكـــابُ
ليبكـــي كُـــلُّ ذِي علـــمٍ عَلَيـــهِ فكـــم علـــم لـــهُ ضـــمَّ الـــتُّراب

عادت السَّيَّارة تحمل جنازة الشَّيخ في موقف مُحزن وأليم كأنِّي انظر الآن، والكُلّ فيه مُصاب كبار السِّن ـ الشباب ـ الصغار ـ النِّساء.

فالنـــاس كُلُّهـــم لفقـــدِكَ واجِـــدٌ في كُـــلِّ بَيـــت دمعـــةٌ وزفـــيرُ

الجميع يئِنُّون ويبكون، وعلى قاتليه يدعون، ولا تسمع إلَّا إنَّا لله وإنَّا إِلَيه راجعون.

عزيـــزٌ علينـــا فقـــدُهُ وفِراقُـــهُ لكـــن هـــي الآجـــالُ لـــن تتـــأخَّرَا

اتَّجهت السَّيَّارة بجثَّة الشيخ إلى مسجدِهِ الَّذي أسَّسهُ على العلم والهُدى، وعلى الاتِّباع والسنَّة، وأنزل عليه -رحمه الله- إلى مغسلة الأموات في صرح المسجد.

فتمَّ تغسيله وتكفينُهُ من إخوةٍ فُضلاء بشَّرونا ببشارات، وعلامات ظهرت على وجه الشَّيخ -رحمه الله- زاد في وجهه الجميل جمالاً.

حتَّى إنَّ بعض المشايخ وبعض الإخوة كان لهُم رأيٌ أنَّ الناس ينظرون إلى وَجهِ الشَّيخ، ويُسلِّمون عليه واحداً واحداً؛ لتكون نظرات الوداع، وليتَّعِظ الناس بِحُسن الختام، ولكن ما إن تُكلِّم بهذا الكلام حتَّى تزاحم الناس إلى الأمام، وكادوا أن يختنقوا من كثرة الزِّحام.

فتمَّ تعديل الرَّأي أن يحمَل الشَّيخ إلى بَيتِه ليُسلِّم عليه الأهل والأقارب، ثُمَّ عادوا بِهِ إلى المسجد للصَّلاة عليه وكان المسجد قد امتلأ بالمُصلِّين، ثُمَّ امتلأ الصَّرح الخلفي للمسجد و الصَّرح الغربي، وصلَّى البعض خارج المسجد.

عُلُـــوٌّ في الحيـــاة وفي المـــماتِ بِحَـقٍّ أَنـتَ إحـدى المكرُمـات
كَأَنَّـــك واقـــفٌ فـــيهم خطيبـــاً وَهُـــم وقَفُـــوا قِيامـــاً للصَّـــلاةِ

هذا الجمع العظيم يُذكِّرُنا بقول رسولنا الكريم كما جاء عند الإمام مسلم، وعند الإمام أحمد والتِّرمذي، والنَّسائي، وهو في صحيح الجامع للألباني رَحمةُ الله على الجميع من حديث أُمِّ المُؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قال : «لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَيُصلِّي عَلَيهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسلِمِينَ يَبْلُغُوا أَنْ يَكُوْنُوا مَائةً، فَما فَوقَهَا فَيَشْفَعُوا لَهُ؛ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ».

وفي حديثٍ آخر : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُوْنَ بِالله شَيئَاً؛ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ».

رواهُ أحمد وأبو داود، وهو في صحيح الجامع للألباني

وفي لفظٍ : مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاس إِلَّا شُفِّعُوْا فِيهِ رواهُ النَّسائي وهو في صحيح الجامع للألباني.

ففي هذه الأحاديث بشارات، ويا لها من بشارات، فقد صلَّى على شيخنا أُلُوف، وليس مئات، وغالبهم من طُلَّاب العلم الفُضلاء، ومِن حُفَّاظ القُرآن الكريم، ومن

الدُّعاة والمُصلِحين، ومن العوام الطَّيِّبين، وحضر بعض المسؤولين تقدَّم للصَّلاة عليه صهره الكريم الأخ الفاضل عمر الضالعي -حفظه الله- إمام مسجد الدَّار، فما إن كبَّر تكبيرة الإحرام حتَّى انفجر بالبُكاء، وهو يرى شيخه بين يديه، وقد كان يُصلِّي خلفه في الصلوات، واليوم ينظر إِلَيه من الأموات، فارتجَّ المسجد بالبُكاء، وهم يبتهلون بالدُّعاء لربِّ الأرض والسَّماء أن يرحم الشَّيخ الوقور، ويجعل لهُ في قَبرِه نوراً إنَّهُ رحيمٌ غفور.

سلَّم تسليمة الوداع إنَّها اللَّحظات المُؤلِمات والأوقات المُحزنات.

تَسارع الناس لحمل نعشه الكريم ألوف من الناس يحملونه بالحُبِّ والتقدير واحتساب الأجر من العليِّ الكبير.

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

منظر مهيب وموقف رهيب ألوف من المُسلمين يتزاحمون في جنازة شيخهم ومعلِّمهم وعالمهم ومُفتيهم :

نظرتُ إليه فوق أعواد نعشه بمطروفة حرَّى تحور وتهتدي
فجاشت إليَّ النَّفس ثمَّ رددتها إلى الصَّبر فعل الحازم المُتجلِّد
ولو يفتدي مَيْت لحَيٍّ فديتُهُ بِنَفسي ومالي من طريفٍ ومتلدِ
ولكن رأيتُ الموت يمسي رسوله ويُصبح للنفس اللَّحوح بمرصَدِ

حينها يتجلَّى لنا قول إمام أهل السُّنَّة صاحب المِحنة الإمام أحمد بن حنبل عليه رحمة الله: بيننا وبينهم يوم الجنائز ((أي أهل البِدَع)).

كانت الصَّلاة على الشَّيخ بعد صلاة العصر ثُمَّ حملوه على الأكتاف.

ولـيس صريـر الـنَّعش مـا تسـمعونه ولكنَّـه أصـلاب قـوم تقصَّـفوا

ولـيس نسـيم المسـك ريـح حنوطـه ولكنَّـــه ذاك الثَّنـــاء المُخلَّـــق

وصل المُشيِّعون بالجنازة إلى المقبرة.

ومن شِدَّة الزحام، وتجمُّع الناس فوق القبر سقط التراب إلى القبر، وامتلأ القبرُ تراباً، ولعلَّ الله أراد بذلك خيراً، فلله الحكمة في كل شيء حينها عادوا لحفر قبر جديد، فأدرك جنازة الشَّيخ من كان تأخر في الطَّريق.

وفي هذا الوقت تكلَّم أحد الإخوة الفُضلاء الشَّيخ عبد الرحمن السَّقَّاف -حفظه الله بموعظة- بليغة رقَّت لها القُلُوب، وذرفت لها العُيُون خاصَّة، والناس إلى قبر الشَّيخ ينظرون، وإلى جسده يتأمَّلون.

تـردَّى ثيـاب المـوت حمـراً فـما أتـى لهـا اللَّيـل إلَّا وهـي مـن سـندس خضـر

إن شاء الله هذا الرَّجاء من رب العالمين أن يُكرِم شيخنا الكريم.

وفي يوم الجنازة تاب من تاب، وأناب من أناب، ورجع إلى الله أقوام لم يكونوا لقدر الشَّيخ يعرفون.

وكانـــت في حياتـــك لي عظـــات فأنـــت اليـــوم أوعـــظ منـــك حيَّـــاً

أذن المُؤذِّن لصلاة المغرب؛ فصلَّينا خارج المقبرة، تقدَّم الشَّيخ الخضر البيضاني -حفظه الله-، فصلَّى بنا صلاة بخشوع وخُضُوع، وبعد الصَّلاة جاءت آخر اللَّحظات وداعاً أيُّها الشَّيخ وداعاً أيُّها الاب الحنون.

أنزل الشَّيخ إلى قبره أنزل إلى لحدِهِ، وتم دفنُه بالتُّراب حينها تذكَّرنا قول فاطمة بنت نبيِّنا -عليه الصَّلاة والسَّلام- : يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله -ﷺ- التُّراب، وهو الرَّحمة المُهداة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن والاه.

نعم موقف صعب، والله ولكن هي سُنَّة الله، وقد دُفِنَ خير خلق الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحبه ومن والاه.

وضعنا التُّراب على شيخنا -رحمه الله-، وودعنا وجهه البشوش الرَّحيم.

وقبرت وجهك وانصرفت مودِّعاً ... بأبي وأُمِّي وجهك المقبور

عجباً لأربع أذرُعٍ في خمسةٍ ... في جوفها جبل أشمّ كبير

وَضَعَ عليه التُّراب أعزّ الناس من الأصحاب.

فيا قبر الحبيب وددتُ أنِّي ... حملتُ ولو على عيني ثراكا

سقاك الغَيث تهتاناً وإلَّا ... فحسبي من دُمُوعي ما سقاكا

ولا زال السَّلام عليك منِّي ... يزفُّ النَّسيم إلى ذراكا

تمَّ تسوية التُّراب على قبره، وبدأ الناس بالانصراف.

كان الوقت بالقُرب من صلاة العشاء، ونحنُ عند القبر في الظَّلماء لا أسمع إلَّا صوت الرِّياح تحرك أطراف الأشجار الهدوء ساد المكان إلَّا من مكان بعيد أسمع صوت الأذان بمختلف الأصوات والألحان، فكان لِزاماً أن نُجيب النِّداء، وأن يعود الكُلّ من حيث أتى، فكلَّما حاولتُ الانصراف نظرتُ إلى الخلف إلى قبر الشَّيخ الحنون الذي كان يصعُب علينا فراقه إذا سافر سفراً قريباً، ويطول الوقت حتَّى يعود، فكيف الآن والسَّفر طويل ؟!

أقـــول لَمَّـــا وقفـــتُ بِقَـــبرِهِ عليـك سـلامُ الله يـا صـاحب القـبر
وقـد كُنـتُ أبكـي مـن فراقـك ليلـةً فكيـف وقـد صـار الفـراق إلى الحشـر

عُدنا إلى المركز مع صلاة العشاء، فلمَّا رأينا آثار الشيخ عاودنا البُكاء، فلامنا بعضُ الحاضرين، وقال : كونوا بقضاء الله من المُؤمنين، فقُلنا لهُ بقلبٍ حزين لسنا من المُتسخِّطين، ولا لقضاء الله من الكارهين، ولكن كما جاء عن الأوَّلين

لعمـرُك مـا للنـاس في المـوت حيلـة ولا لقضـــاء الله في الخلـــق مـــدفع
ولكِـنَّما أبكـي عـلى العلـم إذ مضـى فـما بعـد شـيخي فيـه للنـاس مفـزع
فقـــد تـــرك الـــدُّنيا وفـــرَّ بِدِينـــه إلى الله حتَّـــى مـــات وهـــو ممتـــع

فقال النَّاصح الجليل: لا ألومكم على البُكاء، ولكن ألومكم على التَّطويل في البُكاء، فابكوا قليلاً، ودعوا التَّطويل؛ فقد مات فُلان وفُلان من النَّاس الصَّالحين،

والأقوام الخَيِّرين، فقُلنا لهُ : اسمع يا مسكين، عن سرِّ التَّطويل اسمع قولاً ليس بالأباطيل.

الموتُ بابٌ وكُلُّ الناس داخِلُهُ ... لكنَّ ذا الفضل محمولٌ على عجلِ

وليسَ فقدُ إمام عالمٍ علمٍ ... كفقد من لَيس ذا علمٍ ولا عمَلِ

وليس موتُ الَّذي ماتت لهُ أُمَمٌ ... كمَوتِ شخصٍ من الأوغادِ والسَّفلِ

لأجل ذا طال منا البُكاءُ وانحدرت ... منا الدُّموع كسيلٍ وابِلٍ هَطِلِ

على إمامٍ هُمامٍ فاضِلٍ فَطِنٍ ... حِبرٌ لبيبٌ ملاذٌ للعُلُوم ولي

لهُ وردت بحر الهدى وروت ... حديثه عن فُنُون السَّادةِ الأُوَلِ

فدخلنا المسجد، وصلَّينا العشاء وبعد صلاة العشاء بقي في المسجد من بَقِي من الطُّلَّاب، وعاد إلى بَيتِهِ من عاد ليُؤنس الأهل والأولاد.

أمَّا العَشاء، فلا نُريد العَشاء ـ كما قد نسينا قبله الغداء.

جئتُ إلى الفراش لأنام، وكأنَّني في أحلام، ويا ليتها أحلام.

تطاول ليلي لم أَنَمْهُ تقلُّباً ... كأن فراشي حال من دونه الجمر

فليتك كُنتَ الحيّ في النَّاسِ باقياً ... وكُنتُ أنا المَيْتُ الَّذي غيَّب القبرُ

أذَّن المُؤذِّن لصلاة الفجر، فقام الناس ابتغاء الأجر.

اتَّجهنا إلى المسجد للصَّلاة، فرأيتُ الناس في حُزنٍ عميق؛ لأنَّهُ اقترب وقتُ الصَّلاة، وكان الَّذي يدخُل من الباب ليُصلِّيَ بِنا صلاة الفجر هُوَ الشَّيخ -رحمه الله-.

يعـــز عَـــلَيَّ حـــين أُديـــر عينـــي أُفَـــتِّشُ في مكانـــــك لا أراكـــــا

في هذه اللَّحظات أُقِيمَت الصَّلاة، فالباب مسدود، والشَّيخ لن يعود.

تقدَّم وصلَّى بنا الشَّيخ عبد الله الوحيشي -حفظه الله-، فقرأ آياتٍ عظيمات من سورة آل عمران حتَّى وصل إلى قَولِهِ -تعالى- :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

[آل عمران : ١٤٤].

بكى وانفجر بالبُكاء؛ فهاج الناس على البُكاء، وكانت في هذه الآيات موعظة وتصبير كيف لا ؟ وهو كلامُ العليِّ الكبير.

أعـــيُن النـــاس باكيـــات كـــأنَّ الله أبـــدى لهـــا الحُسَـــين قتـــيلا

وفي هذا اليوم وما بعدهُ لأكثر من شهر.

توافد الناس إلى دار الحديث بالفُيُوش ليُشاركونا في العَناء ويُؤنِسونا بالعزاء؛ فجزاهم اللهُ عنَّا خير الجزاء.

وكان بعد كُلِّ صلاةٍ يقوم أحدُ الإخوةِ الفُضلاء من الزَّائرين الوافدين ليُلقي علينا كلمة تصبير من أحاديث البشير النَّذير، أو آياتٍ بيِّناتٍ من كلام العليِّ القدير.

فما إن يبدأ بِكلامِه حتَّى تخنُقهُ العبرة بالبُكاء؛ فيُهيِّج بكاء من في المسجد من الحاضرين، ومن خارج المسجد من المُستمعين.

وهكذا كُلَّما جاءنا من يُصبِّرنا كان أحوج منَّا إلى التَّصبير، فلمَّا شعر الناس بالعناء، قام أحدُ المشايخ الفُضلاء الشَّيخ الخضر البيضاني جزاهُ الله خير الجزاء.

فقال : أيُّها الفُضلاء من النَّاصحين والواعظين من عَلِمَ من نَفسِه البُكاء؛ فلا يزدنا في العناء، فإنَّ العِبرة من الكلمة التَّصبير والعزاء، وليس تهييج الناس على البُكاء.

حينها صارت الكلمات عن الصَّبر والثَّبات، وأنَّ مصير الكُلِّ الممات.

وتكلَّم مُعظم مشايخ الدَّار، وأنَّهُ لابُدَّ من الصَّبر والثَّبات حتَّى نلقى الله عند الممات.

رسالة من الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى إلى خصومه الذين آذوه في هذه الحياة

هذه الرسالة أنقلها إلى خصوم الشيخ الذين آذوه في هذه الحياة بغير حق.

يا هؤلاء رحمة بكم، وشفقة عليكم والله، مادام في العمر متسع. فإن حقوق العباد محفوظة إلى يوم المعاد، وتذكروا جيدا ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة غافر:١٧]. وتذكروا يوم القصاص يوم تعض النملةُ النملةَ عظتها في الدنيا ويُقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء نطحتها.

هذه الرسالة هي عبارة عن كلمة قالها شيخنا عبد الرحمن غفر الله له وقد ذُكر له بعض خصومه الذين آذوه في هذه الحياة وقيل له ما الحل معهم يا شيخ فقال -غفر الله له -:بيني وبينهم يوم القيامة وقال: لي ولهم وقفة بين يدي الله تعالى.

وقتل بعدها غفر الله له وذهب إلى مولاه -سبحانه جل في علاه- ولكنه سيأتي في يوم التغابن إن شاء الله يقول :

يا رب سل هذا لم قتلني ؟

يا رب سل هذا لم ظلمني ؟

يا رب سل هذا لم اغتابني ؟

يا رب سل هذا لم بدَّعني وحزَّبني ؟

يا رب سل هذا لم حرَّش الناس عليّ ؟

فيا ويل من كان خصمه العلماء ويا خيبة من قدم على مولاه وقد تعدى وظلم وبغى وسلط لسانه أو بنانه لظلم العباد

فيا مصيبة ظلم القول

وظلم الفعل أعظم

ويا خيبة من تكلم في الشيخ تقليدا لفلان أو تقربا إلى فلان أو خوفا من فلان أو لحظوظ نفس أو لأي شيء من الأمور الباطلة.

حينها يندم في ساعة لا ينفع فيها الندم وحينها تعلمون أنه قد ضرَّكم من غرَّكم

﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٤١-٤٢].

قصة الكنز الذي وجد في بيت الشيخ بعد موته

هذا الكنز العظيم ليس مما يكتنز الناس من متاع الدنيا وزينتها كلا فإن لشيخنا رحمه الله تعالى حياة غير حياة عُبَّاد الدينار والدرهم فقد أتته الدنيا بملذاتها فقال إليك عني غرِّي غيري فما هي قصة الكنز الذي وجد في خزنته غفر الله له؟

من المعلوم في هذا العصر أن أغنياء الناس يتخذون خزنة من حديد ثقيلة الوزن يصعب حملها حفاظا على أموالهم أما شيخنا غفر الله له فقد اتخذها في بيته ووضع فيها أغلى ما يملك فماذا وضع فيها؟

يحدِّثنا شيخنا الكريم عبد الله بن مرعي -حفظه الله- شقيق شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- عن قصة الخزينة وما وجد بداخلها.

قال حفظه الله وعافاه: كان الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- كثير القراءة قليل الراحة، أكثر وقته في قراءة الكُتب، ومن يقف على مكتبته لا يكاد يمسك دمعه إذ لا يكاد يرى كتاباً إلا وله فيه تعليق بخط يدِه رَحِمَهُ الله رحمةً واسعة، وقد حرص الإخوة وحرصت معهم على جمع تركة الشيخ العلمية من شروحه وفتح لي أبناؤُه -حفظهم الله تعالى- مكتبته؛ فتفقدت الكثير من الكتب، فما وجدت كتاباً إلَّا ولهُ فيه تعليق، وما وجدت رفًّا إلا وفيه كتاب ومذكرة وفيها كتابة بخط يدِهِ، ورأيتُ خزنة، فمن حرص

أبناء الشيخ وأمانتهم جزاهم الله خيراً لم يفتحوها، فلمَّا فتحتُها فوجِئتُ بأنَّ فيها كراريس بخط يده في التفسير وفي الحديث وفي الفقه رحمه الله رحمةً واسعة، فمن أعمر وقته بالحرص على العلم؛ فهذه ثمرتُه، ولذلك عرف قدره شيخنا مقبل -رحمه الله-، وحُق أن يُحيل لهُ في الفتوى والنوازل ... إلخ

فرحم الله شيخنا عبد الرحمن -رحمه الله- فإنه خلَّف درساً عملياً تربوياً لأهله وطُلَّابه ومحبيه بل إنه درس للعلماء وطُلَّاب العلم والعبَّاد والزهَّاد أن العناية بالعلم وبتأليفه وكتابة فوائده لهو أعظم من كنوز أهل الدنيا الذين يتركونها لورثتهم ويحاسبون عليها في آخرتهم.

بعض ما رُؤِيَ للشيخ -رحمه الله- في حياته وبعد مماته

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[يونس : ٦٢-٦٤].

سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- عَنْ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قَالَ : مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ قَبْلَكَ مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- عَنْهَا، فَقَالَ : «مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ؛ هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تُرَى لَهُ». الصحيحة (١٧٨٦)

وقد جاء في شأن تعظيم الرُّؤيا الصَّالحة أحاديث كثيرة تزيد على الثَّلاثين حديث، فمنها ما رواهُ البُخاري من حديث أبي هُرَيرة -رضي الله عنه- قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- يَقُولُ : «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا : وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ».

وعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-، قَالَ : «لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ ؟ قَالَ : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الرَّجُلُ، أَوْ تُرَى لَهُ». رواهُ الإمام أحمد، وقال الألباني : إسنادُهُ جيد على شرط مسلم (٢٤٧٣) الإرواء

تنبيه : الرُّؤيا لا يُبنى عليها حُكم شرعي من تحليل أو تحريم ... إنَّما كما مرَّ سابقاً هي عاجلُ بُشرى المؤمن، والله وليُّ التَّوفيق.

وقد رُؤيَ لشيخنا -رحمه الله- رؤى كثيرة جدًّا سواء في حياته، أو بعد مماته اكتفيتُ هُنا بنقل اليسير منها فمنها :

رؤيا رآها الشَّيخ -رحمه الله- بنفسه قبل موته بمُدَّة

حدَّثني الشَّيخ عبد الله القادري -حفظه الله تعالى- أنَّهُ في إحدى زياراته للشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- قال لهُ الشيخ عبد الرحمن : لقد رأيتُ شيخنا مُقبلاً -رحمه الله- في المنام وهو يقول لي : يا أبا عبد الله، حافظ على غنمك؛ فإني استودعت غنمي شخصاً فضيَّعها.

رؤيا رُؤيَت للشيخ في حياته تبشِّر بصفاءِ منهجه وانتشار علمه ودعوته

حدَّثني الشيخ الخضر الملجمي البيضاني -حفظه الله تعالى- : أنَّهُ رأى رؤيا للشيخ عبد الرحمن قال : كُنتُ في دمَّاج قبل فتح دار الحديث بالفُيُوش فرأيتُ كأنِّي أمشي أنا والشيخ عبد الرحمن في مكان فيه صُعُود، وكان الشَّيخ يمشي صاعداً المكان بسرعة وقُوَّة حتَّى وصلنا إلى أعلى المكان، وإذا به مكان مستوٍ، وفيه آثار مطر، وإذا بِحُفَر مملوءة من ماء المطر الصَّافي، وأنَّ هذه الحُفَر المليئة بالماء الصَّافي للشيخ مقبل -رحمه الله- ؛ فإذا بالشَّيخ عبد الرحمن رحمه الله يأخذ حديدة في يدِه، ويحفر كذلك حُفَراً أُخَر بجانب

هذه الحُفَر للحفاظ على مزيد من الماء الصَّافي، فسألتُ أحد الإخوة المُعبِّرين للرُّؤى في دار الحديث بدمَّاج وهو الأخ السُّفياني، ولم أُخبِرهُ من الَّذي كان معي في الرُّؤيا؛ فقال لي : إنَّ هذه الرُّؤية طيِّبة، ولا تتحقَّق إلَّا على الشَّيخ عبد الرحمن العدني، وهذه خير بإذن الله -تعالى-.

رؤيا أخرى رؤيت للشيخ بعد موته رحمه الله

حدَّثني الشيخ أنيس المهندس -حفظه الله تعالى- : أنَّهُ رأى رؤيا للشيخ عبدالرحمن بعد موته قال : رأيتُ الشيخ عبد الرحمن بهيئَتِه الَّتي نعرفه بها، وقد دخل من بوابة المسجد (المركز) الَّتي عند حلَّاية الماء، وكان هُناك حارس بعيداً عن الشَّيخ، فقُلتُ له : يا شيخ، أمَّا الآن فأكثر من اتِّخاذ الحُرَّاس، قال : فقال بيدِهِ هكذا (ينفُضها) وهو يقول : دعك من هذا دعك من هذا.

رؤيا أخرى

حدثني الأخ إبراهيم ولد الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى أنه رأى والده الشيخ عبد الرحمن وهو جالس في الغرفة التي في مقدمة المسجد التي قتل الشيخ فيها قال فقلت له لماذا يا أبي لم تصلِّ الظهر مع الناس؟ فقال الشيخ يابني قد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الشيخ مقبل والشيخ الوصابي.

رؤيا أخرى

حدثني الشيخ خالد الوصابي إمام مركز الخير بصنعاء حفظه الله تعالى قال رأيت لشيخنا عبد الرحمن رحمه الله تعالى رؤيا طيبة جدا رأيته في مكان بصورته التي أعرفه بها وهو في غاية الجمال فعانقته وضميته ضمة المشتاق إلى أخيه فقلت له كيف حالك ياشيخ قال الحمد لله أنا مرتاح الحمد لله أنا مرتاح ويرفع يديه إلى السماء ثم قال الحمد لله أني قتلت مظلوما لا ظالما وأوصي أهل السنة أن يصبروا.

رؤيا أخرى

حدَّثني الأخ الفاضل عبد الهادي بن محمد بن يوسف الرَّدفاني -حفظه الله تعالى- قال : ذهبتُ للعُمرة في هذا العام ١٤٤٠هـ ومعي أحد إخواني في الله مُرافق لي، فرأيتُ في مكَّة رؤيا للشيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، وكأنِّي في دار الحديث بالفُيُوش، وإذا بالشَّيخ عبد الرحمن قد خرج من قبرِهِ حيًّا ومعه ما يُقارب ثلاثين حارساً؛ فخرج من المقبرة، واتَّجه نحو مسجد المركز، فقُلتُ لصاحبي هل هذا الخبر صحيح خرج الشَّيخ عبدالرحمن من قبره حيًّا أم أنا في النوم، وفي أحلام ؟ ! فقال لي : بل هو صحيح كما ترى قال : وكان الشيخ يمشي والناس يمشون حوله؛ فدخل بيته وتوضَّأ، ثُمَّ خرج ودخل مسجد المركز، فقُلتُ لصاحبي أُحِبُّ أن أُسلِّم على الشيخ عبد الرحمن؛ فإنَّهُ يعرفني فقال لي : المعذرة لا تستطيع فإني قد ساعدتك حتَّى أوصلتُك إلى عند الحجر

الأسود، ولكن هنا لا تستطيع قُلتُ لهُ : لماذا ؟ قال : لقد حضر في المسجد للشيخ جمع كبير، والشيخ جاء ليُحاضرهم محاضرة بعنوان (القبر أول منازل الآخرة).

رؤيا أخرى

حدَّثني الأخ الفاضل وليد اليزيدي -حفظه الله تعالى- قال : بعد موت الشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- بثلاثة أيَّام كُنتُ نائماً في المسجد، فرأيتُ الشَّيخ عبد الرحمن مُتَّكِئاً إلى سارية ماد لرجلَيه واضع رجله اليُمنى على اليُسرى يُكلِّمهُ اثنان من الإخوة، وإذا بأحدهما أهدى إلى الشيخ عِطراً، فأقبلتُ على الشَّيخ وقبَّلتُه في رأسه، وقُلتُ الحمد لله على سلامتك شيخنا؛ فقال لي : نحمد الله يا وليد، وتعجَّبت أنَّهُ لم يَمُت وأنَّهُ يعلو على وجهه النُّور، فقُلتُ لهُ : شيخنا أين الإصابات، ومكان الرَّصاصات أين هي ؟ فقال لي وهو يبتسم : ((لا والحمد لله ... ثُمَّ سألتُه عن حالِهِ عُمُوماً فقال لي بِكُلّ أريحيَّة، والابتسامة تعلو وجهه : ((الحمد لله أنا بخييير، ومرتاااح، وأُمُوري طيِّيبة والحمدُ لله))، -وتكرار الحُرُوف- يعني يَمُد بِها صَوته -رحمه الله-، ثُمَّ انفرد بي، وسارَّني بكلامٍ مفادهُ أنَّه متخوِّف على طُلَّابِه من هؤلاء المُعتدين، وبينما كُنَّا نتكلَّم إذ ناداهُ رجل كأنَّهُ أبوه فمشى، وأنا أنظر إليه حتَّى دخل قصراً جميلاً جدًّا مبنِيًّا من الذَّهب، وحول القصر حدائق وأشجار خضراء ونخيل حتَّى غاب عنِّي -رحمه الله-.

رؤيا أخرى

حدَّثني الأخ الفاضل الرَّصَّاص بن أحمد البيضاني -حفظه الله تعالى- أَنَّهُ رأى للشيخ عبد الرحمن -رحمه الله- رؤيا في حياته نفس الرُّؤيا المشهورة الَّتي رُؤِيت لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- قال : سألتُ أحد المُعبِّرين؛ فقال هذا إن شاء الله عارٍ من الذُّنُوب، وسألتُ كذلك مُعبِّراً آخر فقال لي : إن شاء الله هذا عارٍ من الذُّنُوب، وسيتزوَّج فما هي إلَّا أيَّام حتَّى تزوَّج الشيخ -رحمه الله- بالزوجة الثَّالثة، فتحقَّق جزء من الرُّؤيا في الدُّنيا، ونسأل الله -تعالى- أن يُحقِّق المغفرة للشيخ -رحمه الله-.

رؤيا رأيتها لشيخنا

وقد رأيتُ أنا كاتب هذه السُّطُور لشيخنا غفر الله لهُ رؤيا مُفيدة، وذلك بعد إتمامي لكتابة هذه التَّرجمة، وبينما كُنتُ نائماً إذ رأيتُ الشَّيخ غفر اللهُ لهُ أقبل نحوي بصورَتِه الطَّيِّبة وثيابه النَّظيفة؛ فكلَّمني ونبَّهني على شيء كُنتُ كتَبتُه في التَّرجمة وأشار عليَّ بتعديلِه؛ فاستيقظتُ من نومي، وقلَّبتُ أوراقي؛ فوجدتُ ما كان أشار عليَّ به الشَّيخ فعدَّلتُه، وقُلتُ غفر الله لك شيخنا أفدتَّنا حيًّا وميِّتًا.

بعض ما قيل من الأشعار في رثاء الشيخ -رحمه الله-

كان الشيخ -رحمه الله- لا يُحب المدح والثناء، وكان يكره هذا جدًّا، وخاصَّة في شعر الشُّعَراء؛ بسبب ما عاناه -رحمه الله- من بعض سُفهاء الشُّعراء أيَّام الفتنة من غُلُوٍّ في المدح، وعدم العدل في الذم والقدح، ولهذا كان الشيخ -رحمه الله- لا يسمح لأحدٍ من الشُّعراء أن يمدحهُ في شِعره فضلاً عن أن يُقدِّم للشاعر أو يشكره على شعره.

كل هذا بفضل الله عند الشيخ -رحمه الله- لا يوجد؛ لأنَّ في كثيرٍ من الشُّعراء غُلواً في الأشخاص إلَّا من رحم الله.

فلمَّا أن قُتِلَ -رحمه الله- رثاه كثير من الشُّعراء تعبيراً منهم لبعض مشاعرهم باتِّجاه شيخهم الكريم، ومعلوم أن الشعر حسنه حسن، وقبيحه قبيح.

واقتداءً بِمَن قد ترجموا للعلماء من المُتقدِّمين والمُتأخرين، ونقلوا ما قيل فيهم من شعر الشّعراء سأنقل ما أراهُ مناسباً في هذا المقام كما فعل أسلافُنا الكرام.

جرحتم يا أحبتنا فؤادي

جـــرحتُم يـــا أحبَّتنـــا فُـــؤادي ... بـــذكر الشَّـــيخ لؤلـــؤة العبـــادِ

وهَيَّجـــتُم عُيـــوني فاســـتهلَّت ... بـــدمع ظـــل يـــذرف بازديـــادي

ذكـــرتم شـــيخنا الفـــذّ بـــن مرعـــي ... وقتلتـــهُ عـــلى تلـــك الأيـــادي

فثـــار الحُـــزن في جنبـــات قلبـــي ... كجمـــر ثـــار مـــن بَـــين الرَّمـــادي

فـــوا أســـفى عـــلى شـــيخٍ تـــوارى ... وهـــل أســـفي يبلغنـــي مُـــرادي

لـــو ابيضَّـــت عُيـــوني اليـــومَ حُزنـــاً ... لمـــا ســـلّت مـــدامعها فُـــؤادي

وهـــل يســـلو فـــؤادٌ ذاب حُزنـــاً ... عـــلى شـــيخٍ تربَّـــع في الفُـــؤادي

لقـــد أحببتُـــهُ في الله حقًّـــا ... وأرجـــو نفـــع حُبِّـــي في معـــادي

فـــلا والله مـــا نظـــرَتْ عُيُـــوني ... فقيهـــاً مِثلَـــهُ في ذي الـــبِلادِ

مُلِـــمٌّ بـــالعُلُومِ بـــلا نـــزاعٍ ... كـــما زكَّـــاهُ عالِمُنـــا بـــن هـــادي

صـــغيرُ شُـــيُوخنا سِـــنًّا ولكـــن ... كبـــيرٌ في العُلُـــوم وفي النَّـــوادي

ويعمـــلُ جاهـــداً بـــالوَحيِ دومـــاً ... ويـــدعو النـــاس دومـــاً في جِهـــادي

لقـــد بـــذلَ الـــرَّخيص وكُـــلَّ غـــالٍ ... وضـــحَّى بـــالطَّرائِفِ والـــتِّلادي

وجـــادَ بِنَفسِـــهِ لله حقًّـــا ... لقتـــلٍ في الفُيُـــوش عـــلى الرَّشـــادي

لتبقـــى الـــدَّعوة العُظمـــى قـــوياً ... حثيثـــاً ســـيرُها بـــين العبـــادي

ويبقـــى المـــنهَجُ السَّـــلفي صرفـــاً ... ومُعتـــدلاً يســـيرُ عـــلى ســـداد

عليكم شيخنا تبكي البواكي ... ونذرف أدمُعاً مثل المزادِ
لقد هنَّأت أشياخي بعيد ... يمر على الحواضر والبوادي
ولم تكُ بينهم فتنال حظًّا ... كأشياخي الكرام ذوي السَّدادي
ولكني أقول لكم هنيئاً ... بِما نِلتُم على تلك الأيادي
فخير الناس في الإسلام قطعاً ... قتيل خوارج أهل الفسادي
وأسألهُ الشَّهادة لي وأرجو ... إلهي أن يُبَلِّغني مُرادي

(مرثية الأخ عبد الله بن علي القاضي-حفظه الله تعالى-.)

الوداع الحزين

أضـــلَّ فُـــؤادي نهـــارٌ حـــزين ... وأغـــرق عينـــي ليـــل الأنـــين
وأحـــرق دمـــعُ الأســـى مُقلتـــي ... فـــما كُـــلُّ خَطْـــبٍ علينـــا يهـــون
أفقنـــا عـــلى قتـــلِ شـــيخٍ جليـــل ... عـــلى قتـــل علـــمٍ غزيـــرٍ مُبـــين
وبـــدر أضـــاءَ بـــأرضِ الفُيـــوش ... فهـا هـو قـد غـاب مـن بعـدِ حـين
رحيلُـــكَ يـــا شَـــيخُ هـــزَّ الـــبِلادَ ... وأعيـــىَ العِبـــاد فَـــرَبِّي المُعـــين
بكـــاكَ الصَّـــغيرُ كَـــذَاكَ الكَبِـــيرُ ... بَكَـــاكَ الصَّـــديقُ كـــذا الشَّـــانِئُون
أسرتَ القُلُـــوبَ بخلـــق عظـــيمٍ ... وقلـــبٍ رحـــيمٍ ونهـــجٍ مَتـــين
وعلـــمٍ وحلـــمٍ وحـــزمٍ وعـــزمٍ ... وخَـــيْرٍ وبِـــرٍّ وعقـــلٍ رَزيـــن
وكُنـــتَ رفيقـــاً بِأهـــلِ الهُـــدَى ... وعـــن كُـــلِّ أهـــلِ الهـــوى لا تلـــين
وكُنـــتَ الفَقِيـــهَ وكُنـــتَ النَّبيـــهَ ... وكُنـــتَ الصَّـــدُوقَ وكُنـــتَ الأَمـــين
فَخَـــيْرُكَ قـــد عـــمَّ خلقَـــاً كَثـــيراً ... وفِقْهُـــكَ قَـــدْ بَـــانَ فِي العـــالمين
فَلَـــو كُنْـــتَ تُفْـــدَى أيَـــا شَـــيْخَنا ... لآثَـــرْتُ أنِّي أكُـــونُ الـــدَّفِين
أَيَـــا نَـــاظِراً وجـــهَ شَـــيخٍ كَـــريمٍ ... فَمِـــنْ قَبْـــلِ أَن تـــدفِنُوهُ بِطـــين
رَجَوْتُـــكَ ودِّعْـــهُ عَنِّـــي أخِـــي ... فَلَســـتُ أُطِيـــقُ الـــوَداعَ الحَـــزين

مرثية الأخ حمدي الضَّالعي –حفظه الله تعالى–.

اكتب بدمع القلب

أكتب بِدَمعِ القَلْبِ صَوتَ الأحرُفِ ... مَرثِيَّةً بِالقَلبِ لا بِبَنَانِي

أبدء بِها بالحمدِ أوَّل صَفْحَتِي ... حمداً كثيراً للعظيمِ الشَّآنِ

يُحمَد عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ مَعَ ... يَبْقَى الإلَهُ وَمَن عليها فانِي

وأُثني بالتَّسليمِ مِن بَعدِ الصَّلاة ... تغشى النَّبِيَّ الهادي العَدْنانِي

والآلَ والصَّحب الكِرام نُجُومنا ... بِطريقهم كم يهتدي عُمياني

أنَّ الفُؤادُ بِفُقْدِ شَيخٍ عالِمٍ ... أمَّا العُيُونُ فدمعُها جرياني

قَدْ حَلَّ شَيخي وسط أرضٍ مُقْفِرَه ... فإذا بِها مَملوءةٌ إيماني

وإذا بها تَزْخَر بِسُنَّةِ أحمدَ ... وإذا بها كم حافظِ القُرْآنِي

قد كان شيخي كالغمام على السَّماء ... يهطل بماء العلم كُلَّ مكاني

فبوابِلِ العلمِ الَّذي يهطِل بِهِ ... إذ بِالفَيافِي بُدِّلَت بِجناني

وإذا تكلَّمَ قال قال اللهُ في ... آياتِهِ في محكَمِ الفُرقانِي

أو قال قال مُحَمَّدٌ صلى عليه ... اللهُ يا قَومِي ولد عدنانِي

قد كان شَيخي بالتَّواضُعِ آيةً ... والوجهُ منبسطاً مع الإخواني

يأتي الغريبُ إلَيهِ أوَّلَ مَرَّةٍ ... فَيُحِبُّهُ كَمحبَّةِ الخِلَّانِي

لَمَّا يرى شَيخاً بَدَا مُتبَسِّماً ... مُتواضِعاً وخِطَابُهُ ميزاني

مرثية الأخ سمير القشبري –حفظه الله تعالى–

رحيل يُهدهد شُمَّ الرَّواسي

رَحيـــلٌ يُهَدْهِـــدُ شُـــمَّ الـــرَّواسِي ... وَيَبْعَـــثُ في القَلْـــبِ كُـــلَّ المَـــآسِي

رَحيلُـــكَ مُـــرٌّ أَيـــا شَـــيخَنَا ... وفَقْـــدُكَ صَـــعْبٌ فمـــن ذا يُـــواسِي

ودمـــع العُيُـــونِ كجمـــر الغضـــا ... ويســـرقُ منهـــا هُجُـــوع النُّعـــاسي

فقـــد غـــاب عـــن دوحتـــي نهرُهـــا ... وأضـــحَتْ كقفـــرٍ بـــأرضٍ يَبـــاسي

فأنفاسُـــــنا في اختنـــــاقٍ بـــــدت ... وَكُـــلُّ الحُـــرُوفِ بِـــرَهنِ احتِبـــاسِي

وفي داخـــــلي شـــــهقةٌ حـــــرَّةٌ ... يَضُـــجُّ بِهَـــا الصَّـــدْرُ قَهْـــراً يُقـــاسِي

فَفَقْـــدُكَ يَـــا شَـــيخُ يُـــدمِي القُلُـــوب ... وفيهـــا مـــن الحُـــزنِ ضـــخمُ المقـــاسي

وداعـــــاً وداعـــــاً أيـــــا شـــــيخنا ... فقـــد أظلـــم الكـــون بعـــد الأمـــاسي

مَضَـــــــيتَ إلَى اللهِ في ســـــــاعةٍ ... أذانُ الصَّـــــلاةِ يُنـــــادي أُنـــــاسِي

فـــلماذا اســـتفادوا بقتلـــك مـــاذا ؟! ... وأنـــتَ اعتزلـــتَ الـــدُّنا والكـــراسي

فَأنـــــتَ المُـــــؤدَّبُ في نُصـــــحِهِ ... لِكُـــلِّ المُخـــالِفِ حتَّـــى السِّـــياسي

وللعلـــــمِ تَمضـــــي وفي فرحـــــةٍ ... لنَشـــرِ العُلُـــومِ كبحـــرِ المـــراسي

وتـــــــدعو إلى اللهِ في لهفـــــــةٍ ... وَتُرْشِـــدُنا نَحـــوَ رُكـــنِ الأســـاسِي

مضـــى الشَّـــيخُ لكنَّـــهُ مـــا مضـــى ... فـــذا عِلمُـــهُ شـــامخاً كـــالرَّواسي

بِهَـــدْيِ صَـــحيحٍ ســـليمٍ مَتـــين ... بـــدون ارتبـــاكٍ ودونَ التبـــاسي

أرى منبر التَّدريس

أرى منبر التَّدريس أصبح باكياً ... ومنظر وجه الحُزن قد صار باديا
أرى وجهه بالحُزن كأس من الأسى ... ودمعاً على المُقلات يسري وجاريا
أيا منبر التَّدريس مهلاً ما الَّذي ... كساك بهذا الحُزن فالحُزنُ ساديا
ألم تكُن مسروراً سعيداً وتحتوي ... عُلُوماً غدت بَينَ الأنام مثانيا
ألم يكُن داعي العلم يصدعُ نورهُ ... ومنك جُموع تجتني العلم دانيا
فما بال ثغركَ أصبح اليوم مُظلماً ... وقد كان وضَّاحاً ويحزو فُؤاديا
فأضحى كَئِيبَ الحال يحدو لشَيخِهِ ... يَرُدُّ بِصَوتٍ مُشفِق مُتواليا
إذا رمت تعلم ما ألمَّ بِساحَتي ... أعرني فؤادك واستمع لمقاليا
أتتهُ أيادي الغدرِ تسعى بخُفِّها ... فأردَوهُ مقتولاً على الباب جاثيا
فأصبحتُ كالطِّفلِ اليتيم لِفَرقِهِ ... بغيرِ أبٍ من لي بِرَبِّكَ واليا
فدعني أسِحُّ الدَّمع ترى لعلَّني ... أخَفِّفُ أحزاني فجُرحِيَ داميا
فَمَنْ لِي بِشَيخٍ مثلهُ اليوم ينبري ... فإنِّي لفرقك يا ابن مرعي لباكيا
لَئِنْ قَتَلوا الشَّيخ الكريم بِغَدرِهِم ... فقد قتلوا من كان قبلهُ غاليا
عليًّا وذا النُّورَينِ عثمان ذا التُّقَى ... كذا عُمَرُ الفاروق قد مات تاليا
أيا شَيخِيَ مهلاً لا تدعني فإنَّني ... إلى قُربِكُم صِرتُ الكفيف المُناديا
فقدنا هُماماً ذاع في الناس صِيتُهُ ... فقدنا إماماً في المحاريب تاليا

لئن مِتَّ يا شيخي فما مات عِلمُكُم ... فعِلمُكُم للناس أصبح باقيا

يُريدون قمع الدِّين والنُّور والهُدى ... وأنَّى لهم هذا مُحالاً منالِيا

فيا ربّ أسألُك الثَّبات على الهُدى ... وغُفرانَ ذنبٍ قد جرى بِفِعاليا

وصلَّى إلهُ الكَونِ والصَّحبُ والأُلى ... على خير رُسُلِ الله أحمد هاديا

مرثية الأخ توفيق النخعي -رحمه الله-

شُلَّت يمينك

شُـلَّت يمينُـكَ يـا ذا المُجـرمُ الجـاني ... فجعتنـــا بإمـــامٍ خَـــيرُهُ داني

أَصـلَيتَ كـلّ فُـؤاد حُرقـة وأسـى ... وخـيَّم الحُـزن في أرجـاءِ أوطـاني

مـا أنـتِ وحـدكِ يـا أرض الفُيُـوش فقـد ... بكـى الفقيـدَ هُنـا سـادات إيـمانِ

مـاذا يَريبُـك مـن شـيخٍ غـدا علـماً ... في الفَضـلِ يهـدي إلى نـورٍ وتِبيـانِ

عَمَـدتَ إلى النُّـورِ يـا أعمـى لِتُطفِئـه ... ومـن حسـابك أنَّ الأمـر سـيَّانِ

كـلَّا فـإنَّ عُلُـوم الشَّـيخ باسـقةً ... وطلعُهـا يـا أخـا الإفسـادِ صـنوانِ

بِـالأمسِ جـرح الوصـابي غـير منـدمِلٍ ... واليـوم جُرحكَ يـا شَـيخي هـو الثَّاني

واللهِ مـا قيـلَ إنَّ الشَّـيخ فارقنـا ... إلَّا ورُحـتُ طريحـاً وسـط أحـزاني

مـن ذا يَسُـدُّ مكانـاً كـان يَشـغَلُه ... بِنَفسِـهِ كـان في جـيشٍ وأعـوانِ

ومـن يقـود مـع الأمـواج مركبـة ... فـما وربّـك رُبَّانـاً كَرُبَّـانِ

صـبراً وحسبُك يـا أرض الفُيُـوش فـما ... أحـلى جـزاءكِ في صـبرٍ وسـلوانِ

فلـو رآكِ فقيـدُ الـدَّار باكيـةً ... لقـال لا تحـزني كُـلُّ الـورى فـانِ

وواصـلي الـدَّربَ لا تستسـلِمي أبـداً ... حتَّـى يطيـب لقـاء عنـد رحمـنِ

هُنـاكَ في المـلإِ الأعـلى أحبَّتَنـا ... أهـلُ المكـارم حـول المُصـطفى الحـاني

يـا ربِّ فـاحفظ لنـا بـاقي مشـايخنا ... مـن كُـلِّ كيـدٍ وإجـرامٍ وعُـدوانِ

هُـم نُـورُ أبصـارنا في ليـل ظُلمَتِنـا ... ومـن سـنا نُـورِهِم تـزدان بُلـدانِ

مرثية الأخ أبي خالد أحمد بن عُثمان الحسني -حفظه الله تعالى-.

عظم المصاب

عظم المُصاب وضجَّت الأرجاء ... وتكدَّرت لفراقك الغبراء

وتقطعت أسفاً عليك قُلوبنا ... حين ارتمت في سمعنا الأنباء

ما كان يخطُرُ في الخيال جناية ... من شؤمها تهوي لها الأنواء

ماذا يقول ذوو البلاغة ما عسى ... أن تكتب الحُكماء والشُّعراء

طالت سهام الغدر كُلّ فضيلة ... يا ويلها ماذا جنى العُلماء

ماذا جنى أهل الدِّيانة والتُّقى ... ماذا جنى الأخيار والنُّبلاء

ماذا جنى شيخ وقور مُصلح ... مُتضلِّع متنسِّك وضَّاء

ماذا جنى من كان يحمل همة ... وبسيره حلم يرى وأناء

بكت العُيون على فراق مُسدَّد ... وعلى الكُماة تألَّم الفضلاء

من قدَّموا للدِّين أنفس عمرهم ... من فقههم يتضلع الأبناء

رفعوا لواء العلم واصطبروا لهُ ... ما مسَّهم في نشره إعياء

ما ضرَّهم عند الحياة مُكدّر ... ولا بعد المهات هِجاء

حملوا الأمانة حين أحجم أو أبى ... من كان يُرجى أنَّهم أمناء

يبكيك طُلَّاب ملكت قُلوبهم ... إنَّ القلوب لفقدكم ثكلاء

تبكيك دارٌ في الفُيوش أسيفة ... وعلى مُحيَّاها أسىً وعناء

يبكيك مجدٌ كنت تركُض نحوه ... وعلى سبيل المجد منك دِماء

تبكيـــك أخـــلاق غـــدوت مثالهـــا ... وتضـــلُّعًا شـــهدت بـــه النَّظـــراءُ

يـــا شـــؤم مـــن قطعـــوك دون عبـــادةٍ ... إن الشـــقاء يصـــوبه التعســـاء

هـــذا الشـــقاء يليـــه ألـــف خســـارةٍ ... أن يهـــدم الطـــود المنيـــف جفـــاء

قـــد أفســـدوا دُنيـــاك لكـــن إنَّـــه ... عنـــد الحقيقـــة منحـــة وعطـــاء

فغـــداً ســـيلقى الظـــالمون جـــزاءهم ... وغـــداً ســـيلقى الأشـــقياء شـــقاءُ

تغشـــاك يـــا عطـــر المكـــارم رحمـــة ... يغشـــاك مـــن قلـــب الأســـيف دُعـــاءُ

ربَّـــاهُ ضـــاعف لابـــن مرعـــي أجـــره ... واخلفـــه في أهـــل هـــم الضُّـــعفاء

نَـــوِّر عـــلى ذاك الإمـــام ضريحـــه ... أســـكنهُ جنَّـــات بهـــا الـــنَّعماءُ

وعزاؤنـــا لذويـــه ثُـــمَّ لطالـــب ... هجمـــت عليـــه بفقـــدِه الأرزاءُ

الله يجـــــبُرُ كســـرنا فقلوبنـــــا ... أســـفت عليـــه ولـــيس ذاك ريـــاءُ

وصـــلاتُنا للمُصـــطفى علـــم الهُـــدى ... مـــن أظلمـــت برحيلـــه الأنحـــاءُ

(مرثية الأخ أبي محمد الحجري-حفظه الله تعالى-.)

الدمعة اليمانية

بكت القصيدة والنَّحيبُ توالى ... وأرى القوافي دمعها سيالا

الأرض تبكي والسَّماء كئيبة ... والسُّحْب أضحت بالهموم ثِقالا

ناديتُ شعري والفُؤاد يَؤُزُّني ... أسفاً وخِلت الأمر كان خيالا

فأجابني أرضُ السعيدة تشتكي ... جور البُغاةِ وقطعت أوصالا

أرضُ السُّعيدة بالمآسي تصطلي ... والنارُ فيها أشعلت إشعالا

تبكي على دمَّاج مَوئلِ عِزِّنا ... واليوم صارت بعدها أطلالا

أرضٌ عَشِقْتُ تُرابها منذُ الصِّبا ... هِيَ أُمُّنا كم خرَّجت أجيالا

أرضٌ لها في الكون صيتٌ ذائعٌ ... والدَّهرُ يُنصِتُ عندها إجلالا

نبكي على شيخٍ جليلٍ شادها ... للعلمِ والتَّوحيد كان مِثالا

واليومَ يأتينا نذيرٌ فاجِعٌ ... أُختي الفُيُوش صُراخها يتعالى

قُتِلَ ابن مرعي يا لهَولِ مُصيبَتِي ... ذُعِرَ العِباد وزُلزِلَت زِلزالا

ما ذنبُ شيخٍ عالمٍ مُتواضِعٍ ... يهدي العِبادَ ويُرشِدُ الضُّلَّالا

قُبحاً لِأفَّاكٍ يَرومُ خيانةً ... ويرى دماء المُخلِصين حلالا

سُحقاً لِشِرذِمَةٍ تُمزِّقُ أُمَّتي ... وتُريدُ للدِّين القَويم زوالا

طب يا ابن مرعي فالغراس مُبارك ... ورَّثتَ عِلماً نافِعاً وخِلالا

تا الله ما زادوكَ إلَا رِفعةً ... ستظلُّ نوراً في الورى يتلالا

قد كُنتَ في الخيراتِ طوداً شامخاً ... عذبُ السَّجايا ليِّناً سِلسالا

ونشرتَ دين الله حقًّا والهُدى ... لله درُّكَ عالماً مِفضالا

والمَوتُ حقٌّ والقضاءُ مُحتَّمٌ ... والدِّينُ ينصُرُهُ الإلهُ تعالى

نَم يا ابن مرعي فالقيامةُ موعدٌ ... لِتُخاصِمَ الأَشرارَ والأنذالَا

رَحِمَ الإلهُ ثراك يا علم الهُدى ... وبِجَنَّةِ الفِردَوسِ طِبتَ مَآلا

يا أيُّها اليمن الحبيبة أبشري ... سنكون للباغي الحقود نكالا

إنَّا سنمضي تحت ظِلِّ شريعةٍ ... سمحاءَ نَهدِمُ تحتها التِّمثالا

سيظَلُّ سيف الحق دوماً شاهراً ... يفني الطُّغاة ويثلم الأغلالا

ثُمَّ الصَّلاة على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... أزكى البريَّةِ هيبةً وجلالا

مرثية الأخ يزيد بن عبده الجابري-حفظه الله تعالى-.

مرثية ما ذنبه

قتلوا الإمام العالم الجبل الأشم ... ياويحهم كم يقتلون فكم وكم
ما ذنبه ما تنقمون ألا افصحوا ... ما ذنب بدر في الفضاء قد استتم
ما ذنب غيث في البلاد يلوحها ... ما ذنب طيب المسك فواح الشِّيم
ما ذنب ماء الورد ما ذنب الشذا ... ما ذنب شهد النَّحل ذاك المحترم
ما ذنب عصفور على أغصانه ... صدحاته نثر الفوائد والحِكَم
لكأني في دار الفُيوش أمامه ... يُلقي اللآلئ في الدُّروس قد ابتسم
أو كنت وسط الصَّف وهو إمامنا ... صوت البلابل غرَّدت ذاك النَّغم
أو كنتُ قد شاهدتُه في مجمع ... لكأنَّ ضوء الشَّمس في الوجه الأتم
يا ويح قتّال لهم يا ويحهم ... لم يُبصِروا في ذي البلاد سِوى العَلَمْ
يا ويح من ضرب الرصاص بجِسمِه ... يا ويح من قتل الهلال بِذي الظُّلَم
يا ويح من دفع النُّقود لهم لكي ... يطفئ شهاب الخير قوام الهمم
تبكيك يا شيخي العلوم جميعها ... يبكيك قلبي دمعه قد صار دم
يبكيك أشياخ وأطفال بكوا ... تبكيك نسوان وشبان الأمم
تبكي ابن مرعي إذ ذهبت على ... أدراجها ترمي قصاصات الحمم
فبكت دفاتره وأقلام له ... قالوا دعونا يكفنا ما قد ألم
بالله قولوا كلما ذكرتم ... أسكن إلهي شيخنا دار النِّعم

مرثية الأخ حلمي الوصابي العدني-حفظه الله تعالى-

جدبٌ أصاب الأرض

جـدب أصـاب الأرض فهـي خـواء ... وتسـاقطت أوراقهـا الخضـراء
فغـدت بـه أرض الفُيُـوش كئيبـة ... ويسـودها كـدرٌ بـه وعنـاء
مـا لي أرى الوجـه البرئ مُضَـرَّجاً ... بعـد ابتسـامته كسـتهُ دمـاء
آهٍ عـلى ذاك المُحيَّـا كـم بـدا ... مـن وجهـه عنـد اللِّقـاءِ ضـياء
تبكيـك يـا شـيخي القُلُـوب بحرقـة ... وتبلَّـدت مـن فقـدِكَ الأعضـاء
تبكيـك دارٌ للحـديث بنيتهـا ... يبكيـك منهـا صِـبية ونسـاء
تبكيـك أنحـاء البـلاد جميعهـا ... وسـهولها وجبالهـا الصَّـمَّاء
فاضـت عيـون المُسـلمين كأنَّهـا ... قِمـمٌ تـدفَّق مـن عُلاهـا المـاء
وتجمَّعـوا حـين الصَّـلاة كـأنَّما ... وقفـت تـودِّعُ بـدرها الأنـواء
أفنَيـت عُمـرك في الحيـاة مُعلِّـماً ... ومُربِّيـاً حتَّـى أتـاك قضـاء
فمضـيت تسـتبق المنيَّـة قاصـداً ... بيـت الإلـه فصـدَّك الخُبثـاء
فأبيـت إلَّا أن تمـوت ببيتِـه ... فأتيتـه وسـقته منـك دمـاء
لـو كُنـتَ تُفدى بـالنُّفُوس تسـابقت ... نحـو المنيَّـة دونـك الكُرمـاء
لكـن حُكـم الله حـتماً واقـع ... فيـه المعظَّـم والحقـير سـواء
فلـهُ المحامـد بكـرةً وعشـيَّة ... سـبحان مـن خضـعت لـهُ العُظـماء
لله درُّك يـا ابـن مرعـي في الـورى ... حتَّـى لموتـك ضـاقت الأعـداء !
يـا شـيخنا العـدنيُّ حسـبك رُتبـة ... في العلـم أن شـهدت لـك العلـماء

سيُسطِّر التاريخ علمك شيخنا ... وسيستقي من بحرك الفُقهاء
فلتكتموا حُزناً عميقاً واعلموا ... أنَّ الشَّدائد بعدَهُنَّ رخاء
وتجلَّدوا للشَّامتين أروهم ... أننا لريب الدَّهر لا نستاء
لن يطفئوا نور الكتاب بأرضنا ... ولسوف تعلو السُّنَّة الغرَّاء
إن يقتلوا لَيث العَرين فعندنا ... أشباله من بعدِهِ خُلفاء
فسقوط سنبلةٍ هوت في أرضنا ... ألفاً ستنبت مثلها الغبراء
يا ويلهم من معشر تبًّا لهم ... كسبوا المهانة بالخسارةِ باؤوا
وجزاهم المولى بشؤم صنيعهم ... فغداً سيأتي خصمهم علماء
يا سحب سيري في السماء حثيثة ... نحو الأباطح ما حوتك سماء
حتَّى إذا جئتِ الفُيُوش فسلِّمي ... وقفي بأرضٍ كُلِّها صحراء
واسقي بها علماً توسَّدَ في الثَّرى ... ما لاح نجمٌ في الدُّجى وضياء
يا ربّ فارحم في المقابر شيخنا ... واحشرْهُ مع قوم هم السُّعداء
يا رب أسكنهُ الفسيح بجنةٍ ... حيث الخُلُود بدارها وبقاء
يا رب واحفظ للبلاد نُجُومها ... فنجومها حقًّا هم العُلماء
يا ربِّ واقبضنا إليك على الهُدى ... إن كان فيها فتنة وبلاءُ
يا ربِّ صلِّ على النَّبي وآلهِ ... ما أمطرت سُحبٌ وسال الماءُ

مرثية الأخ أبي عبد الله فواز الصّوملي -حفظه الله تعالى-.

قتلوك يا شيخي

يـآ إخـوتي قـد سـاءنا مـا جاءنـا ... بـالأمس مـن بغـي ومـن عـدواني
يـا كـم مصـائب في الزمـان تكالبـت ... بعـد النبـي الهاشـمي العـدناني
ازدادت البغضـا بـأرض بلادنـا ... وبغـى الطُّغـاة عـلى ذوي الإيـماني
تـأتي المُصـيبة كـي تُرقِّـق أُختهـا ... وكلاهُمـا في الحجـم منتقضـاني
لكـنَّ هـول الأمـس أمـرٌ فـاجع ... حقًّـا وكـلَّ مُصـيبةٍ أنسـاني
جـاء النَّـذير ودمعُـه في خَـدِّهِ ... يجـري بـما يجريـه في الأوطـاني
فنظـرتُ رُعبـاً قلـتُ مالـك قـال مـا ... وبكـى وخـرَّ مجنـدلاً بمكـاني
مـات ابـن مرعـي في الفُيـوش فقـد غـدت ... دار الفيـوش يتيمـة بثـواني
بـالله يـا مـن جئتنـي وصـدمتني ... ورميـت سـهما قـد أصـاب جنـاني
بـالله راعِ مشـاعري وانظـر إلى ... حـالي بكـل مـودَّةٍ وحنـاني
زاد الحنـين مـن الأسـى في ليلتـي ... والـدمع سـال وأرهقـت أجفـاني
شيخي ابن مرعي كم صبرت على الأذى ... وعـلى الـبلا في غـابر الأزمـاني
كـم حـاربوك وكـم أراد عـدوكم ... أن يُطفـئ الأنـوار بالبُهتـاني
لكـن أبـى الـرَّحمن إلَّا أن تـرى ... شـيخاً جلـيلاً رغـم كُـلِّ جبـاني
وإذا أراد الله نشـر فضـيلة ... طويـت أتـاح لهـا لسـان أنـاني
قتلـوك يـا شـيخي وأنـت مُسـالم ... يـا ليـت شـعري مـا العـدو الجـاني

فلقد تعدَّى واعتدى لكنَّهُ ... قد باء بالخُسرانِ والحرماني

فلنا غداً عند الإله مواقف ... ولدى الإله سيجمع الخصمان

يا راحلاً أرض الفُيوش قصيدتي ... خُذها إلى الأصحاب والإخواني

سر في الطَّريق إلى الفُيوش فإنَّها ... دار الهُدى ومعالم التِّبياني

فإذا رأيت حشود طُلَّاب الهُدى ... فخذ المُكبر يسمعون أذاني

لذا المحبُّ لكم يُحيي جمعكم ... ويقول سيروا قومنا بأماني

مني السلام لكم بكل محبَّةٍ ... والود مقرونان بالعرفاني

ماذا أعزي من أعزِّي أوَّلاً ... هل إخوتي أم طينة الجُدراني

أم دور علم أم مشايخ دعوةٍ ... أم كُلِّ سُنِّي بأرض مكاني

أم هل أعزي النفس قبل عزائكم ... فالحُزنُ شيءٌ ضمَّني وحواني

يا صاحِ لو أبصرتَني في ليلةٍ ... ظلما كثير الهم والأحزاني

يا كم تكلَّفتُ النُّعاس ولم أجد ... نوماً وبات القلب كالحيراني

لكننا رغم الجراح أعزَّةٌ ... سنظل للقدَّام دون توانِ

لا لن نعود إلى الورا والقهقرى ... ما دامت الأرواح في الأبداني

قد مات أحمد والصحابة كُلُّهم ... هم أولياء الواحد الدَّيَّاني

وكذا الأفاضل واحداً عن واحد ... خُذها فكلّ ميِّت بل فاني

ولذا أوجه للفيوش رسالة ... ولغيرها من سائر البُلداني

وكـــذا أهيـــب بِأهـــلِ سُـــنَّةِ أحمـــد ... مـــن كـــان مـــنهم قاصـــياً أو داني

ألَّا تعـــيقكم المصـــائب والـــبلى ... عـــن ســـيركم يـــا ثـــابتي الأركـــاني

ســـيروا عـــلى اســـم الله وامضـــوا ... وتواصـــلوا بـــالبِرِّ والإحســـاني

مرثية الأخ محمد الشارحي -حفظه الله تعالى-.

تعازي العُلماء والدعاة الفُضلاء

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال : «مَنْ عَزَّى أَخَاهُ الْمُؤْمِن فِي مُصِيبَةٍ كَسَاهُ اللهُ حُلَّة خَضْرَاء يُحْبَر بِهَا يَوْمَ القِيَامَة» قِيْلَ يَا رَسُولَ الله، مَا يُحْبَر ؟ قَالَ «يُغْبَطْ»(١).

لهذا الحديث وغيره من الأدلَّة في جبر خاطر المسلم المُصاب بالمُصيبة، فقد تأثَّر بموت الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- كل من كان مُحِبًّا للسُّنَّة وأهلها وعلمائها، وكان موته فاجعة ومصيبة كُبرى نزلت بالمُسلمين وخاصَّة أهل السُّنَّة والجماعة.

وفي أهل السُّنَّة كانت المُصيبة أعظم في قُلُوب إخوانه علماء أهل السنة والجماعة الَّذين يعرفون لهذا العالم قدرهُ ويُقدِّرون جهودهُ المُباركة، وما نفع الله به الإسلام والمُسلمين، ثُمَّ طُلَّابه في دار الحديث بالفُيُوش، والمُصيبة أعظم وأعظم في قُلوب أبنائه الَّذين يُتِّموا كباراً منهم وصِغاراً ذكوراً وإناثاً، وفي قُلُوب أبيه وأُمِّه، وفي قُلُوبِ أزواجِه، وفي قُلُوب إخوانه وأخواته، وجميع أقاربه عليه -رحمة الله تعالى-.

فهنيئاً لمن واساهم في هذا المُصاب، وهنيئاً لمن خفَّف عنهم الألم بما استطاع هنيئاً لمن كفكف دُمُوع الأيتام، وأدخل السُّرور على قلب مقهور.

يـــا رُبَّ أرملـــة مـــنهم ومكتهـــل أيتمتـــه وهـــو مبـــيض لـــه شـــعر

---

(١) رواهُ ابن أبي شيبة، وحسَّنهُ الألباني -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- ((الإرواء))رقم (٧٥٦).

وفي المُقابل لقد حصل ما لم يكُن في الحُسبان أُناس إلى الاستقامة والسُّنَّة ينتَسبون لَمَّا قُتِلَ الشَّيخ أخذوا يضحكون ويفرحون أحدهم يقول: اسجدوا لله شاكرين، وغيرها من الحمق عند هؤلاء الآثمين بدلاً من أن يُدخلوا السُّرور على أبنائِه وأهله وطُلَّابِه أخذوا يشمتون ويفرحون، فلمثل هؤلاء نقول وما نملك لكم إن كان الله نزع الرَّحمة من قُلُوبكم، وليس لكم من هذا الحديث حظ ولا نصيب فإنهم حسدوا الشَّيخ في حياته، ثُمَّ حسدوه على مَوتِه وخاتمته عليه رحمةُ الله.

حسدوني على موتي فوا أسفا حتَّى على الموت لا أخلو من الحسد

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة في شتَّى بقاع الأرض، فقد وصلنا من الكثير منهم العزاء والدُّعاء والبُكاء على هذا المُصاب الكبير، فصبَّروا طُلَّابه وأقاربه صبَّرهم الله، وأحسنوا في كلامهم أحسن الله إلَيهم. ولا يعرف الفضل لأهله إلَّا ذَووه.

قال أيُّوب : إنَّ الَّذين يتمنَّون موت أهل السُّنَّة يُريدون ليُطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمُّ نوره ولو كره الكافرون أخرجه اللالكائي.

ومن هُنا نُقدِّم الشُّكر والتقدير إلى مشايخنا الفُضلاء، وعُلمائنا الأجلَّاء، وجميع إخواننا الفُضلاء في اليمن وخارج اليمن ممَّن وصلنا منهم العزاء، وشاركونا في الحُزن والعناء ولو بالدُّعاء والنَّصيحة والتَّثبيت جزاهم الله عنَّا خير الجزاء.

ومِمَّن وصلنا منهم العزاء جميع مشايخ اليمن الأعزَّاء، ومن خارج اليمن الكثير والكثير ممَّن وصلنا، والَّذي لم يصل إلينا أكثر، وعلى رأسهم المشايخ الفُضلاء :

الشَّيخ الفاضل ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-.

والشَّيخ الفاضل وَصِيّ الله عباس -حفظه الله تعالى-.

والشَّيخ الفاضل سُليمان الرُّحيلي -حفظه الله تعالى-.

والشَّيخ الفاضل صالح بن سعد السّحيمي -حفظه الله تعالى-.

والشيخ الفاضل عبد الرحمن العُميسان -حفظه الله تعالى-.

فضل من مات على السُّنَّة

وإنَّنا حين نذكر موت علمائنا نُسلِّي أنفسنا بأقوال سلف هذه الأُمَّة في فضل من مات على السُّنَّة.

- قال معتمر بن سليمان : دخلتُ على أبي، وأنا منكسر فقال : مالك ؟ قُلتُ: مات صديق لي. قال : مات على السُّنَّة ؟ قُلتُ: نعم. قال : فلا تخف عليه. شرح الاعتقاد للالكائي ٦١.
- وقال الفُضيل بن عياض : طوبى لمن مات على الإسلام والسُّنَّة.

  شرح الاعتقاد للالكائي ٢٦٨.
- وقال ابن عون : من مات على الإسلام والسُّنَّة؛ فلهُ بشير بكل خير.

  شرح الاعتقاد للالكائي ٦٠.
- وقال الإمام مالك -¬- : من مات على السُّنَّة؛ فليُبشِّر من مات على السُّنّة، فليُبشِّر من مات على السُّنَّة، فليُبشِّر. ذم الكلام وأهله (٥/ ٧٦)

وقال : لو أنَّ رجُلاً ارتكب جميع الكبائر، ثُمَّ لم يكُن فيه شيءٌ من هذه الأهواء لَرَجَوتُ لهُ من مات على السُّنَّة؛ فليُبشِّر.

- وقال الإمام أحمد بن حنبل -¬- : من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على الخير كُلِّه. (سير أعلام النُّبلاء ١١/ ٢٦٩).

- وقال أبو بكر المرذوي : قُلتُ لأبي عبد الله ـ أحمد بن حنبل : من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على خير، فقال لي : اسكُت ! من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على الخير كُلِّه. الورع للمَرذَوي (١٩٢).
- وقال طلحة بن عُبَيد الله البغدادي : وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السَّفين؛ فكان يُطيل السُّكُوت، فإذا تكلَّم قال : اللَّهُمَّ أمِتنا على الإسلام والسنَّة. . تاريخ دمشق لابن عساكر (٥/ ٣٢٣).
- وقال يحيى بن عون : دخلتُ مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال : ما هذا القلق ؟ فقال لهُ : الموت والقدوم على الله.

فقال له سحنون : ألستَ مُصدِّقاً بالرُّسُل ؟ ...

والبعث والحساب .. والجنة والنار.

وإنَّ أفضل هذه الأُمَّة أبو بكر، ثُمَّ عُمر.

والقُرآن كلام الله غير مخلوق.

وأنَّ الله يُرى يوم القيامة.

وأنَّهُ على العرش استوى.

ولا تخرج على الأئمَّة بالسَّيف، وإن جاروا ؟ فقال : إي والله.

فقال : مُت إذا شئت، مُت إذا شِئتَ مُت ؟

سير أعلام النُّبلاء (٢٣/ ٦١).

حال دار الحديث بالفيوش بعد قتل الشيخ عبدالرحمن رحمه الله رحمة الأبرار

ممَّا لا شكَّ فيه ولا رَيب أنَّ قتل الشَّيخ -رحمه الله- كان مُصيبة كُبرى ليس على دار الحديث وطُلَّاب الشَّيخ فحسب، بل مُصيبةٌ على الأُمَّة الإسلاميَّة حيث فقدت عالماً من عُلمائها.

إذا مـــات ذو علـــمٍ وتقـــوى ... فقـــد ثلمـــت مـــن الإســـلام ثلمـــه
ومـــوت الحـــاكم العـــدل المـــولَّى ... بِحُكـــم الأرض منقصـــةٌ ونقمـــه
ومـــوت فتـــى كثـــير الجـــود محـــل ... فـــإنَّ بقـــاءه خصـــب ونعمـــه
ومـــوت العابـــد القـــوَّام ليـــل ... يُنـــاجي ربَّـــهُ في كُـــلِّ ظُلمـــه
ومـــوت الفـــارس الضِّـــرغام هـــدم ... فكـــم شـــهدت لـــهُ بالنَّصـــر عزمـــه
فحســـبُك خمســـةٌ يُبكـــى علـــيهم ... وبـــاقي النـــاس تخفيـــفٌ ورحمـــه
وبـــاقي الخلـــق همـــج رعـــاع ... وفي إيجـــــادهم لله حكمـــــه

هذا ولقد ظَنَّ الجاهلون المُتربِّصون أنَّهُم بقتل الشَّيخ -رحمه الله- سينتهي العلم والتعليم، وتُغلق الدَّار، ويتفرَّق الطُّلَّاب في سائر البلاد، وصدق الله العظيم القائل في مُحكم التَّنزيل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف: ٨-٩]، فتأمَّل جيِّداً في هذه الآيات العظيمات لترى وتعلم أنَّهُ لن ينطفئ دين الله جلَّ في عُلاه، وأنَّهُ

ظاهر، وسيظهر ما تعاقب اللَّيل والنَّهار، وأنَّ من يكره ظُهور هذا الدِّين هم أعداؤهُ من المُشركين ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾، فللهِ الحمدُ والمِنَّة على الخَير الَّذي أتمَّه.

هذا وإنَّ دار الحديث بالفُيوش بعد موت شيخنا -رحمه الله- بتوفيق من الله -تعالى-، وإعانة منهُ -سُبحانه-، ثُمَّ بمن جعلهم الله سبباً لِحُبِّ دينهم والدَّعوة إلَيه ازداد في الدَّار الخير، وكَثُر عدد الطُّلَّاب والطَّالبات، وزادت الهِمَّة بِفَضل من الله ومِنَّة، فلو ترى كيف منَّ اللهُ علينا بِأَن جمع كلمة المشايخ في الدَّار، فقاموا قَومةَ رجُلٍ واحد المشايخ والطُّلَّاب، فأقبلوا على ما يَهُم الدَّار من تدريس وترتيب، وحراسة للدَّار وغيرها من الأعمال الدَّعوية؛ فجمع الله القُلُوب، ووحَّد الكلمة، فتمَّ الاتِّفاق والإجماع من المشايخ والعُلماء والطُّلَّاب الأخيار بأن يكون القائم على الدَّار هو الشَّيخ المِفضال العالم الجليل الشَّيخ عبد الله بن عُمر بن مرعي العدني -حفظهُ الله- ورعاه، والشَّيخ عبد الله هو أخو الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-؛ فاختاروهُ، وكان نِعمَ الاختيار، فالشَّيخ عبد الله، والشَّيخ عبد الرحمن ﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ﴾.

بنو مرعي نور العلم نورهم إذا خبا قمر منهم بدا قمر

فلم يتمّ اختيارهُ لأنَّهُ أخ للشَّيخ عبد الرحمن، بل تمَّ اختياره لمنزلته العلميَّة، ولمنهجهِ السَّلفي ولغيرها من المُؤهَّلات الَّتي يتَّصِف بها الشَّيخ -حفظه الله تعالى-، فمن هو الشَّيخ عبد الله ؟ وأين طلب العلم ؟ ومن زكَّاهُ من العُلماء ؟

نبذة عن شيخنا المفضال عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى-

اسمه : عبد الله بن عمر بن مرعي بن مردوف بن بُريك العدني.

كنيَتُه : أبو عبد الرحمن.

مولِدهُ : وُلِدَ يوم الثُّلاثاء الموافق : ٢٧/ ١٠/ ١٣٨٩هـ في المنصورة بعدن.

ذُرِّيَّتُه : تزوج فضيلة الشَّيخ وهو في المملكة، وقد رزقه الله بزوجة صالحة مُتعلِّمة ومستفيدة، وقد رزقه الله منها أربعة ذُكُور، وثلاث بنات، فأمَّا الذُّكور فهم:

عبد الرحمن ـ وهو الَّذي يُكنَّى بِهِ شيخنا ، وعمر ، ومحمد ، وعبد الله ـ وهو أصغرهم.

نشأته وطلبه للعلم :

فقد كانت بداية الطَّلب في عام ١٤٠٦ للهجرة الموافق ١٩٨٦م، وذلك بقراءة القُرآن، وتلقينه على يد الشَّيخ (محمد التَّعِزِّي) في عدن -رحمه الله-، وختمه عليه مرَّتين، وكانت معها دراسة مجموعة من الكُتب في مبادئ العقيدة والفقه والحديث واللُّغة.

وأكمل شيخنا حفظ القُرآن عام ١٤٠٩هـ ، وقد كان نُزُول الشَّيخ إلى أرض دمَّاج في عام ١٤٠٨هـ ولازم الشَّيخ العلَّامة المُحدِّث مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله ـ ودرس عليه في البُخاري ومُسلم وابن كثير وغيرها من الدُّروس، وكان للشَّيخ مُقبل الوادعي -رحمه الله- درس بعد صلاة العشاء في كتاب التوحيد لابن خُزيمة، وأدرك شيخنا كبار

الطَّلبة في ذلك الوقت، ومنهم الشَّيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -رحمه الله-، ودرس عليه العقيدة الطَّحاويَّة. ثُمَّ سافر شيخنا إلى أرض الحرمين في رمضان ١٤١٢ للهجرة الموافق ١٩٩٢م، وحينها تلقَّى العلم على كبار المشايخ من مناطق شتَّى.

أوَّلاً: في القصيم والرِّياض:

١ـ الشيخ العلَّامة محمد بن صالح العُثَيمين -رحمه الله-؛ فقد لازَمهُ من عام ١٤١٢ للهجرة ولمُدَّة أربع سنوات ونصف حتى السَّفر. وممَّا دارسه من الدُّروس الخاصَّة مباحث في الحَمويَّة والتَّدمُريَّة، وشرحه على النُّونية والقاعدة النُّورانيَّة، ونقض تلبيس الجهميَّة والصَّواعق المُرسلة وغيرها.

وكان شيخنا من حرصِه على وقته يستغل أوقات الإجازات، والأوقات الَّتي ليس فيها دُروس في الصَّباح وبعد العشاء في تلقِّي العلم عند مشايخ آخرين منهم :

١ـ الشَّيخ الفقيه الأديب اللُّغوي أبو صالح عبد الله بن صالح الفالح. وقرأ عليه في مُتُون الصَّرف منها الأساس والبناء والتَّصريف للزنجاني. والتَّصريف لمُحيي الدِّين عبد الحميد وشذا العرف. وفي النحو درس القطر، والشُّذُور وابن عقيل. ومجموعة كُتب في الأدب كشرح أدب الكاتب وغيرها.

٢ـ سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-، فقد كان شيخنا يحضر بعض دُرُوسه في الرِّياض، ويسأله فيما يشكل عليه وذلك في أيَّام نُزوله في الخميس والجمعة وأيَّام الإجازات.

٣ـ الشَّيخ عبد الله الغِديَّان بعض دُروسه في الأُصُول، ومسائل في مباحث أُصُوليَّة متنوِّعة.

٤ـ الشيخ محمد بن سليمان العليط درس عليه في كتب العقيدة، وشروح كتاب التوحيد كفتح المجيد وقُرَّة العُيُون والتَّيسير والدُّر النَّضيد والقول السَّديد، وحاشية ابن القاسم وغيرها.

وهكذا درس عليه مجموع ابن رميح الَّذي فيه كشف الشُّبُهات والحائية ومُتُون في العقيدة كثيرة، وأيضاً مجموعة التوحيد في رسائل الأئمَّة النَّجدية في العقيدة وشُروح الواسطيَّة وغيرها.

٥ـ الشيخ محمد بن صالح المنصور، ودرس عليه شيخنا الحمويَّة والتَّدمُريَّة والتَّنبيهات السَّنية، وشُروح الواسطية والدُّرَّة المُضيئة في السّفَّارينيَّة، وتائيَّة شيخ الإسلام وشرح السَّعدي والقواعد الفقهيَّة ورسائل كثيرة لشيخ الإسلام كالتَّوسُّل والوسيلة والعُبُوديَّة وغيرها.

٦ـ الشيخ عبد الله القرعاوي إمام الجامع الكبير ببُريدة درس عليه مجموعة رسائل في التوحيد.

٧ـ الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، درس عليه مجموعة من الدُّرُوس.

ثانياً : مشايخ المدينة ومن أبرزهم :

١ـ الشيخ محمد بن أمان الجامي في تعليقه على شرح الهرَّاس على الواسطية في الحرم المدني.

٢ـ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي درس عليه بعض كُتُب السُّنَّة وذلك في درسِه العام.

٣ـ الشيخ عبد المحسن بن حمد العبَّاد في شرحه على النَّسائي، وبعض دُرُوس سنن أبي داود في الحرم المدني.

٤ـ الشيخ عطيه بن محمد سالم في المُوطَّأ في الحرم المدني.

٥ـ الشيخ زيدان الشَّنقيطي في أُصُول الفقه في الحرم المدني.

٦ـ الشيخ عمر بن عبد الجبَّار في شرح الكوكب المُنير في مسجد الجامعة الإسلاميَّة.

٧ـ الشَّيخ عُبيد بن عبد الله الجابري.

ثالثاً : مشايخ مكَّة : ومن أبرزهم :

١ـ شيخ شيخنا مقبل –رحمه الله– وهو الشَّيخ محمد بن عبد الله الصُّومالي في علل ابن المديني والمصطلح وأبواب من البُخاري.

٢ـ الشيخ محمد الطيِّب بن أحمد المغربي الجعفري درس عليه أُصُول الفقه وأبواب من الفقه.

٣ـ الشيخ محمد الخضر ضيف الله الجكني الشَّنقيطي ودرس عليه في اللُّغة وبعض دُرُوس المنطق.

٤ـ الشَّيخ محمد بن صالح التنبكتي المالي في شرح ابن عقيل.

٥ـ الشيخ محمد بن الشَّيخ علي بن آدم الأثيوبي الولوي، ودرس عليه في الترمذي وعلل ابن رجب ونظمه في أسماء المُدلِّسين.

وغير هؤلاء من المشايخ ممَّن كانت تجمعهم به بعضُ المجالس كالشَّيخ العلَّامة المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني الَّذي حضر بعض دُرُوسه في عام ١٤١٠هـ في مكة وجدة.

ناهيك عن (الإجازات) الَّتي تحصَّل عليها من بعض مشايخه، والَّذي امتنع - حفظه الله- أن يُطلعنا عليها. فنسأل الله أن يُبارك فيه، وفي علمه وفي علماء ومشايخ ودُعاة أهل السُّنَّة جميعاً.

فالشَّيخ عبد الله عالمٌ من العُلماء الفُضلاء، كما زكَّاه كثير من العلماء منهم الإمام مقبل الوادعي -رحمه الله- حيثُ قال : وكذلك في الشحر عالمان فاضلان، وذكر الشيخ عبد الرحمن، والشيخ عبد الله رَحِمَ الله الشيخ عبد الرحمن والشيخ مقبلا وحفظ الله شيخنا عبد الله، هذا وإنَّ من كان مشايخهُ أئمَّة الزَّمان لحريّ أن ينفع الله به الإسلام، ونسأل الله أن ينفع بشيخنا عبد الله كما نفع بشيخنا عبد الرحمن وأكثر إنَّهُ سميعُ الدُّعاء.

فالشيخ عبد الله -حفظه الله تعالى-، وإن كان لا يزال إلى الآن في بلاد الحرمين إلَّا أنَّهُ يُدير أعمال المركز من هُناك، ولهُ دُرُوس إلى الدَّار عبر الهاتف، وكذا مُحاضرات وتوجيهات ، وإجابة عن الأسئلة، وكثير من الأعمال، وقد وكَّل الشَّيخ عبد الله من يقوم مقامه في المركز من المشايخ الفُضلاء حتَّى يأتي بإذن الله، فوكَّل الشَّيخ الفاضل الخلوق ياسين الضَّالعي -حفظه الله-، ثُمَّ إنَّ الشَّيخ ياسين -حفظه الله- رحل للتَّزوُّد من العلم إلى بلاد الحرمين،فاختار شيخنا عبد الله بعد الشَّيخ ياسين من يقوم مقامه، فاختار ونِعمَ من اختار.

اختار الشَّيخ الفاضل أبا عبد الرحمن أنيس حفظه الله وسدَّد خُطاهُ، وأعانه ورعاه.

والشَّيخ أنيس -حفظه الله تعالى- هو أنيس بن صالح بن أحمد اليافعي المشهور بأنيس المهندس -حفظه الله تعالى- من طُلَّاب الإمام الوادعي -رحمه الله-، ومن أبرز طُلَّاب شيخنا عبد الرحمن العدني -رحمه الله- شكر الله له على ما يقوم به من جهداً كبير.

وكذلك فإنَّ في دار الحديث بالفُيُوش عِدة من المشايخ الفُضلاء، وطُلَّاب العلم الأَكْفاء هُم ضوء المركز، وهُم سراجهُ المنير جمع الله لهم بين طلب العلم والتدريس والبحث والتأليف، والدعوة إلى الله.

فبذلوا لأجل هذا الغالي والنَّفيس، وإنَّ في كل واحد منهم من الخصال الحميدة، والأوصاف المجيدة، والأعمال السَّديدة الشَّيء الكثير، وكل واحد منهم فتح الله لهُ باباً

في العلم هو فيه خصيص، وكُلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ لهُ، فهذا يفتح سلسلة في العقيدة، وهذا في التوحيد، وآخر في التَّفسير، وآخر في النَّحو والبلاغة والتجويد، وآخر في مصطلح الحديث، ومنهم من جمع الله لهُ عِدَّة فُنون.

فلو تراهُم في حلقاتهم وقد عَلَتهُم السَّكينة والوقار، وطُلَّابهم بين أيديهم بكل أدب واعتبار ينشرون في دُرُوسهم الدُّرر؛ فيفيدون بها من حضر.

مـن تلـق مـنهم تقـل لاقيـت سـيدهم مثـل النُّجُـوم الَّتـي يسـري بهـا السَّـاري

وعند المحاققة فإن كل واحد منهم لو فتح مركزاً لكان لهُ أهلاً، ولكن الله جمعهم في هذا المركز العظيم ليزداد الخير، ويستمر السَّير وبِرَّاً بشيخهم ومُعلِّمهم صاحب الدَّار رَحِمَهُ اللهُ رحمةَ الأبرار، هذا وإنِّي لو ذكرتُ كل واحد منهم، وما يتحلَّى به من صِفات وما عند كلّ واحد منهم من علم وخير لطال المقام، والتَّرجمة بذاتها للشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، ولم أذكر أحداً منهم باسمه لأمور منها :

أنهم أشهر من نارٍ على علم، وكُلُّ معروفٍ فلا يُعرَّف.

ومنها أنَّهُم حفظهم الله لا يُحبُّون المدح والثَّناء.

ومنها أننا في زمن فتن واغتيالات للعلماء والدعاة وما صاحب الترجمة عنا ببعيد.

ومنها للنَّهي عن المدح، والحيُّ لا تُؤمن عليه الفتنة أسأل الله لنا ولهم الثَّبات حتَّى الممات.

هذا وإنَّ الكثير ممَّن في المركز هم رؤوس الدَّعوة في بُلدانهم، وغالبهم أئمة مساجد، أومن حُفَّاظ القُرآن الكريم قد رحلوا من بُلدانهم وهجروا أوطانهم ليزدادوا علماً، ويُعلِّموا أبناء المُسلمين فهنيئاً لهم الجد والاجتهاد.

هذا وقد رأيتُ بعيني من هؤلاء المشايخ في الدَّار أمراً قلَّ أن يوجد في غيرهم، وهذا الشَّيء دليل على قِمَّة التواضُع فيهم حفظهم الله رأيتُ بعضهم يكتب الفوائد في درس الشَّيخ الآخر مثل واحد من الطُّلَّاب، فإذا أكمل الدَّرس ذهب الشَّيخ الَّذي كان جالساً في الدَّرس إلى درسه ليُدرِّس، وقد تجمَّع لهُ العشرات، بل ورُبَّما المئات من الطُّلَّاب، وهكذا كل واحد يستفيد من الآخر يسود المكان المحبَّة والاطمئنان ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنفال : ٦٣].

طُلَّاب الدَّار

أمَّا عن طُلَّاب الدَّار، وما أدراك ما طُلَّاب الدَّار ؟ المُتَّبعون للسُّنَّة والآثار نقاوة البُلدان، ومن خيرة أهل الزَّمان، منهم من حفظ القُرآن وأتقنه، ومنهم من حفظ المُتُون المُستحسنة، يشتغلون بالعلم من الصباح حتَّى المساء لَيس لهم هَمٌّ سواه، ولا عمل إلَّا إيَّاه، فمن قبل صلاة الفجر تراهم عند مكان الوضوء يزدحمون، وإلى الصَّف الأول يتسابقون، فإذا أذَّن المُؤذِّن لصلاة الفجر قاموا إلى السُّنَّة ابتغاء الأجر، ثُمَّ يجلسون يذكرون الله إلى أن تُقام الصَّلاة، فإذا قال الإمام استووا قاموا إلى الصُّفوف كأنَّهم بُنيان مرصوص، ثُمَّ يستمعون بكل خُشُوع وإنصات، والإمام يُرتِّل الآيات، فإذا سلَّموا من الصَّلاة جلسوا للأذكار، ثُمَّ يُقبِلون على تلاوة القُرآن إلى بعد الإشراق، فإذا تناولوا وجبة الإفطار، وحمدوا الله بعد الطَّعام تسارعوا إلى حلقات القُرآن بِكُلِّ سعادة واطمئنان، فلو رأيتهم وهم على هذه الحال لقُلت ما الدُّنيا ؟ ما المُلك ؟ ما المال ؟ وصدق الله العظيم القائل في مُحكم التنزيل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨].

فهذه هي حالة طُلَّاب العلم :

رغيـــــفُ خُبـــــزٍ يـــــابس ... تأكُلُـــــــــه في زاويـــــــــة

وكـــــــوز مـــــــاء بـــــــارد ... تشـــــــربه مـــــــن صـــــــافية

وغُرفـــــــــة ضـــــــــيقة ... نفسُـــــك فيهـــــا خاليـــــة

تـــــدرسُ فيـــــه دفـــــتراً مســـــــــتنداً لســـــــــارية
معتـــــبراً بمـــــن مضـــــى مـــــن القُـــــرُون الخاليـــــة
خـــــير مـــــن الســـــاعات في فيء القُصُـــــور العاليـــــة
تعقُبُهـــــــا عُقُوبـــــــة تصـــــلى بنـــــار حاميـــــة

وهكذا يستمرُّون في العلم والتعليم، وفي الحفظ والتَّحفيظ من الصباح إلى المساء، وكذا بعد صلاة العشاء ومنهم من يسهرون ولدروسهم يُذاكرون من بعد العشاء إلى السَّحور ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.

حقيقة لا خيال

لقد تردَّدتُ كثيراً في كتابة هذا الفصل، ثُمَّ استخرتُ الله -تعالى- واطمئنَّ قلبي أن أكتُب مستعيناً بالله، وإنَّما تردَّدتُ بُعداً عن حسد حاسدٍ، وعين عائن، ومكر ماكر أثيم، ثُمَّ تذكَّرتُ قول ربِّ العالمين : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾[التوبة : ٥١]، فتوكَّلتُ على الله مستعيناً به لأكتُبَ حقيقة من دار الحديث بالفُيُوش فيها بُشرى لِكُلِّ مُحبّ للإسلام والدِّين، بُشرى أزُفّها إلى عُلماء المُسلمين، بُشرى لطُلَّاب العلم وللصَّالحين أقول لكم إن كان الله ﷻ قد أخذ الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله-، فقد أبقى الخير الكثير؛ فلهُ الحمدُ في الأولى والعُقبى.

قبل أن يُقتل شيخنا غفر اللهُ لهُ بأيَّام أُعلِنَ عن تكريم مجموعة من الطُّلَّاب حفظوا القُرآن الكريم وأتقنوهُ، وهُم في الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة من أعمارهم، وكان الشيخ -رحمه الله- قد جعل لهم وقتاً بعد صلاة الظُّهر يقوم أحدهم ويقرأ ما تيسَّر من القُرآن، ثُمَّ يدعو لهُ الشَّيخ -رحمه الله- ويُعطيه جائزة متواضعة من باب التَّشجيع والتَّحفيز، وكان -رحمه الله- يترك لهم درسه العام أحيانا.

فلمَّا قُتِلَ الشَّيخ -رحمه الله- قرَّر هؤلاء الأطفال أن يُعوِّضُوا مكان شيخهم عبدالرحمن، وأن يَرُدُّوا لهُ شيئاً من الجميل فكان ماذا ؟!

جلستُ مع أحد مُعلِّميهم الأخيار جزاهُ الله خير الجزاء، وطلبتُ منهُ أن يُلخِّص بعض ما يعلم من اجتهاد هؤلاء الطُّلَّاب الصِّغار وعن حفظهم ومحفوظاتهم، وعن جِدّهم واجتهادهم، وعن أُمُور رآها بعينِهِ منهم، فقال -حفظهُ الله تعالى- : أعمارهم من الحادية عشرة إلى الخامسة عشرة، وبعضهم وصل الآن إلى الثامنة عشرة عددهم خمسة عشر :

١- حفظوا القُرآن الكريم حفظاً مُتقناً.

٢- يمشون الآن في الجمع بين القراءات السبع، وقد قطعوا شوطاً في هذا، ولو أفردوا كُلّ قراءة لوحدها؛ لكانوا قد أكملوا عدَّة قراءات.

٣- أحدهم في الخامسة عشرة والنصف، والآخر في السادسة عشرة لديهم إجازتان في حفص وفي قالون.

٤- بدأوا في حفظ كتاب السِّراج في غريب القُرآن، وفيه ما يُقارب (٤٠٠٠) أربعة آلاف كلمة حفظها اثنان منهم في أحد عشر يوماً، والبقيَّة بعدهم بأيَّام، وكانوا يحفظون في اليوم الواحد ثلاثاً وثلاثين صفحة، وبعضهم خمساً وعشرين صفحة، وأقلُّهم يحفظ ثلاثاً وعشرين صفحة، وكُنتُ أُسمِّعها لهم يسردونها حفظاً مُتقناً، وكُنَّا وضعنا لهم دورة لحفظه في أحد عشر يوماً؛ فحفظه أكثرهم في هذه المُدَّة، وتأخَّر البعض بعدهم بأيَّامٍ يسيرة.

٥- حفظوا الشَّاطبيَّة ثُمَّ إنَّهُم سمَّعوها في جلسةٍ واحدة، وهُم في سِن الرابعة عشرة والنِّصف.

٦- وأمَّا في حفظ أحاديث رسول الله -ﷺ- فبعضهم قد أكمل حفظ بلوغ المرام ورياض الصَّالحين.

٧- في يومٍ من الأيَّام كُنتُ سأُسافر لمدة أربعة عشر يوماً؛ فأعطيتُ أحدهم رياض الصَّالحين، وقُلتُ لهُ احفظ منهُ حتَّى أرجِع من السَّفر، وبعد رُجُوعي من السَّفر اليسير قُلتُ لهُ : كم حفظت ؟ قال سبعمائة حديث؛ فتعجَّبتُ، وقُلتُ لهُ اقرأها عليَّ؛ فقرأها سرداً مع ذكر الصَّحابي والرَّاوي حتَّى أكملها، وقد أتعبت من متابعتي لهُ بالنظر إلى الكتاب.

٨- أحدهم في الحادية عشرة من عُمرِه درس الآجرُّوميَّة والمُتَمِّمة والقطر في شهرين؛ فحفظ كل شواهد النَّحو إلى القطر، واختبرهُ فيها أحد مشايخ الدَّار، فتعجَّب لهذا الحفظ والذَّكاء، ودعا لهُ بالتَّوفيق والسَّداد وهو الآن يدرس ويحفظ في ألفيَّة ابن مالك، ولهُ أخ في الثالثة عشرة أكثر منهُ حفظاً وذكاءً.

٩- حفظ أحدهم منظومة سُلَّم الوصول ثلاثمائة بيت في ثلاثة أيَّام، واختبرتُهُ فيها فسمَّعها بإتقان.

١٠- حفظ أحدهم منظومة عبيد ربّه في النَّحو في يومين قرأ عليَّ في اليوم الأوَّل مائة بيت، واليوم الثاني مائة وخمسين بيتاً، وسمَّعها لهُ الشَّيخ عبد الغفور اللَّحجي -حفظه الله تعالى-.

وما بدَّلوا تبديلاً

إن من فضل الله -تعالى- على طُلَّاب ومشايخ وساكني دار الحديث بالفيوش أنَّهُم يسيرون على ما سار عليه شيخهم المفضال عبد الرحمن العدني -رحمه الله- إلى أن لَقِيَ الله -تعالى-؛ فلم يُعرف بحزبية، ولا دعوة جاهليَّة، ولا عصبية عميّة مات وصدره سليم ومُحِبّ للمسلمين، وللعلماء والدُّعاة المُخلصين في شتى بقاع الأرض، ولا يزال صوتُه يرن في مسمعي في ختام كل درس يقول : وفق الله الجميع لما يُحِب ويرضى، وهكذا مشايخ الدار، وطُلَّاب العلم في الدار ما بدلوا تبديلا يعتقدون بمعتقد شيخهم سواء فيما نزل بالبلاد من النوازل المُعاصرة أو بما يعتقده من معتقده السَّليم السَّلفي النَّقي إلى أن التحق بخالقه جل في عُلاه.

ولا أعلم والله بطالب علم ولا شيخ من مشايخ الدار إلَّا وهو على ما كان عليه الشيخ قد اعتقد وسار، فلا فاصل بين الشيخ وطُلَّابه، ومركزه وإخوانِه.

ولكن الله جمعهم على الهُدى.

وُضِعُوا على الطريق فساروا.

ماذا يتعلَّم الطُّلَّاب في دار الحديث بالفُيُوش

إنَّ تعليم الطُّلَّاب في دار الحديث بالفُيُوش رحمةٌ من الله -تعالى- لأهل اليمن، بل وللمُسلمين، فالطُّلَّاب في دار الحديث بالفُيوش ينهلون من موردٍ عذب؛ والتَّعليم في دار الحديث بالفُيُوش هو قال الله، وقال رسول الله -ﷺ-، يُعلِّمون الطُّلَّاب القُرآن الكريم وتفسيره والعمل به والدعوة إلَيه، فلو ترى كم يتخرَّج في كل عام من حافظ للقُرآن وحافظات، فعلى سبيل المثال في الأيَّام الأخيرة من حياة الشَّيخ عبد الرحمن -رحمه الله- أعلن في درس الظهر عن تكريم ثلاثة عشر طالباً حفظوا القُرآن، ولم يصِلوا إلى الخامسة عشرة من أعمارهم.

إنَّهُم يتعلَّمون في دار الحديث التوحيد لرَبِّ العبيد -سُبحانه-، فُكل السلاسل العلميَّة من أولها إلى آخرها تُدرَّس في الفُيوش سلسة في التَّوحيد، وفي العقيدة، وفي التَّجويد، وفي الفقه، وفي المصطلح، وفي النَّحو، وفي المواريث، والحساب وفي الخط، والإملاء وفي البلاغة وفي الحديث وفي الرَّقائق وغيرها من العُلُوم الشَّرعية.

وإليك بعض ما يدرَّس في دار الحديث بالفيوش بالتفصيل:

التوحيد

١- الدُّروس المهمّة لعامة الأمة لسماحة العلَّامة ابن باز-رحمه الله-.

٢- القول المفيد في أدلة التوحيد للشيخ العلَّامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي. رحمه الله

٣- الأصول الثلاثة. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله وشروحاتها.

٤- القواعد الأربع. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله وشروحاتها.

٥- الأصول الستة. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله وشروحاتها.

٦- نواقض الإسلام. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله وشروحاتها.

٧- مسائل الجاهلية. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله

٨- فضل الإسلام. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله

٩- الواجبات المتحتمات. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله

١٠- قرة عيون الموحدين. للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

١١- ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية .حافظ حكمي رحمه الله

١٢- سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول. حافظ حكمي رحمه الله.

١٣- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله .

١٤- كشف الشبهات للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله. وشروحاتها.

١٥- فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن رحمه الله

١٦- حاشية ابن قاسم رحمه الله على كتاب التوحيد

١٧- تجريد التوحيد للمقريزي رحمه الله

١٨- مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله

١٩- تطهير الاعتقاد لابن الأمير الصنعاني رحمه الله.

٢٠- شرح الصدور في تحريم رفع القبور. محمد بن علي بن محمد الشوكاني رحمه الله

العقيدة

١-الحائية. لأبي بكر بن أبي داود السجستاني رحمه الله

٢-اللاميةلشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٣-لمعة الاعتقاد شرح العثيمين رحمه الله

٤-الواسطية، شرح الهراس وابن العثيمين رحمهما الله

٥-القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعثيمين رحمه الله.

٦-التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

٧-شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين رحمه الله

٨-الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

٩-متن الطحاوية.

١٠-شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله

١١-خلق أفعال العباد للبخاري رحمه الله

١٢-الشريعة للآجري رحمه الله

١٣-السنة لابن أبي عاصم رحمه الله

١٤-السنة لعبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله

١٥-السنة للبربهاري رحمه الله

١٦-السنة للمروزي رحمه الله

١٧-عقيدة أهل الحديث والأثر للصابوني رحمه الله

١٨-الرد على الجهمية للدارمي رحمه الله

أصول الفقه

١-رسالة لطيفة في أصول الفقه للسعدي رحمه الله

٢-الأصول من علم الأصول للعثيمين رحمه الله

٣-الورقات . لإبي المعالي الجويني رحمه الله.شروحاتها.

٤-اللُّمع للشيرازي رحمه الله

٥-الرسالة للشافعي رحمه الله.

٦-المذكرة في أصول الفقه للشنقيطي رحمه الله.

٧-قواعد الأصول ومعاقد الفصول لإبي الفضائل البغدادي رحمه الله

القواعد الفقهية

١-منظومة القواعد الفقهية للسعدي رحمه الله

٢-شرح منظومة أصول الفقه وقواعده / العثيمين رحمه الله

٣-القواعد والأصول الجامعة. للسعدي رحمه الله.

٤-الفروع والتقاسيم للسعدي رحمه الله

٥-تجريد أصول قواعد ابن رجب. للسعدي رحمه الله.

الفقه

١- مختصر صفة صلاة النبي ﷺ للألباني

٢- صفة صلاة النبي ﷺ للألباني

٣- آداب المشي إلى الصلاة. للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله.

٤- كتاب الصيام

٥- كتاب الطلاق من بداية المجتهد.

٦- منهج السالكين. للسعدي رحمه الله.

٧- عمدة الأحكام

٨- بلوغ المرام

٩- المنتقى من أخبار المصطفى لأبي البركات مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله

١٠- العمدة لابن قدامة

١١- الدرر البهية للشوكاني رحمه الله

١٢- الدراري المضيئة للشوكاني رحمه الله

١٣- الفقه الميسر

١٤- أحكام الجنائز

١٥- أحكام الأضاحي

١٦- أحكام العيدين

١٧- مناسك الحج والعمرة للألباني رحمه الله

١٨- مناسك الحج والعمرة لابن باز رحمه الله

١٩- رسالة في الوضوء والغسل والصلاة للعثيمين رحمه الله

٢٠- رسالة في الصيام لشيخ الأسلام رحمه الله

٢١- رسالة في البيوع.

٢٢- آداب الجمعة وصلاة التطوع.

الفرائض

١-تلخيص فقة الفرائض للعثيمين رحمه الله.

٢-تسهيل الفرائض.

٣-الرائد في علم الفرائض

٤-الرحبية

المصطلح

١-البيقونية. لعمر (أو طه) بن محمد بن فتوح البيقوني رحمه الله

٢-التذكرة في علوم الحديث.لابن الملقن رحمه الله

٣-النكت على مقدمة ابن الصلاح للحافظ ابن حجر رحمه الله

٤-مختصر علوم الحديث للحافظ ابن كثير مع تعليقات أحمد شاكر رحمهما الله

٥-نزهة النظر للحافظ ابن حجر رحمه الله

٦-شرح علل الترمذي لابن رجب رحمه الله

٧-فتح المغيث للسخاوي رحمه الله

٨-التقيد والإيضاح للعراقي رحمه الله

٩-تدريب الراوي للسيوطي رحمه الله

١٠-الضوابط في الجرح والتعديل لعبد العزيز بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله

١١-الموقظة للذهبي رحمه الله

النحو

١- متن الآجرومية.

٢- التعليقات الأولية على الآجروميه

٣- التحفة السنية

٤- التحفة الوصابية

٥- الدرر البهية على متممة الآجرومية

٦- موصل الطلَّاب إلى قواعد الإعراب

٧- شرح القطر.

٨- شرح الألفية

٩- شرح ابن عقيل رحمه الله.

١٠- ملحة الإعراب

١١- قواعد الإعراب لابن هشام

١٢- شذور الذهب

١٣- العوامل المائة النحويةفي أصول علم العربية

١٤- لأميه الأفعال

الصرف

١-عنوان الظرف.

٢-شذا العرف.

٣-الكافي في الصرف.

٤-تصريف العزي

٥-متن البناء

٦- لمح الطرف في فن الصرف.

البلاغة

١- دروس البلاغة

٢-البلاغة الواضحة

العروض

١-الكافي

٢- مجدد العوافي

التفسير

١-تفسير السعدي رحمه الله.

٢-التفسير الميسر

٣-زبدة التفسير

٤-تفسير ابن كثير رحمه الله

٥-المختصر في تفسير القرآن الكريم

علوم القرآن

١-أصول التفسير محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

٢-أصول التفسير لابن القاسم

٣-القواعد الحسان فى علوم القران

٤-رسالة في علوم القرآن للسيوطي رحمه الله.

٥-الناسخ والمنسوخ.

٦-قواعد التفسير المهمة.

٧-المشكل في إعراب القرآن

٨-تحفة الأريب لأبي حيان رحمه الله

٩-مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام رحمه الله

١٠- القواعد الحسان في تفسير القرآن لابن سعدي رحمه الله

١١-الصحيح المسند من أسباب النزول

التجويد

١-فن التجويد

٢-تحفة الأطفال

٣-الجزرية

٤-غاية المريد

٥-منظوية الخاقاني

٦-التجويد الميسَّر

٧-الشاطبية

الحديث

١-البخاري

٢-مسلم

٣-العمدة

٤-البلوغ

٥-الجامع الصحيح للوادعي

٦-رياض الصالحين

٧- الأربعون النووية.

دروس البادئين

١-تعليم القراءة والكتابة والإملاء

٢-قواعد الإملاء، المفرد العلم في رسم القلم

٣-القاعدة النورانية وشروحاتها

٤-تعليم الخط

٥-تعليم الحساب

٦-إتحاف القارئين لعبد الحافظ المطحني

٧-تحفة المراكز

السيرة

١-الأرجوزة الميئية.

٢-مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمه الله

٣-مختارات من السيرة

الآداب:

١-المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية حافظ حكمي شرح البدر

٢-لامية ابن الوردي

٣-التائية للإلبيري

٤-جامع بيان العلم وفضله

٥-التبيان في آداب حملة القران.

٦-العلم للنسائي

٧-فضل علم السلف

٨-وجوب العلم للآجري

٩-منتهى الأرب للشوكاني

١٠-القول المفيد في أدلة الأجتهاد والتقليد

١١-مقدمة المجموع للنووي

١٢-أخلاق العلماء للاجري

١٣-الفرق بين النصيحة والتعيير.

١٤-قراءة في حياة السلف.

تعليم الخطابة

١-أسس الخطابة والدعوة إلى الله للشيخ عبد الرحمن السقاف

وهناك كتب أخرى كثيرة تم تدريسها في هذه الدار ومذاكرتها بين الأخوة.

وكذا يتعلَّمون في دار الحديث بالفُيوش الرَّحمة للمُسلمين، وإجلال الكبير، والشفقة على الصَّغير، يتعلَّمون بِر الوالدين والإحسان إلى الجيران، وصلة الأرحام، وردّ السلام يتعلَّمون الصَّبر، والصِّدق والأدب، وكُلّ الأخلاق الحميدة.

ويُحذِّرون طُلَّابهم من الشِّرك والبِدَع والحِزبيَّات الَّتي مزَّقت المُسلمين، ويُعلِّمونهم عظمة دماء المُسلمين، وأن يُصلحوا بين المُتخاصمين، ويُعلِّمونهم الأُلفة والمحبَّة، وعدم الحقد والغِل والحسد، وأن يدعوا الناس بالحِكمة والموعظة الحسنة، والبُعد عن الغُلُو والتَّشدُّد الَّذي ليس هو من شريعة الإسلام.

فهذا هو التَّعليم في مركز الفُيُوش دعوة سلفيَّة صافية نقيَّة ظاهرها وباطنها سواء إنَّها تُعتبر بحق صمام أمان للمُجتمعات للرَّاعي والرَّعية للكبير والصَّغير للذَّكر وللأُنثى لا يبحثون عن دُنيا ولاعن مناصب، ولا عن ملذات أهم ما يسعون إِلَيه هو العلم والتعليم، وإصلاح المُجتمعات بالدَّعوة إلى الله بالكلمة الطَّيِّبة، وبالرِّفق واللِّين.

هذه هي الدَّعوة في دار الحديث بالفُيُوش.

ومن أخطأ من الأفراد المنتسبين إلى هذه الدَّعوة المُباركة، فإنَّ خطأهُ مردود عليه، وإنَّما يُمثِّل نفسه، ويدُ الله مع الجماعة، والعبرة بالمنهج الَّذي عليه السَّير في الدار رحم الله شيخها رحمة الأبرار.

الدُّرُوس العامَّة الَّتي بعد الصلوات في الدَّار

أمَّا عن الدُّرُوس العامَّة فدرس بعد صلاة الظُّهر، ودرس بعد صلاة العصر، ودرس بين مغربٍ وعشاء، وهذه الدُّرُوس يحضرها الألوف من الطُّلَّاب سواء في حياة الشَّيخ -رحمه الله- أم بعد مَوتِه. دروس نافعة مُفيدة.

كما هو معلوم عن مراكز أهل السُّنَّة والجماعة يتخلَّلها بين الحين والحين محاضرات ومواعظ وعظات، فيخرج الطُّلَّاب من الدُّرُوس منشرحي النُّفُوس.

العلـــمُ قـــال الله قـــال رســـوله قـال الصَّـحابة هـم أولـو العرفـان

فحاليًّا الدُّرُوس القائمة بعد الصَّلوات في دار الحديث بالفُيُوش بعد صلاة الظُّهر في تفسير ابن كثير -رحمه الله-.

وبعد صلاة العصر في صحيح الإمام البُخاري -رحمه الله-، وبين مغربٍ وعشاء في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله-.

سُكَّان دار الحديث بالفُيُوش

لقد جاء الشَّيخ -رحمه الله-، ومكان دار الحديث بالفُيُوش لا يوجد فيه جليس ولا أنيس بل أرض قفر يابسة، فما أن بدأ -رحمه الله- بتأسيس المركز حتَّى أقبل الناس أفواجاً من اليمن، ومن خارج اليمن طُلَّاب علم يتلهَّفون للجُلُوس بين يَدَيِّ هذا العالم الجليل الخلوق المتواضع -رحمه الله- هجروا بُلدانهم، وتركوا أوطانهم من أجل طلب العلم الشَّرعي، والخير الَّذي يرونه في دار الحديث بالفُيُوش، فمُذ بناء المركز وتأسيسه وإلى الآن والناس في ازدياد وإقبال أكثر حتَّى أنَّهُ في هذا العام ١٤٣٩هـ يتَّصِل كثير من الإخوة بأنَّهُم سيأتون إلى الفُيُوش لطلب العلم، فلم نجد لهم سكناً بالإيجار مع وجود العُمران الكبير الهائل، فبعض العمائر ستة أدوار، ولكن المكان مُزدحم بطُلَّاب العلم الأخيار، وإنَّ من رحمةِ الله على سُكان دار الحديث بالفُيُوش أنَّ الله جمعهم على الهُدى والخير، وعلى الاستقامة والسُّنَّة، وعلى محبَّة العلم والاجتهاد فيه، فحال سكان دار الحديث بالفُيُوش يختلف عن حال الناس في أيِّ مكان آخر.

فإذا أذَّن المُؤذِّن للصلاة أغلقت الدَّكاكين والمحلَّات، والمطاعم والبوفيات، ومحلات بيع اللُّحوم والأسماك ومحلَّات الخضروات، وتوقّف العمَّال عن أعمالهم، واتَّجه الجميع إلى المساجد لأداء الصَّلاة، ثُمَّ بعد الصَّلاة يجلسون حتَّى ينتهي الشَّيخ من الدَّرس العام، ثُمَّ يعودون لأعمالهم، وهكذا في جميع الصَّلوات، وحتَّى بين مغرب وعشاء يكون السُّوق مُغلقاً إلى بعد صلاة العشاء إلَّا بعض المستوصفات والعيادات،

فتبقى مفتوحة لاستقبال المرضى والقيام بهم وفي أسواق ودكاكين دار الحديث بالفُيُوش لا يوجد من يبيع آلات لهو ولا دُخان، ولا بيع للقات ولا أي شيء من المحرَّمات في بيوت سُكَّان دار الحديث بالفُيُوش لا يوجد تبرُّج ولا اختلاط، ولا دُش ولا تلفاز تمرُّ عند البُيوت فتسمع القُرآن، وتسمع قراءة الحديث وإذاعة الشَّيخ -رحمه الله-، وإذاعة القُرآن الكريم وفي طُرُق دار الحديث بالفُيُوش تجد النساء مُحجَّبات مُجلببات، مستقيمات مُؤدَّبات.

العُمَّال في دار الحديث بالفيُوش

تجد العامل في الدُّكَّان، وفي المطعم وفي النَّظافة، وفي محلَّات الخضروات، وفي محلَّات اللُّحُوم والأسماك، وفي محلَّات البناء وغيرها من المحلَّات كلّهم من المستقيمين الطَّيبين، وكذا تجد الباني والمُلَيِّس، والمُبلِّط والكهربائي والسَّبَّاك، وأصحاب المستوصفات وعُمَّالهم تجدهم من المستقيمين الصَّالحين إلَّا ما ندر والله أعلم بالقُلُوب لكن نحكم بظاهرهم، وكذا نحسبهم والله حسيبهم ولا نُزكِّي على الله أحداً.

كما توجد محلَّات خاصَّة بالرِّجال لا تدخُلها النِّساء، ومحلَّات خاصَّة بالنِّساء لا يدخُلها الرِّجال، والعاملات في محلَّات النِّساء من النِّساء، وفي محلَّات الرِّجال من الرِّجال كما توجد دكاكين خاصَّة بالنِّساء، وكُل مُتطلَّبات النِّساء، وحتَّى في المستوصفات وأماكن العلاج؛ فلا يوجد تبرُّج واختلاط فقسم خاص بالنِّساء، والمُعالجات من النِّساء، وقسم خاص بالرِّجال.

النظافة في الدَّار

إنَّ من محاسن دين الإسلام النَّظافة، وقد حثَّنا نبيِّنا الكريم -ﷺ- على تنظيف السَّاحات اللَّاتي أمام البُيوت، فروى الطَّبراني في الأوسط وحسَّنهُ الألباني في الصَّحيحة برقم (٢٣٦) عن عامر بن سعد، عن أبيه مرفوعاً. أنَّ رسول الله -ﷺ- قال : «طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا تُطَهِّرُ أَفْنِيَتَهَا».

(الأفنية) جمع (فناء) وهو الساحة أمام البيت.

لهذا الحديث، وغيره من الأدلة العامَّة في النَّظافة، فقد اهتمَّ إخواننا بالنظافة ففي صباح كُلِّ يوم تأتي السيَّارة (الدِّينَّا) الخاصة بالمركز، فتطوف الأماكن المُعدَّة لتجميع المُخلَّفات، ثُمَّ تُؤخذ إلى مكان بعيد لِتُرمى هناك، فبالرَّغم من أُلُوف السُّكَّان، ووجود الأسواق، والمطاعم وغيرها من الأمور لكنك تجد المكان نظيفاً من المخلَّفات.

وكذا تجد مساجد دار الحديث بالفُيُوش وأماكن الوضوء فيها نظيفة، وتجد الرَّوائح الطَّيِّبة في المركز، فتارةً بالبخور، وتارةً بالعُطُور، فمع ازدحام آلاف الطُّلَّاب إلَّا أنَّك تجد الرَّوائح الطَّيِّبة في غالب الأحيان.

كما توجد مغسلة للمَوتى من الرِّجال، ومغسلة للموتى من النساء، ويوجد إخوة فُضلاء وأخوات فاضلات يقومون بتجهيز الأموات.

توصيات

١-الوصية لي ولإخواني من المُسلمين هي ما وصَّانا به ربُّنا في كتابه الكريم :

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء : من الآية ١٣١].ثُمَّ الجد والاجتهاد باستدراك ما فاتنا بموت علمائنا الأجلَّاء بسماع دُرُوسهم المُسجَّلة، والقراءة في كُتُبهم المُؤلَّفة، والإقتداء بهم في سيرهم المُبارك، وحياتِهم الحافلة بالعلم والعمل، والدعوة إلى الله -تعالى-، ونقول اللهم لك الحمد لئن أخذتَ فقد أبقيت لئن مات لنا علماء؛ فقد أبقى الله لنا عُلماء، فالله الله في استدراك ما فاتنا بالاستفادة ممَّن بَقِي منهم قبل فوات الأوان بالجُلُوس بين أيديهم، وأخذ العلم عنهم، والقيام بحراستهم، والدِّفاع عنهم، والدُّعاء لهم بظهر الغَيب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان : ٦٢].

٢-علينا القيام بواجبنا تجاه علمائنا

فما واجبنا تجاه علمائنا ؟ اسمع إلى الجواب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- قال غفر الله لهُ : الواجب على طُلَّاب العلم من الشَّباب والشُّيُوخ والرجال والنساء احترام العلماء وتقديرهم، ومعرفة أنَّهُم هم الطبقة العُليا في النَّاس بعد الرُّسُل

على حسب ما أعطاهم الله من العلم والعمل، فهم متفاوتون، على حسب احترامه وتقديره لهم تكون عنايته أيضاً بأقوالهم والأخذ بها، وترجيح الرَّاجح والدَّعوة إلى التَّمسُّك بذلك، ومتى سقطوا من عينه لم يأخذ بأقوالهم ولم يحترم فتاويهم؛ فالواجب أن يُقدِّرهم ويحترمهم لما حملوه من علم الشَّريعة، وأن يكون أقربهم إلى الحق وأصدقهم في اتِّباع الحق أعظم منزلة في قلبه من غيره، ثُمَّ في الأخذ بالفتوى يعتمد على ما قام عليه الدَّليل، وظهرت عليه الحُجَّة من أقوال أهل العلم في عَصرِه، أو فيما ينقله من أقوال العلماء في كُتُبهم عند الاختلاف ... ألخ (دروس ابن باز على الشَّاملة)

٣- ربط النشء والعامة بالعُلماء

إن ربط النشء والعامة -فضلاً عن طُلَّاب العلم- بعُلمائهم أمر من الأهمِّيَّة بمكان، فالعُلماء قادة الأُمَّة وهُم أهل الخشية ولا يجتمعون على ضلالة يعرفون الفتنة وهي مُقبلة، والدعوة بلا علماء غنم بلا راع، ودعوة بلا علماء تُعتبر فوضى وفساداً مُبيناً، فلابُدَّ من السَّير وراء العُلماء الَّذين يقودون الناس بالكتاب والسُّنَّة على فهم سلف الأُمَّة.

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبنى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فالأوتاد : العلماء نرجع إليهم نستشيرهم نهتدي بهديهم نسير بتوجيهاتهم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

فإذا وُسِّدَ الأمر إلى غير العُلماء، وتقلَّد أمورَ الناس أُناسٌ جهلة أو مُتعالمون قادوا الأُمَّة إلى مهاوٍ وطُرُق مُظلمة، وأصابوا دعوة الحق في قعر دارها.

قال عليه الصَّلاة والسلام : «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». أخرجه البخاري برقم: (١٠٠) ومسلم برقم: (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

٤-عدم عيب العلماء والعدول عن مذهبهم لأنَّهُم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (٤/ ٩٦) بعد أن ذكر فعل بعض أئمة المُتكلِّمين بمصر قال -رحمه الله- : ... وَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ فَكَانُوا يَقُولُونَ: هُمْ " الْأَبْدَالُ " لِأَنَّهُمْ أَبْدَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَائِمُونَ مَقَامَهُمْ حَقِيقَةً، لَيْسُوا مِنْ الْمُعْدَمِينَ الَّذِينَ لَا يُعْرَفُ لَهُمْ حَقِيقَةٌ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقَدْرِ الَّذِي نَابَ عَنْهُمْ فِيهِ: هَذَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَقَالِ وَهَذَا فِي الْعِبَادَةِ وَالْحَالِ وَهَذَا فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا. وَكَانُوا يَقُولُونَ: هُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ الظَّاهِرُونَ عَلَى الْحَقِّ. لِأَنَّ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ الَّذِي

بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ مَعَهُمْ. وَهُوَ الَّذِي وَعَدَ اللهُ بِظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. اهـ

٥-حاجة الناس إلى العلماء أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب

قال ابن القيِّم -رحمه الله- في ((إعلام الموقِّعين)) : ... ففقهاء الإسلام، ومن دارت الفُتيا على أقوالهم بين الأنام الَّذين خصّوا باستنباط الأحكام، وعنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النُّجُوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظَّلْماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب.

وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأُمَّهات والآباء بنصِّ الكتاب قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

قال عبد الله بن عبَّاس في إحدى الرِّوايتين عنهُ، وجابر بن عبد الله، والحسن البصري، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، والضَّحَّاك ومُجاهد في إحدى الرِّوايتين عنهُ : أولوا الأمر هم العُلماء، وهو إحدى الرِّوايتين عن أحمد ... إلخ إعلام الموقعين(٢/ ١٤)

خاتمة

وخِتاماً فهذه خُلاصة لبعض ما كان عليه شيخنا عبد الرحمن غفر اللهُ لهُ في حياتِه المُباركة من مُعتقد سليم وسير مستقيم، ودعوة سلفيَّة صافية نقيَّة، وأخلاق مرضيَّة حتَّى التحق بخالقه -ﷻ-.

ـ يتلخَّص من خلال حياة الشَّيخ -رحمه الله- الحافلة بالعلم والعمل، والدعوة إلى الله -تعالى- ما يلي :-

- أنَّ دعوته كانت من الكتاب والسُّنَّة على منهج السَّلف الصَّالح.
- في باب صفات الله -تعالى-، وأسمائِهِ -ﷻ- دعا إلى وجوب الإيمان بما في كتاب الله -تعالى- من ذلك، وبما في الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ -ﷺ- من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.
- في توحيد الأُلُوهية دعا إلى ما تضمَّنَتهُ شهادة أن لا إله إلَّا الله من نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عمَّا سوى الله -تعالى-، وإثبات العبادة لله -تعالى- على وجه الكمال المُنافي لكُلِّيَّات الشِّرك وجُزئيَّاتِه مُعتمداً في ذلك على نُصُوص كتاب الله -تعالى- وأحاديث رسول الله -ﷺ-.
- فيما يتعلَّق بالرُّسُل -عليهم السلام- يُوجب الإيمان بهم، وبما جاءوا به من عند الله -تعالى-، ويدعو إلى تجريد المُتابعة لرسول الله محمد بن عبد الله -ﷺ-، وإلى القيام بحقُوقه -ﷺ- من الحب والتَّوقير، وتقديم ما جاء به على كُلّ ما سواه، والوقوف

معه حيثما وقف والانتهاء إليه حيثما انتهى -ﷺ-، وشعاره في هذا ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمَا﴾.

- كما دعا إلى الإيمان بالله وملائكته، وكُتُبِه ورُسُلِه، واليوم الآخر والقدر خيره وشَرِّه من الله -تعالى- على ما اعتقد وسار أئمة السَّلف الصَّالح الأخيار.
- في مسائل القضاء والقدر، والجبر والإرجاء، والإمامة والتَّشَيُّع يدعو إلى التزام مُعتقد السَّلف الصَّالح في جميع ذلك، وإلى البراءة ممَّا عَلَيه القدريَّة النُّفاة، والقدريَّة المُجبرة، وما ابتَدَعتهُ المُرجِئة، والرَّافضة وغُلاة الشِّيعة، والناصبة وغيرهم من أهل البِدَع.
- في أُمُور الآخرة دعا إلى الإيمان بما أثبتتهُ النُّصُوص من البعث بعد الموت ... والحساب والميزان، والحوض والصِّراط، والجنَّة والنار، والشفاعة وغير ذلك.
- في أصحاب رسول الله -ﷺ- قرَّر وحرَّر وعلَّم أنَّ أفضل هذه الأُمَّة بعد نبيِّها -ﷺ- أبو بكر الصِّديق، ثُمَّ عُمر بن الخطَّاب، ثُمَّ عُثمان بن عفَّان، ثُمَّ علي بن أبي طالب، ثُمَّ بقيَّة العشرة، ثُمَّ أهل بدر، ثُمَّ أهل أُحُد، ثُمَّ أهل بيعة الرِّضوان، ثُمَّ سائر الصَّحابة -رضي الله عنهم-.
- دعا إلى تولِّي جميع الصَّحابة، والكف عمَّا شجر بينهم، وأنَّهُم أحق أُمَّة مُحَمَّد -ﷺ- بالعفو عمَّا صدر بينهم، وأقربها إلى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم، وحذَّر من مسلك الرَّوافض والنَّواصب فيهم.

- في علماء الأُمَّة من أهل السُّنَّة والجماعة أثبت لهم الفضل والإمامة، وكان يَحُث على الرُّجوع إليهم في فهم النُّصُوص الشَّرعيَّة ويُحذِّر من الإنفراد عنهم برأي مبتدع، أو قول مُخترع، أو حزبيَّة مقيتة ...

ويرى للأئمة الأربعة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة ما يليق بمكانتهم مع عدم التقيُّد بمذهب مُعيَّن لا يخرُج عنهُ، بل يأخذ منهم ما وافق الدَّليل الصَّحيح من كتاب الله -تعالى- وسُنَّة رسوله -ﷺ-، ولا يُقدِّم على سُنَّة رسول الله -ﷺ- قول أي أحد كائناً من كان.

- العناية بالعامَّة، وذلك بتعليمهم العلم الشَّرعي، ودعوتهم بالرِّفق واللِّين، وبث دعوة التَّوحيد في أوساطهم، وتحذيرهم من الشِّرك والسِّحر والظُّلم، وكُلّ ما يُغضِب الله -تعالى-، وتعليمهم الصَّلاة والزَّكاة والصِّيام ... وغيرها من الأحكام.
- عنايته بالصُّلح بين النَّاس، وتخفيف الفِتَن والشَّحناء الَّتي في المُجتمعات.
- عنايته بأهل المِحَن والابتلاءات.
- تحريمهُ الخروج على ولاة أُمُور المُسلمين، وإن جاروا وإن ظلموا، ويأمر بالصَّبر عليهم ومُناصحتهم ما لم يأمروا بمعصية الله -تعالى-؛ فلا سمع ولا طاعة لهم في هذه المعصية بعينها.

وأخيرًا

فهذه الترجمة بين يديك أيها القارئ المبارك في حُلَّتها الأولى وهي تعتبر أول ترجمة لشيخنا عبد الرحمن العدني غفر الله له وهناك ترجمة لشيخنا عبد الله بن مرعي حفظه الله أسأل الله تعالى أن ييسر بخروجها.

وكذا فإن هناك رسائل قُدِّمت للماجستيروالدكتوراه تبحث وتتحدث عن هذا العالم الفقيه والمجال مفتوح لطُلَّاب الشيخ ومحبيه.

وكذا فإننا نرجوا ممن لديه أي معلومة مفيدة عن الشيخ رحمه الله تعالى تكتب في مجال الترجمة أن لا يبخل علينا بها عبر الرقم المذكور آخر السطور وكذا من لديه اقتراح أو نصيحة فليفدنا بها مشكورا مأجورا فإن أعمال البشر يعتريها النقص كما أننا نعلم علم اليقين أن شيخنا غفر الله له بشر يُخطيء ويُصيب ويعلم ويجهل لكن ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة يوسف:٨١].

﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [سورة الزخرف:١٩].

كذا نحسب شيخنا رحمه الله والله حسيبه ولا نزكِّي على الله أحدا

والحمدلله رب العالمين وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سالم بن الخضر بن أحمد المنذري

دار الحديث بالفيوش حرسها الله من كل شر.

للتواصل واتساب أو اتصال

٧٧٤٨٨٣٦١٩

٧٣٣٦٣٠١٩٠

صور لبعض المناظر بدار الحديث بالفيوش حرسها الله تعالى

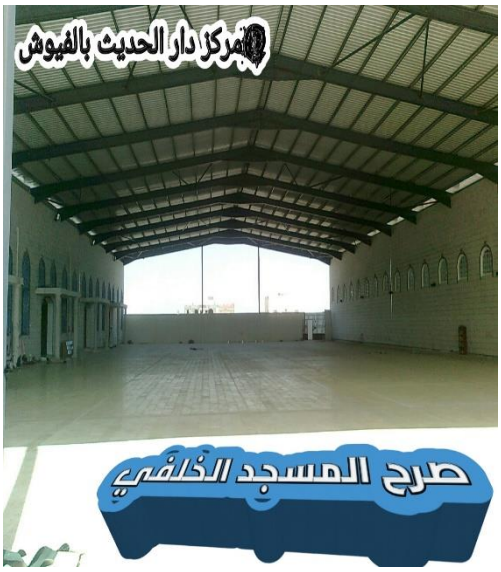
@مركز دار الحديث بالفيوش
صرح المسجد الخلفي

@مركز دار الحديث بالفيوش
صرح المسجد الغربي

مسجد دار الحديث

مسجد دار الحديث بالفيوش

مواطير الكهرباء

مسجد النساء للعلوم الشرعية
مكون من ثلاثة ادوار

@مركز دار الحديث بالفيوش
داخل مسجد النساء

@مركز دار الحديث بالفيوش
صرح مسجد النساء

مكان المصاحف بداخل المسجد
دار الحديث بالفيوش

@مركز دار الحديث بالفيوش
مكتبة مركز النساء

@مركز دار الحديث بالفيوش
غرفة الضيافة

مكتبة المركز
@مركز دار الحديث بالفيوش

الطريق
امام
المسجد
@مركز دار الحديث بالفيوش

خزان ماء المركز
حلاية الماء
@مركز دار الحديث بالفيوش

@مركز دار الحديث بالفيوش
مغسلة الأمهات

حمامات المسجد
@دار الحديث بالفيوش

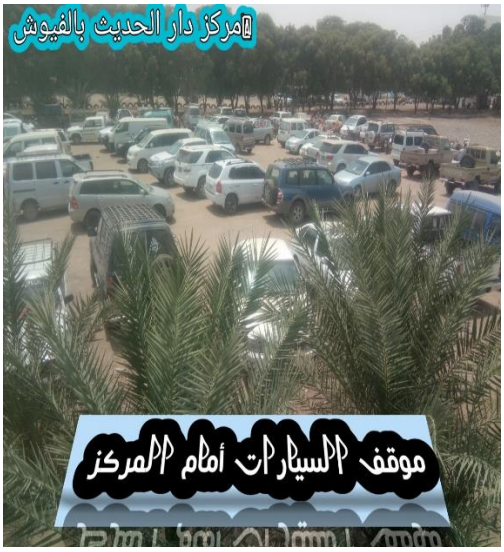
@مركز دار الحديث بالغيوش
موقف السيارات أمام المركز

@مركز دار الحديث بالغيوش
مدرسة الأولاد لتحفيظ القرآن

بيت شيخنا عبد الرحمن العدني
@مركز دار الحديث بالغيوش

منظر بجانب المسجد
@مركز دار الحديث بالغيوش

ساحة المركز
@مركز دار الحديث بالغيوش

حياة وشرك لعنة الناس الى الصلاة

سكن الطلاب
سكن الطلاب
دار الحديث بالفيوش

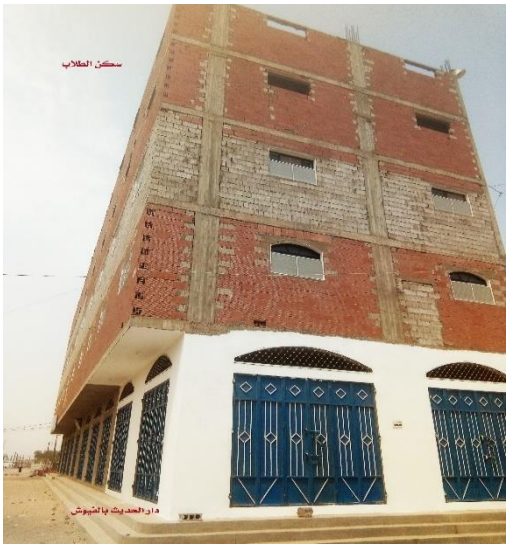
سكن الطلاب
دار الحديث بالفيوش

باصات الدعوة إلى الله تعالى

باصات لنقل الطالبات من البلكات إلى المسجد
دار الحديث بالفيوش

باصات لنقل الطالبات من البلكات إلى المسجد
دار الحديث بالفيوش

مسجد طيبة
دار الحديث بالفيوش

مسجد بلك ١٢

مسجد بلك عشرة
دار الحديث بالفيوش

مسجد معاذ بن جبل
دار الحديث بالفيوش

مسجد بلك ثلاثة
دار الحديث بالفيوش

دار الحديث بالفيوش
مسجد الرحمن

مسجد بلك العزاني
دار الحديث بالفيوش

مسجد بلك ؟
دار الحديث بالفيوش

مسجد بلك الفيشاني
دار الحديث بالفيوش

مسجد بلك سبعة

خدمات عامة بدار الحديث بالفيوش

مناظر حول دار الحديث بالفيوش

الفهرس

مقدمة الشيخ الفاضل أنيس المهندس اليافعي حفظه الله تعالى:..... ٩

مقدمة الشيخ الفاضل مهدي الجونة -حفظة الله تعالى- ١١

مقدمة المؤلف..... ١٩

ماذا يعني موت العلماء ٢٤

وقفة عزاء..... ٢٨

كلمة شكر ٢٩

لماذا الترجمة ؟..... ٣١

اسم الشيخ ونسبه ونشأته ٣٣

رحلته في طلب العلم..... ٣٦

ذريته..... ٣٦

صفاته الخَلقية..... ٣٧

لباسه ٣٩

كتبه..... ٤٠

مشايخه..... ٤٤

ثناء العلماء عليه.....٤٦

طلاب الشيخ رحمه الله تعالى.....٥٤

الشيخ في دمَّاج.....٥٧

كيف بدأت فكرة إنشاء مركز دار الحديث بالفيوش -حرسها الله تعالى-.....٦٤

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾.....٦٩

بدء العمل في المركز.....٧٧

وتحقَّقت أُمنية الإمام الوادعي -رحمه الله-.....٨١

مقتطفات من كلام المشايخ والدُّعاة في يوم فتح دار الحديث بالفُيُوش حرسها الله.....٨٢

قصيدة ألقيَت في يوم افتتاح الدَّار واجتماع المشايخ.....٩٥

الشيخ ووالداه.....١٠١

اعتناؤه بأبنائه.....١٠٢

الشيخ وأقاربه.....١٠٣

الشيخ وزوجاته.....١٠٤

أخلاق الشيخ مع أهله في بيته..... ١٠٦
الشيخ وحرصه على تعليم أزواجه وأولاده للعلم الشَّرعي ١٠٧
الشيخ وجيرانه..... ١٠٩
نُبذة عن حلم الشيخ وعفوِه وصَبرِه..... ١١٠
رقة قلب الشيخ وتعاونه مع أهل البلاء وكبار السِّن..... ١١٩
إحسانه إلى المكافيف (العميان)..... ١٢٠
كفيف آخر..... ١٢١
كفيف وأُختُه المريضة..... ١٢٢
كفيف في حلقات التَّحفيظ عجز عن حفظ سورة المُدَّثر فمن لقَّنهُ حتَّى حَفِظ..... ١٢٢
الشيخ يتَّصِل من حضرموت إلى ردفان على رقم كفيف ليسأل عن أحواله ١٢٤
كفيف يطلُب من الشيخ أن يشفع لابن خاله العاطل عن العمل ليعمل في شركة صعب الدُّخُول فيها..... ١٢٥
ظرفٌ فيه مال وُجِدَ بعد قتل الشيخ مكتوب عليه هذا لِفُلان ١٢٦

من يغسل لك الملابس..... ١٢٧

إحسان الشيخ -رحمه الله- إلى المُعاقين وكبار السِّن..... ١٢٨

الشيخ والغرباء..... ١٣٢

بدء فتنة الغُرباء في المركز..... ١٣٨

كلمة تسلية وتصبير للإخوة الغُرباء بعد قرار ترحيلهم ١٤٢

قصة بناء مسجد بجانب مسجد دار الحديث بالفُيوش وكيف تعامل الشَّيخ مع المُخالفين ١٤٦

الشيخ والصُّلح بين النَّاس..... ١٤٩

ثأرات وخلافات في المجتمعات أنهاها الله سُبحانه على يد الشَّيخ رحمه الله ١٥٥

خمسة قتلى بَين قبيلَتين أنهاها الله -تعالى- على يد الشَّيخ -رحمه الله- ١٥٨

الشيخ يحل قضية بين مُتخاصمين في نصف ساعة ١٥٩

الشيخ والصُّلح بَين إخوة في الله على أموالٍ كثيرة..... ١٥٩

الشيخ يحل قضية قبل أن يُقتل بيومين..... ١٦٠

قضية يصل خبر إنهائها إلى الشيخ قبل أن يُقتل بيوم ١٦١

الشيخ وعلم القراءات..... ١٦٢
الشيخ والعبادة..... ١٦٤
رقة قلب الشَّيخ وبكاؤُه..... ١٦٧
الشيخ في رمضان..... ١٦٨
الشيخ والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر..... ١٦٩
الشيخ وصلاة الاستخارة..... ١٧٠
درر مُنتقاة من بعض دُرُوس الشَّيخ -رحمه الله-..... ١٧٣
عِفَّةُ الشَّيخ -رحمه الله- وورعه..... ١٧٩
الشيخ ودقَّتِه في إيصال الحقوق إلى أهلها..... ١٨٣
موقف آخر في هذا..... ١٨٤
الشيخ وتحفيز طلابه على الخير..... ١٨٤
تواضُع الشَّيخ -رحمه الله-..... ١٨٨
كرم الشيخ رحمه الله..... ١٩٤
فضائل في حديث جمعها الله للشيخ..... ١٩٦
ذكاء الشيخ وفِطنَته..... ٢٠٣

محبته للعلماء ودفاعه عنهم وإجلاله لهم ٢١٥
الشيخ وعلماء اليمن..... ٢٢٠
الشيخ عبد الرحمن والشَّيخ الوصابي..... ٢٢٢
كلمة نافعة مفيدة لشيخنا حول توقير العلماء ٢٢٧
ردُّ الشَّيخ على من تنقَّص علماء اليمن واحتقرهم ٢٣٤
وصيَّة الشيخ -رحمه الله- لأهل السُّنَّة..... ٢٤١
رسالة نَصَحَ الشيخ رحمه الله بالإطِّلاع عليها..... ٢٤٩
الشيخ والدَّعوة إلى الله تعالى..... ٢٥٦
إلى ماذا يدعو الشيخ..... ٢٦١
الشيخ والاستشارة..... ٢٦٣
أخلاق الشيخ رحمه الله..... ٢٦٧
أمور حصلت من الشيخ -رحمه الله- قبل موته كالتوطئة لموته..... ٢٧٨
الأيَّام الأخيرة من حياة الشيخ -رحمه الله- ٢٨٣
اشتاق إلى ربه ٢٨٧
الشيخ قبل أن يقتل بثلاثة أيَّام ٢٨٩

موقف محزن وعجيب ٢٨٩

الشيخ قبل أن يقتل بيومين..... ٢٩٠

الشَّيخ قبل أن يقتل بيوم وآخر الدُّروس التي ألقاها في حياته ٢٩١

آخر درس للشيخ في بيته..... ٢٩٣

آخر ليلة من حياة الشَّيخ في بيته..... ٢٩٣

الشَّيخ في صلاة الفجر..... ٢٩٤

الشَّيخ بعد صلاة الفجر في بيته آخر يوم في حياتِه..... ٢٩٤

حادثة الوفاة..... ٢٩٦

خبر القتلة..... ٣٠٣

رسالة من الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى إلى خصومه الذين آذوه في هذه الحياة..... ٣١٣

قصة الكنز الذي وجد في بيت الشيخ بعد موته..... ٣١٥

بعض ما رُؤِيَ للشيخ -رحمه الله- في حياته وبعد مماته..... ٣١٧

رؤيا رآها الشَّيخ -رحمه الله- بنفسه قبل موته بِمُدَّة..... ٣١٨

رؤيا رُؤِيَت للشيخ في حياته تُبشِّر بصفاءِ منهجه وانتشار علمه ودعوته ٣١٨

رؤيا أخرى رؤيت للشيخ بعد موته رحمه الله..... ٣١٩

رؤيا أخرى..... ٣١٩

رؤيا أخرى..... ٣٢٠

رؤيا أخرى..... ٣٢٠

رؤيا أخرى..... ٣٢١

رؤيا أخرى..... ٣٢٢

رؤيا رأيتها لشيخنا..... ٣٢٢

بعض ما قيل من الأشعار في رثاء الشيخ -رحمه الله-..... ٣٢٣

جرحتُم يا أحبتنا فؤادي..... ٣٢٤

الوداع الحزين..... ٣٢٦

اكتب بدمع القلب..... ٣٢٧

رحيل يُهدهد شُمَّ الرَّواسي..... ٣٢٨

أرى منبر التَّدريس ٣٢٩
شُلَّت يمينك..... ٣٣١
عظم المصاب..... ٣٣٢
الدمعة اليمانية..... ٣٣٤
مرثية ما ذنبه..... ٣٣٦
جدبٌ أصاب الأرض..... ٣٣٧
قتلوك يا شيخي..... ٣٣٩
تعازي العُلماء والدعاة الفُضلاء..... ٣٤٢
فضل من مات على السُّنَّة..... ٣٤٥
حال دار الحديث بالفيوش بعد قتل الشيخ عبدالرحمن رحمه الله رحمةَ الأبرار
..... ٣٤٧
نبذة عن شيخنا المفضال عبد الله بن مرعي -حفظه الله تعالى- ٣٤٩
طُلَّاب الدَّار..... ٣٥٧
حقيقة لا خيال..... ٣٥٩
وما بدَّلوا تبديلاً..... ٣٦٣

ماذا يتعلَّم **الطُّلَّاب** في دار الحديث بالفُيُوش ٣٦٤

الدُّرُوس العامَّة الَّتي بعد الصلوات في الدَّار..... ٣٧٨

سُكَّان دار الحديث بالفُيُوش..... ٣٧٩

العُمَّال في دار الحديث بالفُيُوش ٣٨١

النظافة في الدَّار..... ٣٨٢

توصيات..... ٣٨٣

خاتمة ٣٨٧

وأخيرًا..... ٣٩٠

صور لبعض المناظر بدار الحديث بالفيوش حرسها الله تعالى..... ٣٩٢

الفهرس ٤٠٣